المملكة الأردنية الهاشمية

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

العـــدد الاول

صفر ١٣٩٨ هـ.

المجلـــد الاول

كانون الثاني ١٩٧٨ م.

الطبعـــة الثانيـــة

١٩٨٢

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

يُسعِدُنا ان نقـدّم الى العالم العربي هذا العدد الأول من (مجلّـة مجمع اللغـة العربية الاردني) ، راجـين ان تستمرَّ أعداد هذه المجلـة بعد اليوم في المضيّ في طريقهـا ، بجهود المخلصين من ابنـاء هذه الامة العربية المجيدة ، الحريصين على لغـة الضاد العزيزة ، وعلى خدمـة النهضة العلميـة في وطننا العربي الكبـير .

لقـد مضى على تاسيس مجمعنا الاردني عـامٌ وبعضُ العام ، بعد ان تغلّب علـى بعض الصعاب التي اعترضت سبيلـه في بدايته ، وقد اصبح في وسعـه الآن ان يمضي قُدُمًا في تحقيق الأهـداف السامية التي قام من اجـل تحقيقها في خدمة اللغة العربيـة ، والمشاركة في خدمة التراث العربي والاسـلامي الزاهر ، والحضارة العربية المعاصرة .

والمجمـع يضمّ جهوده المتواضعة الى جهـود اشقّائه من المجامع العربية العريقة ، بعـد ان اصبح عضوا في اتحاد المجامـع ، وبعد ان استكمل عدّتـه ، واصبح موضع أمل في ان يعمـل عملا فعّالا مثمرا في تادية رسالته العلمية واللغويـة .

ونحن نؤمن بان المجلّـة ركن من اركان العمـل المجمعيّ لا غنى عنه ، تستقطب جهـود الاعلام من اهل الفكر ، مـن الاخوة العرب ، ومن الزملاء المستشرقين ؛ فالمجلـة هي صوت المجمع وصـوت سدنة

اللغة العربية والتراث العربـــي والاسلامي معا . ونحن نامـــل ان يؤدّي هذا الصوت الامانـــة التي يرتفع لتاديتها ، بجدارة وكفاءة وصـــدق .

لقـــد بذلنا جهدا خيّرًا من اجل ان يكون هـــذا العدد الأول جديرا بمكانه في استهلال صدور المجلـــة ، ولكننا نعلم أن الكمال للـــه وحده . ولهذا نرجو ان يكون لنـــا من تسامح الاخوان وتقديرهم مـــا يعذر عن النقص،ومـــا يحفز على المضيّ قُدُمًا لمـــا نرجو ، ويرجون منا ، مـــن الكمـــال الممكـــن .

واللّـــه ولـــيّ التوفيـــق .

مقرّر لجنة المجلـــة
نائب رئيس المجمـــع
الدكتور محمـــود السمرة

ابن رشد في أدبه

للدكتور عبد الكريم خليفة

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على جانب مهم من جوانب انتاج علم من اعلام الفكر في حضارتنا العربية الاسلامية ، وهذا الجانب يتمثل في « ادب » ابن رشد ، وهو واحد من اشهر الكتاب ومن اكثرهم خصبا وانتاجا .

وان هذه الدراسة شائكة في نظرنا ، وذلك لصعوبة الفصل بين مجال الفكر والفلسفة من ناحية، والادب من ناحية اخرى . فان مفاهيم الادب وتعريفاته تتعدد وتختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية والثقافية والاجتماعية عند الباحثين . وربما كان اهم من ذلك كله ان نصل الى مفهوم الادب عند الكاتب ذاته . ليس من السهل ان تحدد مفهوم الادب عند ابن رشد ، دون النظر في فلسفته وفي مفهوم الادب عند معلمه الاول « ارسطو » .

اليس من الخطأ ان تعتبر مفهوما واحدا للادب ، تحاول اقحامه على جميع انشطة الفكر الانساني ؟ ... الا تتداخل مفاهيم الادب هذه بالوانه ومذاهبه ؟ ..

لا شك ان هنالك فرقا كبيرا بين ادب واقعي تحتل فيه جدية الفكر مكانة ممتازة ، وادب لاه يضفي عليه الاديب رونق النكتة والظرف .

فقد كان ابن رشد جادا ، وكانت الدراية اغلب عليه من الرواية . وبلغت جديته الى الحد الذي عبر عنه صاحب كتاب التكملة بقوله : « ... وعني بالعلم من صغره الى كبره، حتى حكي عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه ، وليلة بنائه على اهله ... وانه سود في ما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة . ومال الى علوم الأوائل، فكانت لهم فيها الامامة دون اهل

عصره » (١) .ونحن لا يهمّنا في هـذا المجال مدى دقة هذه الروايـة ، ولكنّ ما توحي بـه من نظرة ابن رشد الجادّة الـى الحياة وتحكيمه العقل ، وذلـك بغلبة الدراية عنده على الروايـة ...

فاذا نظرنا مثـلا الى المساجلة الفكرية باعتبارها احـد الفنون الادبية الراقية ، الا يحقُّ لنـا أن نُصَنِّفَ في اطارها تلـك المساجلة التي دارت بين ابن رشـد والغزالي ؟ فقد وصفها العقـاد بقوله : « فلـم يحفظ لنـا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قـوة المساجلة التي دارت بـين ابن رشـد والغزالي،ومضاء سلاحها،ونفـاذ حججها وبراهينهـا ... » (٢) .

وهنـا يشير الكاتب في الواقع الـى معركتين فكريتين مـا زال اثرهما العميق في التفكير الفلسفي الاسلامي . فقد اثـار الأولى الغزالي في كتابه : « تهافـت الفلاسفة » واثـار الثانية ابن رشـد بكتابه : « تهافـت التهافـت » .

وبالرغم من أن ابن رشـد قد ذاع صيته لـدى الافرنج في مجالين اساسيين من المعرفـة ، هما الطبّ والفلسفة ، فـانّ جوانبه الفكريّة والثقافية الأخرى لـم تكن اقل إشراقا ؛ فهو على حـد تعبير بعض الروايات ، كمـا سنرى فيما بعد : « كـان يُفْزَع الى فتواه في الطـبّ كما يُفْزَع الى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب » (٣) .

وإنّ الدارس للحركة العلميـة في ذلك العصر ، لا يَعجَب من هـذا كله،فقد عاش ابن رشـد في بيئة علمية عاليـة جمعت مشاهير عصره ، يعينه في ذلك طبـعٌ مؤاتٍ واستعداد فطريّ اصيـل .

امّـا في مجال الحركة العلمية فـي الاندلس ، ورغبةِ اهلهـا في العلم ، فنحن نستذكر مـا اورده المقّري ، اذ قال : « وامّـا حال اهل

---

(١) التكملـة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .
(٢) العقـاد ، ص ٥٥ .
(٣) فـرح ، ص ٢٧ .

الاندلس في فنون العلـــم ، فتحقيق الانصاف في شانهم في هـــذا الباب ، انهم أحرص النـــاس على التميّز : فالجاهل الذي لم يوفّقه الله لا علم يجهد أن يتميّز بصنعـــه ، ويربأ بنفسه ان يُرى فارغـــا عالة على الناس ، لأن هـــذا عندهم في غاية القبح،والعالـــم عندهم معظَّمٌ من الخاصـــة والعامة ... فالعالم منهـــم بارع ، لانه يطلب ذلك العلـــم بباعث من نفسه ، يحمله علـــى ان يترك الشغل الذي يستفيد منـــه ، وينفق ما عنده حتى يعلـــم . وكلّ العلوم لها عندهم حـــظّ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم ، فان لهمـــا حظّاً عظيما عند خواصّهم ، ولا يُتظاهَر بهـــا خوف العامة . فانّه كلّمـــا قيل « فلان يقرأ الفلسفة » او « يشتغـــل بالتنجيم » اطلقت عليه اســـم زنديق ، وقيّدت عليه انفاسه . فـــان زلّ في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبـــل ان يصل امره للسلطان ، او يقتلـــه السلطان تقرّباً لقلوب العامـــة.وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتـــب هذا الشأن اذا وجـــدت ... » (٤) .

إنّ ظاهرة التضييق علـــى حرية الفكر ، التي اشـــار اليها المقّري ، قد أصابت بلهيبها ابن رشـــد ذاته في محنته التي حلّت بـــه في أخريات عمره ؛ وإنّ هـــذه الظاهرة لم تكن في الحقيقة لتقتصر علـــى الاندلس ، بل امتدّت من مشرق دار الاســـلام الى مغربه الاقصى ، وذلـــك في فترات معيّنـــة .

ولـــو القينا نظرة علـــى احداث الفترة الزمنية التي لقي بها ابـــن رشد محنته ، لوجدنا امثلـــة كثيرة في هراة وواسط ودمشق وبغداد (٥) .

اسمه ونسبـــه وكنيته :

هو محمـــد بن أبي القاسم احمـــد ابن أبي الوليد محمـــد بن احمد بن رشد ، يكنى أبـــا الوليد . وهو حفيد قاضـــي الجماعة بقرطبة . (٦) .

---

(٤) النفـــح ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
(٥) انظـــر العبـــر ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .
(٦) النباهي ، ص ١١١ . انظـــر : ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٣٠ ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

ولـد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ. ١١٢٦ م. وادرك مـن حياة جَدّه شهرا سنة عشريـن (٧) . وقد اشتهر في اوروبـا في القرون الوسطى باسـم AVEROES (٨) .

نشا ابـن رشد في بيت علـم وفضل ، وكان ابوه أحمد بن محمد بن احمد بن رشد ابـو القاسم ، قد تولّى القضاء (٩) . وتتحدّث المصـادر من نشأة ابي القاسم هذا ، فتقول : « إنه من اهل بيت فقـه وعلم » (١٠). وربما ساهمت شهرة ابـن رشد الحفيد وابن رشد الجَـدّ ، في قلّة المعلومات التي وصلتنا عن ابـي القاسم . وتوفي والـد ابن رشد سنة ٥٦٣ هـ. (١١) . وهـذا يعني ان الاديب الفيلسوف ابن رشـد ، قد ذاعت شهرته العلميـة في حياة والـده .

اما جَدُّه محمـد بن احمد بن احمد بن رشـد (١٢) فيُروَى ان اصلـه من بلـدة سرقسطة (١٣) . وكان قاضـي الجماعة بقرطبة ، وصاحِبَ الصلاة بالمسجـد الجامع بها ، يكنى ابـا الوليد ... وكان قطبها ،عالما حافظا للفقـه ، مقدّمًا فيه على جميع اهـل عصره ، عارفًا بالفتوى على مذهب مالك واصحابـه ، بصيرًا باقوالهم واتّفاقهـم واختلافهم ، نافذا في علـم الفرائض والاصول ، من اهـل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الديـن والفضل والوقار والحلم والسمت ، والهدي الصالح .

ويستمرّ صاحب كتـاب الصلة فيقول :"سمعت الفقيه ابـا مروان عبد الملك بـن مسرة صاحبنا اكرمه اللـه ، ومكانه من العلم والفضل والثقة مكانه ، يقـول : شاهدت شيخنا القاضي ابـا الوليد رحمه اللـه يصوم يوم الجمعة دائمـا في الحضر والسفر" (١٤) .

---

(٧) العبـر ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ ، شذرات الذهـب ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

(٨) Encyclo . Vol. II , P. 410 - 413

(٩) المصـدر نفسـه .

(١٠) بغيـة الملتمس ، ص ١٥٦ .

(١١) المصـدر نفسـه .

(١٢) النباهـي ، ص ٩٨ .

(١٣) الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ ، مـن هامش الاصل ، قـال عمر بن دحية : اصله من بلـدة سرقسطة .

(١٤) الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ : النباهـي ، ص ٩٨ .

ولـد ابو الوليد ابن رشد (الجـد) في شوال سنة ٤٥٠ هـ. (١٥) . وقد روى عن ابـي جعفر احمد بن رزق الفقيه ، وعـن ابي مروان ابن سراج ، وابي عبد اللـه بن خيرة ، وابي عبد اللـه محمد بن فرج ، وابي علـي الغساني ، واجاز لـه ابو العباس العذري ما رواه (١٦) .

وتقلّد ابـو الوليد القضاء بقرطبة ، وسار فيه على حدّ تعبير الروايـة باحسن سيرة واقوم طريقة ، ثـم استعفى عنه فاعفـى ؛ ونشر كتبـه وتواليفه ومسائله وتصانيفه (١٧) . ومـن تواليفه كتاب المقدمـات الاوائـل كتب المدوّنـة ، وكتاب البيان والتحصيل لمـا في المستخرجة من التوجيـه والتعليل ، واختصار المبسوطـة ، واختصار مشكل الآثـار للطحاوي، الى غير ذلك من تواليفه . ويعقّـب على ذلك صاحب كتاب الصلـة بقوله : « سمعنا عليـه بعضها ، واجاز لنـا سائرهـا » (١٨) .

ومن مؤلفاته ايضـا ، « الفتاوى » (١٩) . فقد جمـع ابن الفرضي شيخ الجامع الكبير فـي قرطبة،فتاوى ابي الوليد ابـن رشد (الجدّ) ، في كتاب خَطّـي (٢٠) . ولا شك أن هذه المكانـة العلمية الرفيعة التي كان يشغلها الجـد ، قد كان لها آثارهـا العميقة وملوابعها الواضحة في شخصية ابـن رشد (الحفيد) وتكوينه العلمـيّ والثقافيّ . وتوفي ابو الوليد ابن رشد (الجـدّ) ، ليلة الاحد ، ودفـن عشي يوم الاحد الحادي عشر مـن ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائـة ، ودفن بمقبرة العباس ، وصلّى عليه ابنه ابـو القاسم ، وشهده جمـع عظيم من الناس ؛ وكـان الثناء عليه حسنا جميلا (٢١) . وهكذا فقد ولـد ابو

---

(١٥) الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .
(١٦) المصـدر نفسـه .
(١٧) النباهـي ، ص ٩٩ ، الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .
(١٨) الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .
(١٩) الاعـلام ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .
(٢٠) يوجد هـذا المخطوط ، على حـد رواية الجامعة / فرح انطون ، ص ٨ في مكتبة باريس وقد نقـل اليها من دير سان نيكولا فـي اسبانيا .
(٢١) الصلـة ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

الوليد ابن رشـــد (الحفيد) سنة ٥٢٠ هـ. بقرطبة ونشـــأ فيها ، في بيت علـــم وفضل، ممّا كان له اكبر الاثر في تكوينـــه الفكري والثقافي .

مجريـــات حياتـــه :

ولـــد ابن رشد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ. ، ونشأ فيهـــا حيث درس الفقه والطبّ وعلـــوم الاوائل ، وتتلمذ على مشاهير علمائهـــا ... وفي سنة ٥٤٨ هـ. نـــراه في مراكش ، حاضرة الدولـــة الموحّديّة التي بسطت سلطانها علـــى الاندلس والمغرب . وربما كان ابـــن طُفيل ، المفكّـــر المشهور ، وطبيب البـــلاط الموحّدي، هو الذي اشـــار عليه بالقدوم الى عدوة المغرب ؛ اذ قـــام ابن طُفيل بتقديم « ابن رشـــد » الشاب الى ابي يعقوب يوســـف سلطان الموحّدين ؛ وتروي لنـــا المصادر قصّة هذه المقابلة التي كـــان من نتائجها حثّ ابن رشـــد بوضع شروحٍ مُيَسَّرة لأرسطـــو ... (٢٢) .

وتعاقبت الاحداث في حياة ابن رشـــد ... ففي سنـــة ٥٦٥ هـ. تولّى القضاء باشبيلية ، وبعـــد ذلك بسنتين اصبح قاضي قرطبـــة . وبالرغم من مشاغله الكثيرة ، فقـــد ألّف أهمّ كتبه في هـــذه الفترة ..

وفي سنة ٥٧٨ هـ. استدعاه يعقـــوب المنصور، الذي خلف ابـــاه يوسف، لكي يصبح طبيبـــه بمراكش ، فقد تقدمت السن كثيرا بابن طفيل . ولـــم يابث ابن رشد طويلا في البـــلاط الموحّدي ، اذ نـــراه بعد فترة قصيرة يعود الـــى قرطبة ، لكي يشغل فيها منصـــب قاضي القضاة .

كان ابن رشـــد ذا حظوة عند خليفة الموحّدين ، يعقـــوب المنصور، في بداية الامر، ثـــم مالبث ان نقم عليه ، بعـــد ان اتُّهم بالزندقة . فامر الخليفة باحراق كتـــب الفلسفة ، ما عدا كتب الطـــبّ والحساب ، وفرض على ابن رشـــد ان يقيم في « اليسانة » وهي بلـــد قريب من قرطبة ، كانت اولا لليهود ، وان لا يخـــرج عنها (٢٣) . وقد نقم السلطان ايضـــا

---

(٢٢) انظـــر : Encyclo . Vol. II , P. 410 - 413

(٢٣) انظـــر : ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٢٢ .

على جماعة أخرى من الفضلاء الأعيان ، وأمر أن يكونوا في مواضع أخر ، واظهر انه فعل لهم ذلك بسبب ما يُدَّعَى فيهم انهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الأوائل . وهم أبو جعفر الذهبي، والفقيه ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف ، وابو العباس الحافظ الشاعر القرابي (٢٤) .

وفي الحديث عن نهاية محنة ابن رشد ورفاقه يقول ابن ابي أصيبعة : « وبقوا مدة، ثم ان جماعة من الأعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد انه على غير ما نسب اليه ، فرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وجعل أبا جعفر الذهبي مزورا للطلبة ومزورا للأطباء (٢٥) .

وقد أورد « رينان » قطعة من سيرة ابن رشد للأنصاري (وفق مخطوط المكتبة الامبراطورية ملحق عربي سنة ٦٨٢ ، ص ٧) جاء فيها عن محنة أبي الوليد : (٢٦)

« فكمدت سوق السعايات ، وضرب عن كل طالب ومطلوب ، والأعداء كانوا لا يسأمون من الانتظار ، ويرقبون أوقات الفرار ، فلما كان التلوُّم من المنصور بمدينة قرطبة ، وامتدَّ بها أمد الاقامة ، وانبسط الناس لمجالس المذاكرة ، تجددت للطالبين آفاقهم ، وقوي تالبهم واسترسالهم ، فأدلوا بتلك الالقيات، وأوضحوا ما ارتقبوا فيه من شنيع السوءات ، الماحية لأبي الوليد كثيرا من الحسنات . فشُرِئت بالمجلس، وتُدووِلَت اغراضها ومعانيها، وقواعدها ومبانيها، فخرجت بما دلَّت عليه اسوا مخرج . وربما ذيَّلها مكر الطالبين ، فلم يكن عند اجتماع الملأ الا المدافعة عن شريعة الاسلام ؛ ثم آثر الخليفة فضيلة الابقاء ، وأغمد السيف التماس جميل الجزاء ، وأمر طلبة مجلسه وفقهاء دولته بالحضور بجامع المسلمين ، وتعريف الملأ بانه مَرَقَ من الدين ، وانه استوجب لعنة الضالين . واضيف اليه القاضي ابو

---

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) انظر : ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٣٢ .

(٢٦) انظر : رينان ، ص ٤٣٨ ـ ٤٤٤ .

عبد الله ابن ابراهيم الاصولي في هذا الازدحام ، ولُفَّ معه في حريق هذا اللام ، لاشياء ايضا نقمت عليه في مجالس المذاكرة ، وفي اثناء كلامه مع توالي الايام ... » ثم يستمر الانصاري في الحديث عن الاجتماع بالجامع الاعظم بقرطبة ، الى ان يقول : « فنالهم ما شاء الله من الجفاء ، وتفرّقوا على حكم من يعلم السرّ واخفى ؛ ثم امر ابو الوليد بسكنى البسانة ، لقول من قال : انه ينسب في بني اسرائيل ، وانه لا يُعْرَف له نسبة في قبائل الاندلس ... » ثم يتابع الحديث عن ابن رشد وصاحبه الذي لفه الحريق معه فيقول الانصاري « وليس في زمانهما من بكمالهما ولا من نسج على منوالهما ، وتفرق تلاميذ ابي الوليد ايدي سباء » (٢٧)

ومن الواضح انَّ هنالك اسبابًا خفيَّة قد دفعت الى نكبة ابن رشد : فالانصاري مثلا يواصل حديثه فيقول : « ويذكر ان من اسباب نكبته هذه اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة » . وقد اورد ابن ابي اصيبعة اسبابا اخرى . قال القاضي ابو مروان : « وممّا كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان متى حضر مجلس المنصور ، وتكلّم معه او بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي . وايضا فان ابن رشد كان قد صَنَّف كتابا في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ونعت كل واحد منها . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : « وقد رايت الزرافة عند ملك البربر »، يعني المنصور . فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في انه نقم على ابن رشد وابعده ... (٢٨) .

وكانت هذه المحنة التي اصابت ابا الوليد ، مناسبة اغتنمها خصومه للتشنيع عليه (٢٩) .

وبعد عودة الخليفة المنصور الى مراكش ، ما لبث ان عفا عن ابن رشد ورفاقه واستدعاه اليها . ولكنْ ما لبث ابن رشد ان

---

(٢٧) انظر : المصدر نفسه .

(٢٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٣٢ .

(٢٩) انظر : النباهي ، ص ١١١ ، رينان ، ص ٤٣٧ — ٤٤٤ .

توفي فيها ، بعد ذلك بقليل ؛ فكانت وفاته كما اوردها الأنصاري ، ليلة الخميس التاسعة من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة بموافقة عاشر دجنبر . ودفن بجبانة باب تاغزوت . وبعد ثلاثة اشهر حمل الى قرطبة ، فدفن بها في روضة سلفه بمقبرة ابن عباس (٣٠) .

شخصية ابن رشد واثرها في ادبه :

كان لشخصية ابن رشد اثرها العميق في ادبه ، فقد طبعته بطابع العمق والجدية ، ونأت به عن الفنون الادبية التقليدية ؛ ولا عجب اذا رأينا العقلانية والواقعية تطبعان ادبه وانتاجه الفكري في جميع فنون المعرفة ، ولذا كانت الدراية اغلب عليه من الرواية (٣١) .

عُني ابو الوليد ابن رشد بالعلم من صغره الى كبره ، وكانت لهذه الحياة الجادّة آثارها في تكوين شخصيته . فكان على حد تعبير بعض الروايات ، على شرفه ، اشدَّ الناس تواضعا واخفضهم جناحا (٣٢) . ويورد ابن ابي اصيبعة حديثا للقاضي ابي مروان الباجي يقول : « كان القاضي ابو الوليد ابن رشد حسن الراي ، ذكيًّا ، رثّ البزّة ، قويّ النفس ، .. » (٣٣) .

كان لهذه المقومات الشخصية اثرها البعيد في حياة ابن رشد ، وما تركته من طوابع مميّزة في ادبه . فكان الى جانب السيرة الحميدة ، قد وهب ذاته للعلم والمعرفة ، وقَصَرَ حياته على خدمة وطنه .

فهذا صاحب التكملة يتحدث عن هذه الجوانب في شخصية ابن رشد فيقول : « وولي قضاء قرطبة بعد ابي محمد بن مغيث فحمدت سيرته ، وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ، ولا جمع مال ، انما قسرها على مصالح اهل بلده خاصة ، ومنافع اهل الاندلس عامة (٣٤) . وكان الى ذلك نفّاسه ،

---

(٣٠) انظر : رينان ، ص ٤٤٢ .
(٣١) انظر : التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .
(٣٢) المصدر نفسه .
(٣٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٥٣١ .
(٣٤) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

سمحا كريم النفس،فكان يبذل العطاء لقصّاده ، ويُلام احيانا على البذل لمن لا يُحبّونه ولا يُكفّون عن اتّهامه فيقول : إنّ اعطاء العدوّ هو الفضيلة ، اما اعطاء الصديق ، فلا فضل فيه . وقد اعطى مرة رجلا اهانه ، وحذّره من فعل ذلك بغيره لانه لا يأمن بوادر غضبه (٣٥) .

واذا كان ابن رشد متسامحا في امر نفسه ، فانه لم يكن متسامحا في امر غيره ؛ ومن ذلك قصّته مع الشاعر ابن خروف حين هجا ابا جعفر الحميري العالم المؤدب ، فقد اوجع الشاعر ضربا، وانذره ألاّ يعود لمثلها .

كانت شخصية ابن رشد مطبوعة على مزاج الفيلسوف الحكيم ، تنأى به عن الاتجاه الى تلك الفنون الادبية والفنية ، في الظرف والنغم والايقاع ، كما كان الشأن مع جلّة حكماء ذلك العصر واطبائه ، مثل ابن طفيل،وابن باجة،وابن زهر،وغيرهم . وهكذا كان ابن رشد يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة . ولا يبالي تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم،ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه (٣٦) . وربما كانت هذه الصفات من الاسباب الخفيّة التي ادّت الى التنكيل بهذا المفكر الاسلامي العظيم .

لقد اجمع اكثر الدارسين لابن رشد على وصفه بانه « اكثر شُرّاح مؤلفات ارسطو عمقا » (٣٧) . كان ابن رشد معجبا الاعجاب كله بالمعلم الاول « ارسطو » .

ولكن يبقى السؤال الضخم امام دارس ادب ابن رشد ، وهو : الى اي حدّ تاثر ابن رشد شخصيا بآراء ارسطو وفلسفته في الاخلاق والسياسة والخطابة والشعر ؟ وبعبارة اخرى فنحن نتساءل الى اي حدّ نستطيع ان نعتبر هذه الآراء تمثّل فلسفة ابن رشد واتجاهاته في فهم العلوم والآداب ؟

---

(٣٥) انظر : العقاد ، ص ١٩ .
(٣٦) انظر : العقاد ، ص ٢٦ .
(٣٧) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٢٨ .

ومما لا شك فيه ان هنالك عاملين اساسيين أثّرا في مفهومه المتميّز للأدب ، وهذان العاملان هما شخصيّته الجادة ، وتكوينه الثقافي ، واشتغاله بعلوم الأوائل بانصرافه الى دراسة ارسطو والتعمّق بشرح فلسفته وآرائه .

وان نظرة شاملة في مؤلفات ابن رشد (٣٨) تظهر لنا الطابع العقلاني لأدب أبي الوليد ؛ فمؤلفاته بصورة عامة يمكن تقسيمها الى اربعة أقسام : فهنالك شروح أو مصنّفات فلسفية وعلمية ، وشروح أو مصنفات طبية ؛ وكذلك هنالك مصنّفات كلامية وفقهية ، ومصنّفات ادبية ولغوية .

وكان مجال التاليف عند ابن رشد قد تأثر بطبيعة نظرته الفلسفية ؛ فقد حرص دائما على تأكيد ذلك المذهب الفلسفي الذي تميّزت به الفلسفة العربية في الاندلس خاصة ، والفكر العربي بصورة عامة ؛ ونحواه تقسيم الأقيسة الى ثلاثة اصناف : برهانية وجدلية وخطابية . وبناء على ذلك يقسم الناس الى فئات او طبقات ثلاث متقابلة : هم اهل البرهان ، فالجدليون ، فالخطابيون . وهو يعني بأهل البرهان الفلاسفة او الخاصة ، وبالخطابيين جمهور الناس الغالب او العامة ، وبالجدليين طائفة من الناس هي دون الفلاسفة مرتبة ، الا انها مع ذلك تتميّز عن الجمهور ، هم المتكلمون (٣٩) .

وربما يُسْهُل على دارس مؤلفات ابن رشد ، بعد هذا ، ان يصنّفها وفق هذه الأقيسة . فنحن نعتقد مثلا ان كتابة « تهافت التهافت »

---

(٣٨) في مؤلفات ابن رشد انظر : ابن أبي اصيبعة ، ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، التكملة م ٢ ، ص ٥٤٤ — ص ٥٥٥ ؛ الذهبي ، ص ، رينان ، ص ٧٩ — ٩٣ وهما من اكثر القوائم ضبطا وتفصيلا ؛ وهناك نشرة الأب « بوئيج » عن مخطوطات ابن رشد الموجودة في انحاء العالم . وقد اشارت المصادر ايضا الى تلك القائمة المهمة التي تحوي مؤلفات ابن رشد في المخطوطة رقم ٨٨ ، بمكتبة الاسكوريال باسبانيا .

(٣٩) انظر : نخبري ، ص ٣٣ .

هو مساجلة ادبيـــة قام باثنائها بفحص دقيق،وتاويل عميق متبصّر لكتـــاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي . فهـــو ينعي بحرارة على الغـــزالي حين يصرّح بانه لـــم يقصد من تهافته بيان الحقّ في نفســـه ، وانما قصد التشويش على الفلاسفـــة ، ونزع الثقة بهـــم ... (٤٠) . وكذلك تستطيع ان تدرج في إطـــار الادب ، وفق مفهوم ابن رشـــد ، كتابه الذي سمّاه « فصل المقـــال فيما بين الحكمة والشريعة مـــن الاتصال »، وكتاب "منهاج الادلة في علـــم الاصول"... وغيرها ، دون ان نضـــع حـــدًّا فاصلا بين علم الكلام واثره فـــي الادب .

امـــا في مجال اللغة ، فقد اشارت المصادر الـــى « كتابه في العربية الذي وسمـــه بالضروري » (٤١) . وكذلك كتابـــه في الكلام على الكلمة والاسم المشتق (٤٢) . وهكـــذا نستطيع القول إن مجالـــه الادبي قد أثـــرى بتلك المعركـــة الفكرية التي تركت اثـــرا عميقا في التفكير الاسلامي ؛ هذا مع العلـــم ان الفلسفة الادبية لم تشغل ســـوى حيّز صغير فـــي مذهب هـــذا الفيلسوف ، بازاء فلسفته المـــادية . فقد كان الخلاف ، بينه وبين المتكلمين في الفلسفة الادبيـــة،شبيها بالخلاف بينه وبينهـــم في فلسفتـــه الطبيعية (٤٣) .

لقـــد كانت شخصية ابن رشـــد واضحة متميزة في ادبـــه،وفي اجتهاده الفكـــري،وفي فلسفته . وإنّ تصانيفـــه التي وسمها بالشروح ، كانت على مستويات مختلفـــة من حيث المنهج والغاية التـــي يرمي اليها . وهو في ذلك كلّـــه كان يميز احيانا ، حتى في هـــذه الشروح ، بين رايـــه وراي المتن الذي يشرحـــه .

وهكذا فان شخصية هـــذا القاضي الفيلسوف ، التـــي طُبِعت على الجِـــدّ ، قد تركت آثارها العميقة فـــي مفهومه للأدب . فقد كان

---

(٤٠) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٦٧ .
(٤١) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .
(٤٢) انظر : رينان ، ص ٩٠ .
(٤٣) انظر : فرح ، ص ٥٨ .

يتعفّف عن حضور مجالس اللهو والطرب ، مما استباحه جملة من علماء عصره وحكمائه . وقد بلغ من تعفّفه عمّا لا يراه خليقا بعلمه ومكانه من القضاء انه ، « احرق شعره الذي نظمه في الغزل ايام شبابه » . وبذلك ، مع الاسف ، حُرِم الدارسون من مصدر مهم من مصادر دراسة ادبه وحياته .

وفي هذا الاطار العقلاني لمفهوم الادب ، وتغليبه هذا الجانب على الجانب الفني ، نورد الرواية التالية :

قال ابو الفضل التفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد ابن رشد والرئيس ابي بكر ابن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما ادري ما تقول ، غير انه اذا مات عالِمٌ باشبيلية ، فأُريدَ بَيْعُ كتبه، حُمِلَت الى قرطبة حتى تُباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأُريدَ بَيْعُ آلاته، حُمِلَت الى اشبيلية (٤٤) .

ارتباط الأدب عند ابن رشد بالحقيقة والمعرفة :

نظر ابن رشد الى الادب نظرة شاملة وعميقة ، وقد فهم رسالته الادبية من خلال اتجاهين اساسيين استغرقا حياته الادبية كلّها . وهذان الاتجاهان يتميزان بالبحث عن الحقيقة وواجب الوجود من ناحية ، وعن المعرفة التي هي عبادة للخالق ؛ ويلتقي ابن رشد في ذلك مع الفارابي وغيره من المفكرين الاسلاميين الذين يعتبرون البحث عن المعرفة عبادةً لله، سبحانه وتعالى، وتسبيحا له في ملكوته . ولنستمع الى ابن رشد في هذه العبارة التي حُذِفَت، على حد تعبير « رينان »، من شرح ما بعد الطبيعة في الطبعات اللاتينية ، وقد ترجمها مسيو « منك » من العبرية .

قال ، قال ابن رشد : « يقوم دين الفيلسوف الخاص على دراسة ما هو كائن ؛ وذلك لان ارفع عبادة يمكن ان يعبد الله بها ، تقوم

---

(٤٤) النسخ ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

على معرفة ما صنع ، لما يؤدي اليه هذا من معرفتنا اياه على حقيقته كلها . وهذا هو اصلح الأعمال عند الله ... » (٤٥) .

اتجه ابن رشد الى البحث عن الحقيقة ، تاركا لنا في ذلك نتاجا خصبا واديا رفيعا يقع على حد تعبير بعض الروايات في حوالي عشرة آلاف ورقة .

وهو في بحثه عن الحقيقة ، كان له موقف متميّز عن المسائل الكبرى التي اثارت الجدل في عصره وفيما تلاه من القرون الوسطى . فقد ثار الجدل حول مسالة قِدَم العالم ، ومسالة علم الله بالجزئيات ، ومسالة النفس وبقائها ؛ هذا فضلا عن مسالتين أخريين ، ثار حولهما الجدل واحتدم، وهما : مسالة الصفات الالهية، ومسالة الحقيقتين . والمسالة الاخيرة مؤداها ان حقيقة الشرع وحقيقة العلم والحكمة شيء واحد، يختلف في العبارة ولا يختلف في الجوهر . وقد شغلت هذه القضية اقلام الكتّاب والمفكرين في ذلك العصر . فوضع ابن طفيل قصّته المعروفة « حي بن يقظان »، ووضع ابن رشد كتابه المرسوم « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » . والفكرة التي املت على ابن طفيل قصته ، هي ذاتها التي املت على ابن رشد كتابه . وان الفرق بين الاسلوبين يعود الى الفرق بين شخصيّتَي الكاتبين .

فابن طفيل ، كما يبدو من اخباره وآثاره ، صاحب مزاج طريف ، يُحسن فنَّ المنادمة والمسامرة ، في حين ان شخصية ابن رشد الجادة ، ونظرته العقلانية الى الاشياء ، قد تردد اصداؤها في ادبه ، مما حدا بمن ترجموا له بوصفه بان الدراية كانت اغلب عليه من الرواية (٤٦) . وكان وصفه هذا في مجال الفقه ، ولكنه ينسحب بطبيعة الحال على حياته الثقافية والفكرية كلها . فقد تميز ابن رشد منذ وقت مبكر في

---

(٤٥) رينان ، ص ١٧٦ .

(٤٦) التكملة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

مجال الفقـــه ، بالنظرة العقلية والقياس في الأحكـــام . هذا مع العلم أن محصوله في الروايـــة كان واسعا . وان المصـــادر تُحدّثنا بمقدار ما كان يحفظ الموطّـــا عن ظهر قلب (٤٧) .

وان نزعة التوفيق بـــين الشريعة والفلسفة تُعتبَر معقـــد الأصالة والطرافة في تفكيره . أمـــا في مجال المعرفة ، فـــلم يَتوانَ ابن رشد في البحـــث والتنقيب عن جميـــع المعارف الانسانية دراسة وتحقيقـــا وشرحا ، وفي مختلـــف الحقول ، في الطـــب والمنطق والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها مـــن صنوف المعارف الانسانيـــة

فالبحث وراء المعرفـــة ، في نظر ابن رشد يُقرّبُه الى فهـــم حقيقة الخالـــق ؛ فهو عبادة وتسبيح للّـــه في ملكوته وبالتالي فان هـــذا المسرى يؤدي بـــه الى فهم جوهر الدين وحقيقته، حيث يُتمّـــم « الوحي » ما عجز عنه العقـــل . وهكذا فان الأدب ونتاج الفكـــر الانساني يرتبط في نظر ابن رشـــد بالحقيقة والمعرفة من حيث الغايـــة والهدف .

الخطابة عند ابـــن رشد :

وفي هذا الموضوع لا بُـــدَّ لنا ان نقف عند كتـــاب « تلخيص الخطابة » ، حيث يبدأ ابن رشـــد الكلام فيه في كل فقرة بقوله : « قال » ثـــم يورد بضع كلمات من أوائـــل الفقرة، ويمضي بعد ذلك فـــي الشرح ، دون أن يتميز مـــا لأرسطو مما لـــه هو ذاته ، ويستطرد أحيانا ويأتي بكثير من الأمثلة من عنـــده، ولكنه في هذا كلّه يتابع ترتيـــب النص الاصلي لأرسطو ويتقيّد بـــه . ويتوسع أحيانا ، فيزيد كثيرا عـــن حجم نص ارسطو (٤٨) . وقد فرغ ابن رشـــد من كتابه هذا يـــوم الجمعة الثالث من شعبان من عـــام سبعين وخمسمائة ، بقرطبـــة (٤٩) .

وقد تَوسَّع ابـــن رشد في ايضاح معاني ارسطو التي يذكرها النص ؛ وهو يعترف فـــي نهاية الكتاب أن ما سَجّله لـــم يتعدَّ فيه

---

(٤٧) انظر : رينـــان ، ص ٦٣ .
(٤٨) انظر : تلخيص الخطابـــة ، ص ر .
(٤٩) تلخيص الخطابة ، ص ٢٣٢ .

واستيعابه لهذه النصوص ، اذ يقـول : « وقد لخصنا منها مـا تأدى الينا فهمه ، وغلب على ظننا انـه مقصوده ؛ وعسى اللـه أن يُمنّ بالتفرغ التام ، للفحص عـن نص اقاويله في هذه الأشيـاء (٥٠) .

وان هذا الاتجاه يحملنا على الاعتقاد بطابع ابن رشـد وشخصيته في هذه الشروح ، ولا سيمـا في « تلخيص الخطابة »فنراه مثـلا يستبدل في كتابه هـذا بالأمثلة اليونانية نظائرها في اللغـة العربية ، متلائما مع البيئة العربية الاسـلامية التي يكتب لها ويعيش فيهـا ؛ فيورد شواهد من الفقـه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية . وقد نجـح ابن رشد نجاحا كبيرا فـي تطبيق القواعد والنماذج التي يذكرها ارسطو ، على اللغة العربية وتراثهـا ، ولا سيما في المقالة الثالثة : اقسام فـن الخطابة ، في صفات الأسلوب ... الـخ (٥١) .

فان ابن رشـد يتبنّى مذهب « المعلم الأول » ارسطـو في الخطابة، كما يتبناه في الشعـر ، كما سنرى فيما بعد. « فصناعة الخطابـة » تناسب صناعة الجـدل ، وذلك ان كلتيهما تَؤُمّان غاية واحـدة وهي مخاطبة الغير ... ويوجـد استعمالهما مشتركا للجميع ؛ اعنـي ان كلّ واحد من الناس يستعمـل، بالطبع، الأقاويل الجدليـة والأقاويل الخطابية ... (٥٢) . وفي موضع آخـر يقول : « وكلّ واحد مـن الناس يوجد مستعملا لنحو مـا من انحاء البلاغة ، ومنتهيا منها الـى مقدار ما ، وذلك في صنفـي الأقاويل اللذين احدهما المناظـرة، والثاني التعليم والارشاد . وأكثر ذلـك في الموضوعات الخاصة بهـذه الصناعة، وهي مثل الشكاية والاعتذار وسائر الاقاويل التي في الأمور الجزئية ... (٥٣) .

فالكلام عنده علـى مذهب ارسطو ، مركّب مـن ثلاثة : من قائل ، وهو الخطيب؛ومـن مقول فيه ، وهو الذي يعمل فيـه القول ؛ ومن

---

(٥٠) تلخيص الخطابة ، ص ٣٣٢ .
(٥١) انظر : تلخيص الخطابة ، ص ٢٤٨ ــ ٣٣٢ .
(٥٢) تلخيص الخطابة ، ص ٣ .
(٥٣) تلخيص الخطابة ، ص ٤ .

الذين يوجه اليهم القول ، وهم السامعون . والغاية بالقول انما هي متوجهة نحو هؤلاء السامعين . والسامعون لا محالة إمّا مُناظِر ، وإمّا حاكم ، وإمّا المقصود اقناعه ... والحاكم في الأمور المستقبلة ، هو الرئيس ، والحاكم في الأمور الكائنة هو الذي ينسبه الرئيس مثل القاضي في مدننا هذه وهي مدن الاسلام . واما الناظر فانما يناظر بقوة الملكة الخطابية (٥٤) .

ولنستمع لابن رشد كيف يطبّق نظريات ارسطو في تفصيل الأقاويل الخطابية على نصوص من اللغة العربية ، بل يستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم . قال : والمكرور والمماثل في الأقاويل الخطابية ، هو ان يكون اول القول وآخره بلفظ واحد او قريب من الواحد . وهذا مثل قولهم : « القتل انفى للقتل » ، ومثل قوله تعالى (الحاقة ما الحاقة ، وما ادراك ما الحاقة) .. (٥٥) .

وهنالك أمثلة كثيرة ؛ بل ان المقالة الثالثة كما اشرنا سابقا ، هي محاولة جادّة من ابن رشد ، لكي يتمثّل نظريات ارسطو في الخطابة ويطبقها على اللغة العربية وآدابها . ولنستمع اليه يقول :

« وأما الأسماء المترادفة ، فصالحة جدًّا لصناعة الشعر . وقد تصح ايضا لصناعة الخطابة . والشاعر يستعمل هذا الصنف لأسباب اخصّها به استعمالها لتصحيح الوزن والقافية ، مثل قوله :

« وهِنْدٌ أتى مِن دونها النأيُ والبُعدُ » (٥٦) .

فابن رشد يشير بهذا النص الى بيت للحطيئة من داليّته المشهورة التي يمدح بها بغيض بن عامر ، ومطلعها :

« ألا طَرَقَتْنا بَعدما هجعوا هِندُ — وقد سِرْنَ خَمساً وآتلأبَّ بنا نَجدُ » .

وتمام البيت الذي استشهد به ابن رشد هو :

---

(٥٤) تلخيص الخطابة ، ص ٢٨ — ٢٩ .
(٥٥) تلخيص الخطابة ، ص ٢٨٨ .
(٥٦) تلخيص الخطابة ، ص ٢٦٣ .

ألا حَبّذا هِندٌ وأرضٌ بها هِندُ : وهِنْدٌ أتي مِن دونها النأى والبعد

وفي حديثه عن توابع الالفاظ يقول :

« وينبغي ان تعلم ان الاخذ بالوجوه (٥٧) ليس له غناء في الخُطَب المكتوبة وانما غناؤه في المَتْلُوّة ؛ وان عادة العرب في استعمالها قليلة . وأما من سلف من الامم ، فربما اقاموها في الاشعار مقام الالفاظ ، اعني التشكيلات ، ويحذفون اللفظ الدالّ على ذلك المعنى اما ارادة الاختصار ، وإما طلباً للوزن والالذاذ ؛ وهذا لم تجر به عادة العرب . ولهذا صار ما يقول ارسطو في كثير من هذه الاشياء ، كما يقول ابو نصر ، غير مفهوم عندنا ولا نافع . والاخذ بالوجوه انما هو نافع اكثر في الخطب التي تتلى على جهة المنازعة ، لانه انما يحتاج الى الاستعانة بجميع الاشياء المقنعة في موضع المنازعة لتحصل الغلبة .

ومثل هذه الخطب هي الخطب التي كانت بين علي ومعاوية . ومثال ذلك في الاشعار ، كالاشعار التي كانت بين جرير والفرزدق (٥٨) .

وهكذا فقد اضاف ابن رشد اضافات اصيلة في الشروح التي وضعها على مصنّفات ارسطو . ولم يَكتفِ بالنقل ، بل ترك آثار عبقريته الفذّة على تلك النظريات والآراء ، التي قامت بدور مهمّ في النهضة الادبية فيما بعد .

ابن رشد والشعر :

لم يكن ابو الوليد ابن رشدا شاعرا ولا ذا طبيعة شعرية ؛ فان اتجاهه الفكري ، وما جُبِل عليه من جدّية في التفكير والسلوك ، كانا ينأيان به عن حياة الفن والشعر .

ولم يكن ابن رشد في عالم الشعر ، مع ذلك كله ، بأقل من اولئك النجباء ، الاذكياء من نظرائه من كبار الفلاسفة ، والاطباء والفقهاء ،

---

(٥٧) وقد عرّف « الاخذ بالوجوه » بقوله : « الامور المستعملة مع الالفاظ على جهة المونة في جودة التفسير وايقاع التصديق وبلوغ الغرض المقصود » . انظر : تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٠ .

(٥٨) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

كابن سيناء وابـــن حزم وغيرهما ، في المشرق ، كما هـــو في المغرب والأندلس ؛ وقد كان الشعر في الأندلس،على حـــد تعبير بعض الروايات ، سائرا على جميع الالسنـــة في الأندلس ؛ فالشعر يجري علـــى ألسنة الرجال كما يجري على ألسنـــة النساء ، ويجري على ألسنـــة الشعراء كما يجري على ألسنـــة الفقهاء والعلماء . ولكنَّ شعـــر هؤلاء العلماء لم يكن ليتجاوز النظـــم والتاليف المحكم بين المقاطع والالفاظ . ونحسن اذا استثنينا بعض الامثلـــة القليلة ، فاننا نستطيع القـــول : إن جميع هؤلاء العلماء قـــد نظموا الشعر وانتحلوه ، دون أن يكونـــوا ذوي شان في مجال الغنائية او الفـــن ، ولكنه حلية يتَّصف بها كـــل نجيب . وكان ابن رشـــد من كبار هؤلاء النجباء الالبّاء ، فلا بـــدّ من أن يضيف الشعر الى جملة علومـــه وكفاياته .

فهذا ابـــن الابار يصفه فيقـــول :

« وكان يُفزَع الـــى فتواه في الطب كما يُفزَع الـــى فتواه في الفقه ، مع الحظّ الوافر مـــن الاعراب والآداب . حَكَى عنـــه ابو القاسم بـــن الطيلسان انـــه كان يحفظ شعر حبيب والمتنبـــي ، ويُكثر التمثّل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك احســـن ايراد » (٥٩) .

ويحدّثنا ابـــن سعيد ، صاحب المغرب ، وقد كـــان قريب عهد من الفترة التي عاش فيها ابـــن رشد ، فيقول : « ادركه والدي وقـــرأ عليه ، وقال في وصفـــه الشقندي : « فقيـــه الاندلس ، وفيلسوفها الـــذي لا يَحتاج في نباهته الى تنبيـــه » . وانشد من شعره قولـــه :

مـــا العِشـــقُ شأني ، ولكـــنْ لستُ أُنكِرُهُ
كـــم حَـــلَّ عقـــدة سلوانـــي تَذَكُّـــرُهُ

مـــن لـــي بِغَضِّ جفوني عـــن مخبَّرة الـــ
أجفـــان قـــد اظهَرَتْ مـــا لســـتُ أُضْمِرُهُ

---

(٥٩) التكملـــة ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

لـــولا النُّهـــى لأَطعْـــتُ اللَّحْـــظ ثانيـــةً
فيمـــــن يَـــرُدُّ ســـنـــــا الالحـــاظ مُنْظَـــرُهُ

مـــــا لابْـــنِ ستّـــينَ قادَتْـــــه لِغايَتِـــــهِ
عشريـــــةٌ فتـــــاى عنـــــه تَبَصُّـــــرُهُ

قـــد كـــان رضوى وقـــارًا فهـــو سافيـــةٌ
الحُسْنُ يـــورِدُه ، والهون يُصـــدِرُهُ (٦٠) .

وفي هـــذا الموضوع ، يتحدث الفيلســـوف الفرنسي المشهور ، ارنست رينـــان ، فيقول :

« ونعلم من ليـــون الافريقي ان ابن رشـــد كان قد نظم عدة قصائد خلقية وغزلية ، فاحرقهـــا في مشيبه ؛ وينقل ليون الينا قطعة منهـــا تجعلنا نفترض بالحقيقـــة ، كون الحكمة ، من بعض النواحي ، لـــم تأت ابن رشد الاّ مـــع السنين .. (٦١) . ومهما يكن من أمـــر ، فقد راض ابن رشد نفسه علـــى التوقّر فبالغ في رياضتهـــا ، وربّما دفعه ذلك الى حرق اشعـــاره نظمها في صباه ؛ وبذلك ، مع الاســـف ، فَقَدْنا لونًا مهمًّا من نتاج عبقريته ، يمكـــن ان يُلقي ضوءا على حياته الخاصـــة ونتاجه الفلسفي .

لـــم يكن ابن رشد ممن نَظَـــم الشعر وانتحله ، على مذهب نظرائه من العلماء والفلاسفة ، ولكنه كان لـــه موقف من الشعر ، بصورة عامـــة ، يتداخل مع موقف ارسطـــو ونظريته في الشعر . والواقـــع ان تلخيصه « فـــن الشـــعر » لارسطو يشهد بعلوّ كعبه في الادب العربـــي ، ولا سيما شعر مـــا قبل الاسلام .

وتجـــد في كل صفحة من هذا الكتاب ، على حـــد تعبير المستشرق الفرنسي ارنست رينـــان ، استشهادا بعنترة وامرىء القيس والاعشـــى والنابغة وابي تمـــام والمتنبي وكتاب الاغانـــي ... (٦٢) .

---

(٦٠) المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .
(٦١) رينـــان ، ص ٦٢ ــ ٦٣ .
(٦٢) انظر : رينـــان ، ص ٦٣ .

ويربط ابن رشد بين الموسيقى والشعر ، كما هو الأمر عند أرسطو ؛ فالموسيقى بنظره تُعنَى بتثقيف النفس وتمريسها على الفضائل الخلقية . وهو يعني بالموسيقى الأقاويل المطيبة ذات اللحن ، على حد تعبيره . فكانت بهذا الفن خادمة لصناعة الشعر الذي يؤثر في الصِبْيَة والأحداث اكثر من الخطابة والبرهان — وهما ضربان من ضروب الاقناع — . فاذا رقوا عن هذا الطور استعملت معهم الأقاويل الخطابية والجدلية ، وفي الطور الأخير البرهانية التي يراد بها الفلاسفة او الحكماء خاصة (٦٢) .

فابن رشد ينظر الى الشعر ، وفق نظرة أرسطو ، وذلك من خلال وظيفته في التربية وتأثيره في الناشئة ؛ ومن ناحية اخرى فانه يرى فيه صنفا من صنوف الاقناع ؛ والاقناع احد سبيلين رئيسيين لغرس الفضائل في نفوس سكان الدولة . فالاقاويل المطيبة والشعرية يخاطَبُ بها الجمهور ، وقد اعتمدها ايضا افلاطون في « الجمهورية » (٦٤) .

فابن رشد يقف من الشعر من خلال وظيفته التربوية موقفا هادفا ؛ فمن القصص التي ، كما يقول ، ينبغي نبذها ما كان حاثا على طلب اللذة او على ابتغاء المال ، لانها تحول دون التمرس بسياسة الجندية . وهذه المفاسد ، كما يقول ابن رشد ، يكثر ذكرها في اشعار العرب ، « فلم يكن اضر من تلقينها للصبية منذ نعومة اظفارهم » ؛ وهو ما درج عليه معلموهم منذ القدم (٦٥) .

لا شك ان ابا الوليد يقف موقفا انتقائيا من الشعر العربي في مجال التربية . وهذا امر ينسجم والاهداف التربوية السامية ، التي رسمها منذ البداية ، من وجوب غرس الفضائل في نفوس ابناء المدينة الفاضلة . ولا يمكن ان يكون هذا الموقف حُرْها للشعر العربي

---

(٦٣) انظر : فخري ، ص ١٢٣ .
(٦٤) انظر : فخري ، ص ١٢٣ .
(٦٥) انظر : فخري ، ص ١٢٦ .

بصورة عامة ، وهو الذي كان يحفظ شعر حبيب والمتنبي ، ويُكثر التمثل بهما في مجلسه .

كان لابن رشد باع في قول الشعر ، ولكنّه لم يكن يمثل جوانب عبقريته المشرقة ؛ وكانت له آراء ونظرات فنية ونقدية فيه امتزجت بآراء ارسطو ونظرته للشعر امتزاجا كلّيّا . ونحن نعتقد أن ابن رشد قد حالفه التوفيق في مجال الشعر كما حالفه في مجال الخطابة ، من حيث محاولته لتطبيق نظريات ارسطو على نماذج اصيلة في اللغة العربية وآدابها ، شعرا ونثرا ...

ادب ابن رشد ونزعته الانسانية والاجتماعية :

لقد ذاع صيت ابن رشد بين « اللاتين » لأمرين ؛ لكونه طبيبا وكونه شارحا لأرسطو ؛ بيد ان فخره شارحا اعظم من فخره طبيبا بمراحل . فمهما يكن من شهرة نالتها « الكليات » لم تبلغ ما ناله « قانون » ابن سيناء من اعتبار بالغ (٦٦) . وانما انتهى بشرحه الاكبر الى تكوين قطب ثبت في الفلسفة ، « فالطبيعة تفسر بارسطو، وارسطو يفسر بابن رشد » (٦٧) .

وألّف ابن رشد،عدا هذه الشروح ، عددا كبيرا من الكتب يُعْسُر احصاؤها تماما . وقد شَمَلت مؤلفاته مختلف مجالات المعرفة الانسانية : في الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفقه ، والفلك ، والطب ، والنحو ، واللغة .

ونحن اذا تجاوزنا مفهوم الادب من حيث هو نتاج فكري هدفه التسلية والموعظة الى مفهوم أعمّ ، وذلك من حيث هو نتاج فكري يؤثر الكاتب من خلاله في القارىء ويحركه نحو الأفضل ، نكون قد افردنا كثيرا لكي نصنّف في هذا الاطار مجموعة من مؤلفات ابن رشد الادبية ، وأهمّها :

---

(٦٦) انظر : رينان ، ص ٧٣ .
(٦٧) المصدر ذاته .

١ ــ كتاب « تهافت التهافت » ، وقد وضعه ابن رشد لكي يرد به كتاب الغزالي الذي عنوانه « تهافت الفلاسفة » .

٢ ــ كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، وقد حاول فيه ابن رشد أن يوفّق بين الشريعة والفلسفة .

٣ ــ كتاب « الكشف عن مناهج الأدلّة » .

ولكي نستطيع أن نفهم اتجاهات ابن رشد في مؤلفاته المتأخرة ، لا بُدَّ لنا أن نتعرف على نظرة ابن رشد للكاتب ، من ناحية ، وللجمهور الذي يكتب اليه من ناحية اخرى . فالناس في نظره مختلفون حسب استعداداتهم وقدراتهم ، ومن هذا التفاوت في الفِطَر والعقول ، جعل الناس على حد تعبيره طوائف ثلاثا :

١ ــ الخطابيّون ، وهم الجمهور الغالب الذي يصدق بالأدلة الخطابية .

٢ ــ اهل الجدل ، ومنهم رجال علم الكلام ؛ وهم الذين ارتفعوا من العامة ولكنّهم لم يصلوا لاهل البرهان اليقيني .

٣ ــ البرهانيون ، بطبعهم وبالحكمة التي أخذوا انفسهم بها .

وبناء على ذلك يقول ابن رشد بانقسام الشريعة الى ظاهر له اهله ، وهم العامة واشباههم ، وباطن له اهله ، وهم ذوو البرهان (٦٨).

وان نظرية ابن رشد في التعلُّم تقوم على هذه الفروق الفردية ، اذ كان ينادي دائما « بأنَّ جَعْلَ الناس شرعا واحدا في التعلُّم خلاف المحسوس والمعقول » ؛ هذه النظرية التي كانت معروفة جيدا عند الكثير من الفلاسفة قبله ، مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما ...

كان ابن رشد يرى وجوب تقيد الكاتب بنوعية الجمهور الذي يكتب اليه . فقد حرم مثلا الحديث مع الجمهور في علم الله على النحو

---

(٦٨) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٩٣ .

الفلسفي . وقد اخذ على الغزالي اثباته التأويل في غير كتب البرهان ، وتقديمه ذلك الى جمهور الناس . وشجب المتكلمين ، وبخاصة المعتزلة ، انهم بتأويلهم التي مَرَّحوا بها للجمهور ، اوقعوا الناس في شبهات وتباغض وحروب ، ومزقوا الشرع (٦٩) .

ولكننا نجد ابن رشد يقع في مثل هذا الطبع ، فيعتذر ، بأن الجمهور قد عرف من اولئك الذين يلومهم هذه التأويل . فكان لا بدَّ له أن يتكلم فيها ، وذلك لبيان الحق من جهة ، ولدفع الأذى من الجمهور من جهة اخرى .

وان هذا اللون من الكتابة التي خرج بها من اطار كتب الخاصة ، اهل البرهان ، الى نطاق العامة ، اهل الجدل والخطابة ، ليست في جوهرها سوى مساجلات ومناظرات كتابية ، يحاول الكاتب دحض آراء خصومه ، واصلاح ما افسدته ، على حد تعبيره ، لدى الجمهور . بل يتضح احيانا ان بعض الأفكار ، لا سبيل الى انشائها في هذا الكتاب ، مما يؤكد أن كتاب « تهافت التهافت » ، ليس من الكتب التي تُدَّخَر للخاصة،وانما هو كتاب للعامة،على حَدّ مفهومه ؟ اذ يقول احيانا في مناقشة بعض الموضوعات : ، « وهذا العلم لا سبيل الى افشائه في هذا الموضع » (٧٠) .

وان اسلوب ابن رشد في « تهافت التهافت » ، يبتعد كثيرا عن الأساليب البرهانية ، فقد خرج به من هذه الدائرة من حيث الهدف ، ولكنه يتلوَّن احيانا بانفعالية تُخرج الكاتب عن وقاره وموضوعيته الى السباب والتهكم اللاذع .

فيشير الى ابي حامد الغزالي فيقول : « فاتيانه بمثل هذه الأقاويل السفسطائية قبيح ، فانه يُظَنُّ به انه ممن لا يذهب عليه ذلك ، وانما اراد بذلك مداهنة اهل زمانه » (٧١) وهذه تهمة ، ولا شكَّ ، خطيرة يوجّها ابن رشد الى ابي حامد . وفي موضع آخر يقول :

---

(٦٩) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٠١ .
(٧٠) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٢ .
(٧١) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٩٣ .

« قلت : هذا الكلام،الذي هو جواب عن الفلاسفة ، في نهاية السقوط » (٧٢) . وفي مكان آخر « قلت : هذا كله سفسطائي خبيث » (٧٣) . وكذلك : « هذا بَيِّن بنفسه » وقائل هذا ، هو الملبس ، لا الفلاسفة ، فان الملبس هو الذي يقصد التغليط لا الحق . واذا اخطأ في الحق فليس يقال فيه : انه ملبس » (٧٤) . وفي تعليق له حول بعض الافكار يقول : « وهذا كله عند الفلاسفة هوس وتخليط » (٧٥) . وكثيرا ما يَتَّهم ابنُ رشد ابنَ سينا وشيعته فيقول : « فانظر هذا الغلط ، ما أكثره على الحكماء ؟ فعليك ان تتبين قولهم هذا : هل هو برهان أم لا ؟ اعني في كتب القدماء ، لا في كتب ابن سينا وغيره ، الذين غيَّروا مذهب القوم في العلم الالهي ، حتى صار فلنيا » (٧٦) .

ويتهم احيانا ابن سيناء،والفارابي احيانا ، بعدم فهم مذاهب قدماء الفلاسفة ، فيقول : « قلت : هذا كله تَخَرُّص على الفلاسفة من ابن سيناء وابي نصر ، وغيره ... (٧٧) . وقد يهاجم الغزالي بعنف ، مع دحضه لآراء ابن سينا اذ يقول : « واما الكلام فيما سئل عنها (أي العقول) فانفرد ابن سينا بالقول الذي حكاه (أي الغزالي) عن الفلاسفة وتَجَرَّد هو للرد عليهم ، ليوهم انه ردّ على جميعهم .

وهذا ، كما قال ،"تَعَمُّق ممَّن قاله في الهوس » (٧٨) . وهو هو أيضا ينعي على الفارابي وابن سينا مقالهما ، اذ يصيح مندهشا : « والعجب كلّ العجب ، كيف خفي هذا على ابي نصر وابن سينا ، لأنهما أول من قال هذه الخرافات،فقلَّدهما الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة ... » (٧٩) .

---

(٧٢) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ١٦٠ .
(٧٣) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
(٧٤) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
(٧٥) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
(٧٦) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
(٧٧) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
(٧٨) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .
(٧٩) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

وان مثل هـذه الاشارات التي تنم عن اسلوب انفعالـي كثيرة جـدا . وهو في اسلوبه هذا قد يَعْنُف الى حـدّ السباب،ويهزأ الى حـد السخرية اللاذعة . ففي مناقشته لبعض آراء ابـي حامد يقول : « فهو صادق في ذلـك ، اذ لم يبلغ الرجـل المرتبة من العلـم المحيطة بهذه المسألة . وهذا هـو الظاهر من حاله فيما بعد .. » (٨٠) .

وقد وقع ابـو حامد الغزالي في تيّار السباب والعنف ايضـا ؛ ولنستمع الى الغزالي وقد جاوز حـدّ الانفعال الى السباب تقريبا اذ يقول :

« قال ابـو حامد رادًّا على الفلاسفـة :

« قلنا : مـا ذكرتموه تحكّمات ، وهي علـى التحقيق ظلمات فوق ظلمات ، لـو حكاه الانسان عن منام رآه ، لاستدلّ بـه على سوء مزاجـه ، او اورد جنسـه في الفقهيات ، التي تصارى الطلب فيهـا تخمينات ، لقيل : إنهـا ترّهات ، لا تفيـد غلبة الظنون » .

فهي على حـدّ تعبير ابي حامد ، تحكّمـات ... وظلمـات ... وترّهات ... الـخ . وعندما يناقشه ابن رشد ، يقابله انفعالا بانفعال ، وانتقاصـا بانتقـاص .

يقول ابن رشـد في الرد على الغزالي،بعد ان أورد مـا حكاه سابقا : « قلـت : « لا يبعد ان يعرض مثل هـذا للجهال مع العلماء ، والجمهور مـع الخوامّ ، كما يعرف ذلك لهـم في المصنوعات ؛ فان الصُنّاع ، اذا اوردوا صفـات كثيرة من مصنوعاتهم على العوام،وتضمنوا الأفعال العجيبة عنهـا ، هزىء بهم الجمهور ، وظنوا انهـم مبرسمون ، وهـم في الحقيقة الذين ينزلون منزلة المبرسمين مـن العقلاء ، والجهال من العلماء . وامثال هـذه الاقاويل لا ينبغي أن نتلقى بها آراء العلمـاء واهـل النظـر » (٨١) .

---

(٨٠) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

(٨١) تهافت التهافت ، ج ١ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

وهكذا فنحن نستطيع أن نصنّف كتب ابن رشد هذه خارج دائرة الخاصة ، وانها موجهة الى العامة من القراء،وهي بذلك تخرج من ميدان البحث الفلسفي الرصين ، الى ميدان المساجلات الأدبية واساليبها ... لقد كتب ابن رشد مؤلفاته هذه وقد وجهها الى العامة ، وفق مفهومه ، يريد اصلاح ما افسدته اقوال السابقين . فهو يحاول اصلاح ما افسده سابقوه بالتصريح بآراء مُغرضة ، وتاويل ضالة ، تلقفها غير اهلها ، فعمَّ بذلك ضررها ... (٨١) .

وفي هذه المساجلة الفكرية ، يقول العقاد : « فلم يحفظ لنا تاريخ الفكر مساجلة بين حكيمين في قوة المساجلة التي دارت بين ابن رشد والغزالي ، ومضاء سلاحهما،ونفاذ حججها وبراهينها ... » (٨٢) .

ولم يكن ابن رشد في شروحه المشهورة وفي تصانيفه ، العلمية منها والفقهية والأدبية ، سوى مفكّر عظيم يُوجِّهُ جميع طاقاته وجهة انسانية رفيعة ، هَدَفُها الأسمى تنمية الفضائل لدى افراد الأمة ، وخلقُ مجتمع اسلامي قويم .

ونحن نلمس هذه النزعة الواقعية في مختلف مصنفاته،الى جانب تلك النزعة الانسانية السامية .

ونحن،اذا استثنينا بعض الاشارات المقتضبة الى قضايا اخلاقية وسياسية ، نلمحها في بعض مؤلفاته ، كتهافت التهافت ، والكشف عن مناهج الأدلة،وسواها ؛ فقد اقتصر ابن رشد في تاليفه في الاخلاق والسياسة ، على شرح الأخلاق الى نيقوماخس ، وجوامع سياسة افلاطون ... (٨٤) . وقد فَصَّل ابن رشد في شروحه هذه ما فعله في شرح الخطابة والشعر . فهو لا يكتفي بشرح الجمهورية ، بل يعمد الى تطبيق بعض مبادئها على الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في البلاد الاسلامية آنذاك ، وخاصة الأندلس والمغرب .

---

(٨٢) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ١٠١ .
(٨٣) العقاد ، ص ٥٥ .
(٨٤) انظر : فخري ، ص ١١٨ .

فصلاح المجتمع وسعادته ، هو الهدف الأسمى ، الذي كان يرمي اليه ابن رشد في جميع مصنفاته ، العلمية منها والفلسفية واللغوية ؛ فقد ختم كتابه المشهور في ميدان الفقه « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ، بقوله :

« وينبغي قبل هذا ان يُعْلَم ان السنن المشروعة العملية المقصود منها هو الفضائل النفسانية ، فمنها ما يرجع الى تعظيم من يجب تعظيمه ، وشكر من يجب شكره،و في هذا الجنس تدخل العبادات ... ومنها ما يرجع الى الفضيلة التي نسميها « عفّة » ... ومنها ما يرجع الى طلب العدل والكفّ عن الجور ... ومنها السنن الواردة في الأعراض ، ومنها السنن الواردة في جمع الأموال وتقويمها ، وهي التي يُقصَد بها طلب الفضيلة التي تسمَّى السخاء،وتجنُّب الرذيلة التي تسمى البخل ؛ والزكاة تدخل في هذا الباب من وجه، وتدخل في باب الاشتراك في الأموال ؛ وكذلك الأمر في الصدقات .

ومنها سنن واردة في الاجتماع الذي هو شرط في حياة الانسان وحفظ فضائله العلمية والعملية ... ومن السنن المهمّة في حيّز الاجتماع السنن الواردة في المحبّة والبغضة والتعاون على اقامة هذه السنن ؛ وهو الذي يسمَّى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ... الخ .. » (٨٥) .

فمن الواضح ان ابن رشد يرى أن الدين يرمي بشعائره واوامره الى غايات انسانية واجتماعية رفيعة ، هَدَفُها صلاح المجتمع وسعادته . وكان لابن رشد ، من خلال ادبه،موقف واضح من اهم القضايا الاجتماعية والسياسية ؛ فقد كان له رأي واضح في السياسة، والاجتماع،والتربية،والمرأة،وحرية الانسان ؛ ففي مجال السياسة ، فان نظريته كانت مبنية على فلسفة افلاطون ، وقد بسطها في شرحه « جمهورية » هذا الفيلسوف وجوهر تعاليمها ، انه يجب القاء

---

(٨٥) انظر : بداية المجتهد ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

زمام الأحكام الى الشيوخ والفلاسفة ليديروها بقسط وعدل . ويجب حث الناس على الفضائل بتعليمهم البيان والعلوم التي تثقف العقل (٨٦) .

ويتناول ابو الوليد ثلاث قضايا هي بمثابة المدخل الى علم السياسة ، وهي :

اولا — ما هي الشروط التي ينبغي ان تتوافر لكي توجد هذه الفضائل المشار اليها ... اذ ليس الغرض من هذا العلم معرفة ماهية هذه الفضائل ، كما يقول ارسطو ، بل العمل بها .

ثانيا — كيف يمكنُ غرسُ هذه الفضائل في نفوس الاحداث ، بحيث تنمو تدريجيًّا ، وكيف تصان بعد ان تبلغ مرتبة الكمال ؟ وكيف يمكن استئصالُ الشر من نفوس الاشرار .

ثالثا — ما هي الصفات والفضائل التي تشتدُّ اذا اقترنت بفضيلة ما ، وتضعف اذا اقترنت بفضيلة اخرى ؟ اي كيف تؤثر هذه الفضائل احداها في الأخرى (٨٧) .

وكان ابن رشد يكره الاستبداد العسكري والاقطاعات العسكرية ، ويرى استغناء الدولة عن القضاة والاطباء ، دليلا على انتظام شؤونها . ويقوم مُثُل الدولة الاعلى على عدم الاحتياج الى قاض ، ولا الى طبيب ؛ وليس على الجيش واجب غير السهر على حرس الأمة . وما يحدث لو اكلت كلاب الراعي غنمه ؟ وتُعَدُّ اقطاعات الجيش آفة الدول (٨٨) .

وقد راى ابن رشد ان الحاكم الظالم هو ذلك الذي يحكم الشعب من اجل نفسه لا من اجل الشعب . وأنَّ شرَّ الظلم ظلم الكهنة ؛ وان احوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح ، « فكأنما وصف افلاطون حكومتهم ، لما وصف في « جمهوريته » الحكومة الجمهورية الصحيحة التي يجب ان تكون مثالا لجميع الحكومات » .

---

(٨٦) انظر : رينان ، ص ١٧٠ ، فرح ، ص ٥٦ .

(٨٧) انظر : فخري ، ص ١٢٢ .

(٨٨) رينان ، ص ١٧٠ ، وهذا النص اورده عن طبيعيات ص ٢١ — PHILIKM

ولكنّ معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم ، واقام مكانه دولة بني اميـة وسلطانها الشديد ، ففتح بذلك بابا للفتن مـا تزال الى الآن قائمة قاعدة حتـى في بلادنا هذه (اي الأندلس) . » (٨٩) . أمـا موقفه من المـرأة فهو يساوي بين المـرأة والرجل من حيث الطبيعة فيقول : وتختلف النسـاء عن الرجال درجة لا طبيعة ، وهـنّ اهل لكل ما يفعل الرجال من حـرب وفلسفة . الـخ ... ، ولكن على درجة دون درجتهم . وهـنّ يُفْقَنهم احيانا، كما في الموسيقـى ، وذلك مع كون كمال هـذه الصناعة يقوم علـى التلحين من قِبَل رجـل والغناء من قِبَل امرأة . ويدلُّ مثال بعض الـدول الافريقية على استعدادهن الكبـير للحرب ؛ ولا بُدَّ من الخوارق امكـان انتهائهن الى الحكومة الجمهوريـة . أولا يرى ، كما هـو الواقع ، ان اناث الكلاب تحرسُ القطيـع كما تحرس ذكورها ؟ والى هـذا اضاف ابن رشد قولـه :

« لا تَدَعُنا حالنـا الاجتماعية نبصر كل مـا يوجد من امكانيات في المـرأة ؛ ويظهر انهن لم يخلقن لغـير الولادة وارضاع الأولاد" .

وقـد قضت هذه الحال من العبودية فيهن علـى قدرة القيام بجلائل الاعمال.ولـذا فاننا لا نرى بيننا امـرأة مزيَّنة بفضائل خلقية . وتمرُّ حياتهن كما تمـرُّ حياة النباتات ، وهـن في كفالة ازواجهن انفسهم . ومن هنا ، ايضا ، اتـى البؤس الذي يلتهم مدننـا ؛ وذلك لأن عدد النسـاء فيها ضعف عـدد الرجال ، ولا يستطعن كسب الحاجـيّ معاشهن . » (٩٠) .

وتَطَرَّق ابن رشـد الى حرية الانسان ، ووصل هـذا المفهوم الانساني الرفيع بمـا ورد عنه في آي القـرآن الكريم . فالانسان غير مطلق الحريـة تماما ولا مقيَّدُها تماما . وذلك انـه اذا نُظِر اليه

---

(٨٩) انظر : رينـان ، ص ١٧١ .

(٩٠) رينـان ، ص ١٧٠ — ١٧١ وقد نقـل النصوص مـن « طبيعيـات » ، ص ٢١ (PRIHERM) ، ص ٤٨ .

من جهة نفســـه وباطنه ، فهو حُـــرٌّ مطلق لأن نفسه مطلقة الحرية في جسمه . ولكن اذا نُظِر اليـــه من جهة حوادث الحيـــاة الخارجية ، كان مقيَّدا بها ، لمـــا لها من التأثير على أعماله . « وهو يقـــول : ان هذا هو السر في ان القـــرآن يجعل الانسان تـــارة مختارا وتارة مقيَّدا . » (٩١) .

ويسير ابن رشـــد على منوال أفلاطون في قضايـــا التربية ، فيحذِّر في مجال تربيـــة الصغار من التمثيل بالحكايات الكاذبـــة « أي الأساطير » التي ترسخ في أذهانهـــم فتُفسِد سريرتهم (٩٢) . وهو علـــى مذهب أفلاطون بالتربيـــة الجماعية ، وحاجة الفـــرد لأقرانه . فقد تبيَّن ان اكتســـاب المـــرء لأي من هذه الفضـــائل دون معونـــة الأقران مستحيل ، إذ ان الانســـان يحتاج الى من عداه ، في اكتســـاب الفضيلة ؛ فهـــو كائن مدنـــي بالطبـــع (٩٣) .

وفي حديثه عـــن الخصال المكتسبة التي ينبغـــي على الحاكم او الرئيس أن يتصف بهـــا ، يرسم ابن رشد منهاجا تربويـــا واضحا ، فيما يتعلق بالرئيس ، مـــن الطفولة الأولى حتى يبلغ ســـن الخمسين ، لأنه ، على حَـــدّ تعبيره ، يجب تفويض الحكومة الـــى الشيوخ .

فبعد أن يتحدث عـــن الطفولة الأولى للحاكم او الرئيس ، يقـــول : ومنها ، أي مـــن الخصال المكتسبة ، الاقبال علـــى العلوم المناظرة والتوفُّر على دراستها . وتبدأ هذه الدراســـة بعلـــم الحساب ، فالهندسة ، فعلـــم النجوم ، فالموسيقى ؛ وهي علـــوم لا تُطلَب من اجـــل الكمال الانساني ، شبيهـــة الطبيعيات والالهيات ، بـــل من اجل إعداد الفكر للاقبال على هذيـــن العلمين ... وحين يبلغ الحكّام ســـنّ الخامسة عشرة او السابعـــة عشرة ينبغي أن يُقبلوا على تعلـــم الفروسية حتى ســـن العشرين ، وعندها يأخذون بتعلـــم الفلسفة حتى ســـنّ الثلاثين . فاذا بلغوا الخامســـة والثلاثين دُفِعت لهم رئاسة الجيش ، ملـــوال

---

(٩١) انظر : فـــرح ، ص ٥٨ .
(٩٢) انظر : فخـــري ، ص ١٢٤ .
(٩٣) فخـــري ، ص ١٢٠ .

خمس عشرة سنـــة ؛ فاذا بلغوا سن الخمســـين ، باتوا قادرين على الاضطلاع بمهـــام الرئاسة وادارة شؤون الدولـــة ...

امـــا التربيةُ الاخلاقيةُ لجميع المواطنـــين ، فهي تقوم،في نظر ابن رشـــد ، على تلقينهم الفضيلة بتعليمهـــم الخطابة والشعر والجدل . ولا شكَّ ان فيلسوفنـــا يقصد الانتقاء في مجـــال الخطابة والشعـــر والجدل ، فهـــي وسائل من اجـــل تربية الفضيلـــة في نفوس جميع المواطنين . ومن هنـــا نستطيع ان نفهم قولـــه عندما يُعقّب على ذلك قائلا : « والشعر مفســـد ، ولا سيما شعر العرب » (٩٤) . فـــان ابن رشـــد لا ينال من قيمة الشعر الفنية ، ولـــم يهدف أن ينتقص من شعر العرب من حيث هـــو ، ولكنه يرى ان يختار المربـــي من هذه الأشعار ما يكفل بتلقين الفضيلـــة ، وتربيتها في نفـــوس المواطنين .

العلاقة بـــين الشكل والمحتـــوى :

يشغل الجدل ، بصورة عامـــة،مكانة مهمة من مؤلفات ابـــن رشد . وهو على حد تعبير رينان : « يدخل اليـــه من الرشاقة ما هو ممتع . ومما كان يقع احيانـــا ، ان يرتقي بحماسته العلمية ، وكَلَفِـــه بالفلسفة الى ابرة من الخلقية ، بليغة الـــى الغاية . ويسود الاسهاب شروحـــه، ولكن بـــلا جفاف . وتتجلى شخصية المؤلف فيمـــا يعرف ان يسوقه الى المواضع المهمة مـــن استطرادات وتأمـــلات ... » (٩٥) .

والحقيقة ان هـــذه الاشارات تُكَوِّن اهـــم خصائص ابن رشد في اسلوب كتابته . امـــا جفاف اسلوبه فلا بـــد لنا ان نستذكر حقيقة مهمة ، حيث ان طبيعات كتبـــه في الحقيقة لا تعرض في نصوصهـــا العربية سوى شرح قـــام على ترجمة عربية من ترجمة سريانية مـــن اصل يوناني . اما في نصوصها باللغـــات الاجنبية فهي تقوم على ترجمة لاتينية مـــن ترجمة عبرية . هذا مـــع العلم ان كثيرا من مصنفاته قـــد فُقِدَت اصولها العربيـــة .

---

(٩٤) انظر : رينـــان ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ .
(٩٥) رينـــان ، ص ٦٧ .

وان الدارس لادب ابـــن رشد ومصنّفاته يمكن ان يلمس ركائز يمكن ان تُميِّز نظـــرة ابن رشد في اسلوبه، من ناحية، وفي فـــن الكتابة من ناحية أخرى . فهنالـــك طبيعة الجمهور الذي يكتب اليـــه الكاتب ؛ وهذه النظرة رأيناهـــا واضحة تماما في ابحاثنا السابقة ؛ فهـــو ينادي بأن على الكاتب ان يكون علـــى بصيرة من نوعيـــة الجمهور الذي يكتب اليـــه ، وبالتالي بنوعية الأفكـــار وطبيعة الأبحاث التي يقدمها الـــى قرائه ، والا وقع في خطيئة كبـــيرة، وأدّى جهده الى الافســـاد . « فليس كل صنف من اصناف النـــاس ينبغي أن يُستَعْمَل معهـــم البرهان ، في الأشياء النظرية التي يراد منهـــم اعتقادها . وذلك إمّـــا لأن الانسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحـــقَّ ، فاذا سلك بـــه نحو الأشياء التي نشأ عليها ، سَهُل اقناعـــه ، وإمّا لأن نظرته ليست مُعَدَّة لقبول البرهان أصلا ، وإمّـــا لأنه لا يمكن بيانه لـــه في ذلك الزمان اليسير الذي يراد منـــه وقوع التصديق فيـــه ... » (٩٦) .

فهو في ذلك يقـــول بوجود علاقة وثيقة بـــين طبيعة الجمهور وحقائق المعرفة التـــي يمكن ان تُعْرَض عليهم . هـــذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يجعـــل للانفعالات النفسيـــة دورا مهمّا نحو استمالة الحكام والناظرين ، حيـــث يقول : ... الأشياء المعينـــة في وقوع التصديق ، مثـــل التكلم في الخوف والرحمـــة والغضب، وما اشبه ذلك من الانفعالات النفسانية التـــي ليست مُعَدَّة نحو الأمـــر المقصود تبيينه أولا وبالذات ، وانمـــا هي مُعَدَّة نحو استمالة الحكـــام والناظرين ، ولذلك كانت كأنهـــا مُوَطِّئَة للتصديق لا فاعلة لـــه ... (٩٧) .

ويجعل ابن رشـــد للألفاظ مكانتها في زيـــادة التصديق ؛ وإن هذه المكانة تختلـــف باختلاف طبيعة المعارف ، وذلك على حـــد تعبير ابن رشد، لأن للألفاظ في ذلـــك معونة في زيادة التصديق الحاصـــل عن

---

(٩٦) تلخيص الخطابـــة ، ص ١١ .

(٩٧) تلخيص الخطابـــة ، ص ٥ .

البرهان وقوته ، كالحال في الصنائع الاخرى ، فانها يلفى لهـا معونة في ايقاع التصديق المستعمل فيهـا وان كانت في ذلك تختلـف .

فأقلّها حاجةً في ذلـك صناعة الجدل ، ثـم من بعدها صناعة السفسطة ، ثـم من بعدها الخطابة ، ثـم من بعدها صناعة الشعر . فهاتان الصناعتان اكثر حاجـةً الى ذلك ...

وانما صارت الالفـاظ والاصوات تفعل في هاتـين الصناعتين هذا الفعل من اجـل انها تخيل في المعنى رفعة او خسـة ، وبالجملة امرا زائـدا على مفهوم اللفظ ، مثـل غرابة اللفظ ، فانهـا تخيل غرابة المعنى ، ولذلك فخامتـه تخيل فخامة المعنى . والنغـم كذلك يفيد فيه هـذا المعنى ... وليس يُقْصد ذلك احـد عندما يتكلم على طريـق الهندسـة ولا علـى طريق العدد (٩٨) .

فقد ادرك ابن رشـد العلاقة الوثيقة بين الشكل والمحتـوى ، وقد اقترب فـي مفهوم ذلك الى المـدى الذي لا يرى منه الشكل منفصلا عن المحتوى ، بـل ان الصورة مرتبطة ارتباطا عفويا مع المـادة . فابن رشد يرى مع ارسطـو ان الكون هو تغير في الجوهر ، وانـه لا يتكوّن شيء من لا شيء ، بـل من موضوع . وهذا على حـدّ تعبير ابن رشد في تفسير مـا بعد الطبيعة حيث يقـول : "... المذهب الذي اخذناه عن ارسطو ، وهـو ان الفاعل انما يفعل المركب من المـادة والصورة ، وذلك بأن يحرك المـادة ويغيرها حتى يخرج ما فيها من القـوة الى الفعـل ... » .

ان هـذه النظرة الفلسفية للعلاقة بين المـادة والصورة قد انعكست تماما في موقف ابـن رشد من الأدب بصورة عامـة ، حيث يرى المـادة متصلة اتصالا عفويا بالشكل،وليسـت منفصلة عنه . وهي النظرة التي يأخذ بها النقـد الأدبي في مناهجه الحديثـة .

---

(٩٨) تلخيص الخطابـة ، ص ٢٥٣ .

وربما كانت هـذه النظرة الى العلاقة بين الشكل والمحتوى ، بين المادة والصورة ، وتطبيقها على الأدب ، وفق مفهومه العملاني له ، اهمّ قضيّتين يمكن أن يطرحهما الدارس لأدب ابن رشد . أما القضية الأخرى ، فقد اشرنا اليها فيما سبق وهي ارتباط الأدب بالحقيقة والمعرفة ، في نظر ابن رشد ...

ابن رشد في مجال اللغة والبلاغة والنحو :

كان للُّغة اثر كبير في تحديد فكر ابن رشد ، وتطويع نظريات ارسطو وفلسفته الى واقع الحضارة العربية الاسلامية بمقاييسها وعقيدتها ، بل الى لغتها وادبها .

فقد اعتذر ابن رشد عن ذكر الأمثلة اليونانية لأنه راعى مجهولة تماما لدى القارىء العربي الذي يتوجّه اليه ، ولا تتلاءم ايضا مع الجوّ الاسلامي الذي يكتب له ويعيش فيه ؛ على انه استبدل بهذه الأمثلة اليونانية نظائرها في الاسلام ، فاستشهد بشواهد من الفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية ... حيث اراد أن يطبّق القواعد والنماذج التي يذكرها ارسطو على اللغة والأدب والخطب العربية .. (٩٩).

وكان ابن رشد يقول منذ البداية ، بأن الشريعة الاسلامية تحضُّ من خلال الآيات القرآنية والحديث على النظر الفلسفي . وهي توجب استعمال البرهان المنطقي ، على حد تعبيره ، لمعرفة الله تعالى وموجوداته . ويستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، فيورد مثلا الآية الكريمة : « فاعتبروا يا اولي الابصار » (١٠٠) . ويبيّن أن الاعتبار هنا ليس الا استنباط المجهول من المعلوم ، وهو القياس الفلسفي او المنطقي المعروف (١٠١) .

وبناء على هذا الاتجاه ، فقد استخدم ابن رشد امثلة عربية واسلامية كثيرة في كتاب « تلخيص الخطابة » وفي كتاب « الشعر »

---

(٩٩) انظر : مقدمة تلخيص الخطابة ، ص ي .
(١٠٠) سورة الحشر ٢/٥٩ .
(١٠١) انظر : بين الدين والفلسفة ، ص ٩١ .

ايضا . وبالرغم من انهـا شروح لكتب ارسطو ، غير ان ابـن رشد في التلخيص او التحليل يتكلّم باسمه الخاص دائما ، فيعرض مذهـب الفيلسوف مضيفا ، حاذفـا ، باحثا في الرسائل الاخرى ما تكمل بـه الفكرة متّخذًا ترتيبـا ومنهاجا من اختياره ؛ وهكذا على حـدّ تعبير الفيلسوف الفرنسي « رينـان » : « فان التخليصات رسـائل حقيقية كرسائل ارسطو » (١٠٢) . ففـي حديثه مثلا عن الامور المستعملة مـع الاغلاط على جهـة المعونة في جودة التقسيم وايقاع التصديـق وبلوغ الغرض المقصود ، وهي على حـدّ تعبير ابن رشـد نفسه ، التي جرت عادة القدماء ان يُسَمُّوها الاخـذ بالوجوه . فيقول : « وذلـك ان هذه الاشياء ، لمـا كان من شانها ان تميل السامعين الـى الاصغاء والاستماع والاقبال على المتكلم بالوجـه ، وتفريغ النفس لمـا يورده ، أُستُعير لها هذا الاسم . وهذه الاشياء صنفان : إمّا اشكال ، وإمّا اصوات ونغم ...

والاشكال بالجملة ، يقصد بها احـد امرين : إمّا تفهيم المعنـى وتخييله الوقع للتصديـق ، كما روي عن النبي ، صلى اللـه عليه وسلم ، انـه قال في آخر خطبة : « بُعِثتُ انـا والساعة كهاتين » واشـار باصبعيـه يقرنهمـا ... (١٠٣) .

وتراه يخرج في شروح الـى دراسات مقارنـة ، فيتحدث عن موقع بعض النظرات البلاغيـة في اشعار الامم ، ويقارنها بما هـو في امـة العرب وآدابها . فنرى ابن رشـد يتحدث في موضع آخر مـن « تلخيص الخطابة » فيقـول : « وفيها ايضا انهـا تُستَعمَل بضرب من الوزن في الكلام الخطبـي ... وهذا الضرب من النغـم ضروري في اوزان اشعار من سلـف من الامم ما عدا العرب ؛ فـان من سلف من الامم كانوا يزنون ابياتهـم بالنغم والوقفات ، والعـرب تزنها بالوقفات فقط . ومنها ايضـا ان تُستَعمَل اشعارا في افتتاح القـول وختمه ومواضع الوقـف ... » (١٠٤) .

---

(١٠٢) رينـان ، ص ٧٤ .
(١٠٣) انظر : تلخيص الخطابـة ، ص ٢٥٠ .
(١٠٤) تلخيص الخطابـة ، ص ٢٥١ .

وقد نَظَر الى البلاغة بهذه النظرة المبدعة ، حيث استطاع ان يتمثّل نظريات ارسطو من خلال نثر اللغة العربية وشعرها ... ويستخدم،بطبيعة الحال ، الاصطلاحات البلاغية التي سبقه اليها البلاغيون الاعلام قبله؛ اذ يقول مثلا : « والاستعارة التي تكون من هذا النوع كثيرة موجودة في اشعار العرب وخطبها ، والاقاويل التي يخصّها اهل لساننا من الناظرين في الشعر والبلاغة بالاستعارة هي داخلة في هذا الجنس ، ولذلك يقولون : إن المجاز استعارة وتشبيه » (١٠٥) .

وكان لابن رشد مجال واسع في التعريب ، وكيفية استخدام الالفاظ للدلالة على معان مستجدَّة ؛ وكذلك توليد الكلمات عن طريق الاشتقاق وغيره . فقد ذَكَرَتْ لنا المصادر المختلفة بين قائمة تشبه ، كلاما له على الكلمة والاسم المشتق (١٠٦) .

ففي حديثه عن تأثير الالفاظ والاصوات في الاقاويل يقول : « والذين وقعوا اولا على تأثير هذه الاحوال من الالفاظ والاصوات في الاقاويل هم الشعراء ، وذلك ان هذا المعنى اظهر ما يكون في الاقاويل الشعرية ، مع ان الوقوف على الاقاويل الشعرية هو متقدم بالزمان على الاقاويل البلاغية ... » (١٠٧) .

ويُعمّق نظرته في استعمال الالفاظ في لغات مختلفة ، فيقول : « واما اللغات فهي صنفان،احدهما ... مثل ان يستعمل العجازي لغة حِمْيَريّة ؛ والصنف الثاني ان يستعمل في مخاطبة امة ما ، الفاظا ليس من الفاظ اهل لسانهم ، وانما هو من لسان امة اخرى ، مثل ما يوجد في لسان العرب الفاظ كثيرة من الفاظ الفرس والامم المجاورة لها . وهذا يُستعمل على وجهين : احدهما ان ياتي بذلك اللفظ بعينه من غير ان يغيّر بنيته وتركيبه : والوجه الثاني ان يُغيّره تغييرا يقرب

---

(١٠٥) تلخيص الخطابة ، ص ٢٩٤ .

(١٠٦) انظر : القائمة التي اوردها رينان ، ص ٤٥٦ — ٤٥٧ . وراجع مخطوط الاسكوريال .

(١٠٧) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

من الأبنية المستعملة في لسانهم ليسهل بذلك عليهم النطق به،مثل : السّجّيل وغير ذلك مما هو موجود في كتب اللغة (١٠٨) .

فابن رشد يقف هنا موقفًا واضحًا ومتميزا ، تجاه قضية التعريب ، سواء اكان ذلك بإحياء الفاظ ميتة ، مثل استعمال الحجازي الفاظا حميرية ، أم استعمال اللفظة الأجنبية ، كما هي ، وادخالها الى العربية،من ناحية،او ادخالها بعد اضفاء رونق العربية عليها ... وقد اورد لفظة « السّجّيل » وهي لفظة قرآنية ... وهنالك ايضا الفاظ موضوعة ، يحدّدها ابن رشد من خلال شرحه فيقول : « وهي الألفاظ المخترَعة في لسان جنس ما ، يُخترِعها اهل ذلك اللسان ، على نحو التركيب الذي لحروفهم » (١٠٩) . ويبحث « تلخيص الخطابة » اللفظة من حيثُ اصوات الحروف وتناسقها او عدمه . وهنا ايضا ، تمتزج آراء ارسطو بآراء شارحه ابن رشد ، الى الحد الذي تَرى فيه شخصية الشارح واضحة بارزة ، وذلك من خلال تقصّياته وإيراده الأمثلة في نطاق العربية وحروفها واصواتها،اذ يقول :

« وأما المغْلَطة فهي الالفاظ التي يعسر النطق بها ، وذلك يعرض لأسباب : منها أن تكون تلك الحروف حروفا يُعْسُر النطق بها ، وإن كانت قابلة ؛ ومنها أن يكون سبب العسر فيها كثرة الحروف التي رُكّبت منها ، والتي يعسر النطق بها ، إمّا أن يكون من اجل مخرج الحرف نفسه وان ينطق به وحده ، مثل كثير من حروف الحلق ، وإمّا ان يكون العسر يحدث له عند تركيبه مع غيره ؛ وذلك إمّا لتقارب مخارجها ، وهذا هو سبب الادغام في لسان العرب ، وإما لتكرارها ، مثل قولهم : « قصصت اظفاري » . ولذلك بعض العرب يبدلون احدى الصادين « ياء » في مثل هذا . وربما كان السبب في ذلك تضادّ المخارج . ولذلك قَلّ في لسان العرب اسم يوجد على وزن

---

(١٠٨) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٧ .

(١٠٩) تلخيص الخطابة ، ص ٢٥٩ .

« فِعلى » الا مـــا حكوا من « الفِعلى » . واكثر الانقلابـــات والشذوذات التي يشعها النحاة هـــذا هو سببها (١١٠) .

وهنـــا نستبين خصائص نظرة ابن رشـــد في النحو ، وقد كانت لـــه مساهمة فيه . ولا عجب من ذلك ، فالنحو عنـــد اهل الاندلس ، على حـــد تعبير المقّري « في نهاية من علـــوّ الطبقة ، حتى انهم في هذا العصر فيـــه كأصحاب عصر الخليـــل وسيبويه ، لا يزداد مع مرّ الزمان الا جِدَّة ؛ وهـــم كثيرو البحث فيه ، وجِنْط مذاهبـــه كمذاهب الفقه . وكلُّ عالِمٍ في ايّ علـــم لا يكون متمكنا من علـــم النحو ، بعيد لا تخفى عليـــه الدقائق، فليس عندهم بمستحقّ للتميُّز ، ولا سالـــم من الازدراء ... » (١١١) .

ولـــم يخرج ابن رشـد عن هـــذه القاعدة ، فقد اسهم في هـــذا المجال بكتاب سمـــاه « الضروريّ في النحو » (١١٢) . وان هذه التسمية ، تذكّرنا بكتاب أبي بكـــر الزبيدي القرطبي الذي وضعه قبـــل ذلك بحوالي قرنين من الزمـــن واطلق عليه « الواضـــح » .

ذكرت اكثر المصـــادر التي اوردت مصنّفات ابن رشـــد ، كتابه هذا في النحـــو ، ولكن مع الاسف لم يصل الينـــا ، ولا نعرف عنه شيئا ؛ فربما ما زال تائها فـــي بعض الاقبية او زوايا المكتبات ، وربما فُقِدَ الى الابد كمـــا فُقِدَت مصنّفات كثيرة من هـــذا التراث النضم ، نتيجةً النكبات والحروب ومـــا حلَّ بالاندلس مـــن استئصال لجذور حضارة عربية اسلامية اصيلـــة . وإنَّ التسمية بحـــدّ ذاتها « الضروري في النحو » توحي لنـــا باتجاهه العملي ، في استخـــدام ما هو ضروري من قواعد النحـــو ؛ وهذا الاتجاه ينسجم تماما مع طبيعة فلسفـــة ابن رشد العقلانية والواقعيـــة ... وهو في ذلك استمرار لهـــذه المدرسة

---

(١١٠) تلخيص الخطابـــة ، ص ٢٥٨ .

(١١١) انظر : النفـــح ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(١١٢) انظر : قائمة كتـــب ابن رشد التي اوردهـــا ريشان ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ضمن مخطـــوط اسكوريـــال .

القرطبية ، التي اتّجهت اتّجاها عمليا مناهضةً لتعقيدات النحاة ، وانشغالهم بجزئيات لا فائدة منها .

وجملة القول، فقد كانت لابن رشد جهود طيّبة في مجال البلاغة والنقد ، وفي مجال النحو والاشتقاق، والترجمة والتعريب والشرح ؛ وان هذه المجالات لتستحقّ الدراسة المتعمقة في مصنفات هذا الفيلسوف الاسلامي، الذي كان على حد تعبير ابن الأبار : « كان يُفْزَع الى فتواه في الطب كما يُفْزَع الى فتواه في الفقه، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب » ...

خاتمة

ربما كان ابن رشد من المفكّرين القلائل في الدنيا ، الذين اهملتهم أمّتهم وعُنيت بهم امم اخرى ؛ لقد تجاوزت مصنفات ابن رشد حدود الزمان والمكان ، وكانت ركيزة اساسية في النهضة الأوروبية فيما بعد .

عَرَفَت اوروبا القرون الوسطى ابن رشد باسم (Averroes) وطارت شهرته لديها بالطبّ، من ناحية، وبالفلسفة من ناحية اخرى . وربما كان من الطبيعي ان لا يُعْنَى الفرنج بالجوانب الاخرى في فكر ابن رشد ، في مجال الفقه واللغة والأدب . وقد بقيت جميع هذه الجوانب ، مع الأسف، في زوايا الاهمال والنسيان ... ولا شكَّ ان العصور المظلمة التي توالت على الأمة العربية والاسلامية ، كانت تقف وراء هذا الاهمال .

لم يكن ابن رشد فيلسوفا وطبيبا فحسب ، بل كان فقيها مجتهدا ، كما ينمُّ عليه كتابه « بداية المجتهد » ؛ كما كان اديبا كاتبا، يعالج اهم القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تَمَسُّ كيان امته . وقد سار على درب صديقه « ابن طُفيل » وكثير من الفلاسفة المسلمين الذين سبقوه ، في محاولة التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وبين ما يصل اليه من طريق الوحي والرسل ...

ولـــذا فنحن نستطيع أن نعتبر بحـــقٍ ما كتبه في « تهافت التهافت » وفي كتابه « فصل المقـــال » ... وكذلك في « كشف مناهج الأدلّـــة ... » وغيرها ، من الأدب العقلاني الرفيـــع الذي يحاول الكاتب فيـــه معالجة قضايا انسانيـــة واجتماعية واخلاقية وسياسيـــة ، يهدف من ورائها اصلاح ما فســـد في بنيان هذه الأمـــة .

ولم يقف ابن رشـــد عند هذه الحدود من الأدب ، بـــل تَعدّاها الى قول الشعر ، والإسهـــام في البحوث اللغوية والبلاغية،ولا سيمـــا في مجال النحو والتعريـــب والاشتقاق والنقد ... الـــخ ... وإنّ شروحه لمصنّفات أرسطـــو لم تكن لتقعد بـــه عند حد النقل ، بل كانت تتعداه الى حـــد الابداع في فهم فكر « المعلم الأول » وتَمثّلـــه ، وتطبيقه على بيئته العربية الاســـلامية،ولا ادل على ذلـــك من تعقيبه في خاتمة كتـــابه « تلخيص الخطابـــة » بقولـــه : « وهنا انقضت معاني هـــذه المقالة الثالثـــة ، وقد لخّصنا منها مـــا تادى الينا فهمه،وغلب على ظنّنا انـــه مقصـــوده ... » (١١٣) .

---

(١١٣) انظر : تلخيص الخطابـــة ، ص ٣٣٢ .

المصـــادر والمراجـــع

ابـــن الأبـــار : ابن الأبار القضاعي البلنســـي ، التكملة لكتـــاب الصلة ، ج ١ ــ ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .

ابن ابي اصيبعة : موفق الديـــن ابو العباس احمد بن القاسم بـــن خليفة بـــن يونس السعدي الخزرجـــي المعروف بابن ابـــي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقـــات الأطباء ، بـــيروت ، ١٩٥٦ م .

ابـــن الأثـــير : عـــز الدين ابو الحسن علي ابن ابـــي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحـــد الشيباني المعروف بابن الأثـــير ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ــ ١٢ ، بـــيروت ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .

ابـــن بشكـــوال : ابـــو القاسم خلف بن عبـــد الملك ، الصلـــة ، مصـــــر ، ١٩٦٦ م .

ابن تغرى بردى : جمال الدين ابـــو المحاسن يوســـف تغرى بردى الأتابكي ، النجـــوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ــ ١٢ ، القاهـــرة .

ابـــن رشـــد : ابـــو الوليد محمد بن احمـــد بن محمد بن احمد بن رشـــد القرطبي ، بداية المجتهـــد ونهاية المقتصد ، ج ١ ــ ٢ ، القاهـــرة .

" " : ابـــو الوليد ابن رشد ، تلخيص الخطابـــة ، تحقيق عبـــد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

" " : ابـــو الوليد ابن رشـــد ، تلخيص السفسطـــة ، تحقيق محمـــد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

ابـــن رشـــد : ابـــو الوليد محمد بن رشـــد ، تهافت التهافت ، ج ١ — ٢ ، تحقيـــق الدكتـــور سليمان دنيـــا ، القاهـــرة ، ١٩٦٤ م .

ـــ ـــ : ابـــو الوليد محمد بن احمد بن محمـــد بن رشـــد القرطبي ، رسائـــل ابن رشد ، حيدر ابـــاد الدكن ، ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .

ابـــن سعيـــد : علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ — ٢ ، مصـــر ، ١٩٦٤ م .

ابـــن طفيـــل : ابـــن طفيل الأندلسي ، حي بـــن يقظان (لابن سينا وابـــن طفيل والسهروردي) ، تحقيق احمد امين ، القاهـــرة ، ١٩٥٩ م .

ابـــن العمـــاد : ابـــو الفلاح عبد الحي بـــن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ١ — ٨ ، مصر ، ١٣٥٠ هـ

الأنصـــــاري : ابو عبد اللـــه محمد الانصاري ، فهرست الرصّاع ، تـــونس ، ١٩٦٧ م .

الذهبـــــي : الحافظ الذهبي ، العِبَر في خبـــر من غبر ، ج ١ — ٥ ، الكويـــت ، ١٩٦٣ م .

الضبـــــي : احمـــد بن يحيى بن احمد بن عميرة ، بغيـــة الملتمس في تاريخ رجال اهـــل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

رينـــــان : ارنست رينـــان ، ابن رشد ، والرشدية ، ترجمـــة عـــادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

زيـــــدان : جرجي زيـــدان ، تاريخ آداب اللغـــة العربية ، ج ١ — ٤ ، القاهـــرة .

الزركلـــــي : خـــير الدين الزركلي ، الأعـــلام ، ج ١ — ١١ .

العقـــــاد : عباس محمود العقاد ، ابن رشـــد ، القاهرة .

الغزالي : الامام الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

فرح : فرح انطون ، ابن رشد وفلسفته ، الاسكندرية ، ١٩٠٣ م .

فخري : ماجد فخري ، ابن رشد فيلسوف قرطبة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

المقري : احمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج ١ — ١٠ ، بيروت ، ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٩ م

موسى : محمد يوسف موسى ، بين الدين والفلسفة ، القاهرة .

النباهي : الشيخ ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي ، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، بيروت .

— BROCKELMAN - Geschichte d. Arab. Literatur Ers. Sup. LEIDEN , 1937 .

— The Encyclopaedia of Islam , LEYDEN , 1927 .

— Encyclopaedia of Religion and Ethics , vol. I-VIII , NEW-YORK , 1962 .

نشأة الثقافة العربية الإسلامية
نظرة إلى العراق

للدكتور عبد العزيز الدوري (*)

ان نشأة الثقافة العربية الاسلامية ظاهرة معقّدة تتطلّب دراسة بيئاتها والعناصر المكوّنة لها ، والاتجاهات والتطورات الخاصة . وفيما يلي محاولة اولية لرسم الخطوط العامة (١) .

ادّى التوسّع العربي الاسلامي — الذي رافقه الفتح بصورة برسالة — الى فتح ابواب البلاد الخصيبة الى الشمال امام القبائل المندفعة باستمرار من الجزيرة العربية ، وشجّعت الخلافة الهجرة الى الأمصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلّي للأمة (٢) . واعتبرت العودة الى البادية ، بعد الهجرة ، امرا مكروها (٣) . وهذا ادى الى استقرار متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة .

واتجهت سياسة التمصير ابتداء الى وضع المقاتلة في مجموعات متماسكة في المراكز الجديدة ، في دُور هجرة مثل البصرة والكوفة ، وفي قرى او مناطق قرب المدن القديمة (كما في الأجناد في الشام) ، او في اماكن استراتيجية (كما في انحاء من الجزيرة الفراتية) .

واستمرت القبيلة او العشيرة اساسا في تنظيم السكن والعلاقات الاجتماعية في الأمصار . وكانت القبيلة — عند خروجها من الجزيرة — تتوزع عادة بين اكثر من مركز او منطقة ، ثم نُظّمت المجموعات القبلية ، لأغراض التعبئة العسكرية ، في وحدات كبيرة ، على الاسباع (ثم الارباع) في الكوفة مثلا ، وعلى الاخماس في البصرة .

وساعدت الاقامة في بلد واحد ، وظهور مصالح جديدة ، والمصاهرات بين القبائل ، اضافة الى تاثير المفاهيم الاسلامية ، على ظهور ولاءات محلية ، واوجدت ظروفا ثقافية جديدة ، وساعدت

على قيام تكتلات جديدة (٤) . وهـذا يوضح كيف ان القبائـل الواحدة او القريبة ، والتي تعيش في امصار او اقطار مختلفة ، لم تتخذ موقفا واحدا في القضايا العامـة . وكل ذلك ساعد على ظهـور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل فـي المصر الواحد .

وكان كـلٌّ من الكوفة والبصرة بابا للبادية الـى السواد ؛ وهذا يوضح إحَدّ مـاء اطراد الهجرة اليهما . وأكّد هـذه الهجرةَ استمرارُ الصلات بـين عشائر المصرين وبين اقربائهـا من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة . هذا الى ان جماعات من المقاتلة (خاصة من ربيعة وتميم) استمرّت على العيش في الباديـة مع استعدادها لتلبية النـداء للمشاركة في الحملات حين استقـر الآخرون في الكوفـة والبصرة (٥) .

ولـم تُشجَّع الاقامة بين السكان المحليين في البـدء ، ونُظِر اليها بشيء من الإنكار (٦) . وهكذا فان عزلة المقاتلـة ، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البـدء ، كان لها اثرها في توفير جـوٍّ للوحدة والاستمرار الثقافي ، وساعدت علـى جذب الآخرين الى اطار المجموعـات العربية — الى الاسـلام والعروبة .

— وكانت اللغة العربيـة اساس الهُوِيَّة العربية ، فالنـاس عرب او عجم بلغتهـم . أما المفاهيم المتصلة بالنسب والتـي تنطوي على مفهوم الجذور البشريـة عند القبائل ، فانها لـم تطمس هذا الاساس . فحين قال الحجّاج لأهـل الكوفة : « لا يؤمنكم الا عربـي » ، وثب بعضهم بالقارىء يحيى بـن وثاب ، وهو مولى ، لعزلـه عن الامامة ، فاعترض الحجاج قائلا : « وَيْحَكم، إنمـا قلتُ عربي اللسان » (٧) . وهكـذا صارت اللغة ، لا الـدم ، اساس العروبة (٨) .

ولمـا كانت العربية لغـة القرآن ، فقد ارتبطت بالاسلام ، مما اكسبها حرمـة وساعد على انتشارها . فكـان دخول الاسلام يعني تَعلُّـمَ العربية ، وربّما المشاركـة في الثقافة العربية . وتكاد « العربية »

ان تكون مرادفة للاسلام في الفترات الاولى (٩) . فلما سأل ابو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك عن هويّته ، قال : « ان كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها ، وان كانت دينا فقد دخلنا فيه » (١٠) .

ـ كانت القبائل العربية تندفع باستمرار الى الاراضي الخصبة . وقد انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد ، وكان بعضها متبديا والآخر مستقرا (١١) . فكان مركز قضاعة في العصر (١٢) ، وكانت ربيعة وتنوخ في الجزيرة (١٣) ، والتمر بن قاسط في عين التمر (١٤) . وانتشرت تغلب من عين التمر وعانات على الفرات شمالا حتى جبل بشري،وكانت من رعاة وفلاحين (١٥) . وكان في عاشر الرقة (رينهما) قوم من العرب (١٦) . وكانت اياد في الفرات الاوسط وأطراف الجزيرة الفراتية ، ثم تحرّكت في فترة الفتوح الى الجزيرة (١٧) .

وكانت في الحيرة قبائل عربية ـ تنوخ والعباد وجماعات اخرى (الأحلاف) ، وامتدّ بعضها الى الأنبار (١٨) . ويقول الهمداني : « الأنبار والحيرة والقصر الأبيض ... وسنداد والفورنق والسدير وبارق ، محاضر العرب القديمة من حيز العراق » (١٩) . وانتشرت بكر بن وائل في البوادي المُطِلّة على السواد بين القادسية والخليج العربي (٢٠) .

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الأسفل والأوسط والجزيرة الفراتية قد تَعَرَّبت لِحَدٍّ كبير .

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجماعات جديدة الى العراق ؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلا من ١٠٫٠٠٠ الى ٤٠٫٠٠٠ ايام عثمان ، ثم الى ٤٠٫٠٠٠ و (٨٠٫٠٠٠ من العيالات) ايام علي ، ثم الى ٨٠٫٠٠٠ (و ١٢٠٫٠٠٠ من العيالات) في ولاية زياد بن ابيه (٢١) ، ثم الى ٩٠٫٠٠٠ (١٤٠٫٠٠٠ من العيالات) في ولاية عبيد الله بن زياد (٢٢) . وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠٫٠٠٠ سنة ١٧ هـ. الى ٤٠٫٠٠٠ سنة ٢٥ هـ. (٢٣) ، الى ٦٠٫٠٠٠ في اواسط القرن الاول الهجري (٢٤) .

ونزلت مجموعات قبلية ، من تميم وبكر واليمن ـ خاصة خولان وهمدان والأزد ـ الموصل في خلافة عمر . وتَحَوَّلت الحديثة ، على الزاب الأعلى ، الى قرية عربيّة بمن نزلها من العرب (٢٥) . ونزلت قبائل مربية في سنجار وراس العين (٢٦) ، وجاءت جماعات كبيرة من قيس الى الجزيرة . ثم ان معاوية اتى بمجموعات من قيس واسد واوطنهم اماكن ستراتيجية بين الرقة وسنجار ، كما ثَبَّت ربيعة في ديارها من الجزيرة (٢٧) . واستمرَّت الهجرة الى الجزيرة الفراتية، وادَّت الى تكوين ديار مضر وديار ربيعة (٢٨) . لذا رأى مروان بن محمد ، آخر الامويين ، انه يستطيع الاستناد الى قيس في تكوين قُوّاته،وانتدب منها عشرين الفا (٢٩) .

ـ وكان للعوامل الجغرافية والبشرية اثرها في العراق ، فقد كان ملتقى الثقافات الساميّة والآريّة،اضافة الى كونه مهد الحضارة الساميّة .

كان سكان العراق (النبط) ، وهم ساميّون يتكلمون الآرامية . اما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طيسفون ونصيبين) ، وبينهم الملاّكون الكبار والجنود في الحاميات ، وجُلُّهم طردوا اثناء الفتح او أُسروا (٣٠) . ولكنَّ بعضهم بقي في المدن،مثل الحيرة ونصيبين وسنجار،او على الحدود الشرقيَّة للسهول ، بينما جاء آخرون الى المراكز الجديدة (خاصّة الكوفة والبصرة) . وبقي كثير من الدهاقين ، وبعضهم من اهل البلاد (نبطا او عربا)،واسلموا وحافظوا على اراضيهم (٣١) .

وكانت لفظة « نبط » ابتداءً ذاتَ دلالة بشرية (٣٢) ، ثم صارت بعدئذ مرتبطة بالفلاحة والريّ (٣٣) . وكان يشار للنبط عادة بـ « اهل السواد » او « العلوج » تمييزا لهم عن العجم (٣٤) . وتتباين الروايات عن وضعهم ، بين ما يشير الى الشعور بالرابطة والكيان (٣٥) وبين الادعاء بالأصل الفارسي (٣٦) .

اعتُبر المسلمون النبط غير محاربين، ولم يتمرّسوا لهم في القتال الفتح (٣٧) . يذكر المدائني أن عمر بن الخطاب « رفع الرقّ عنهم ، ووضع عليهم الخراج في رقابهم، وجعلهم أكرة الأرض » (٣٨) . وكان بامكانهم استغلال الأرض وبيعها وتوريثها ورهنها (٣٩) . واذا أسلموا أُعفوا من الجزية عادة-، ولكنهم يستمرّون على دفع الخراج . وراى عمر بن عبد العزيز ان لهم الحرية في ترك الأرض عند اسلامهم ، ولكن ارضهم تؤول الى القرية، والاّ صارت للدولة .

ومع ان النبط اعتُبروا احرارا من حيث المبدأ ، الا ان المفاهيم المحلّية الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثّرت على وضعهم . وكانت الهجرة من الريف الى المدينة امرًا مألوفا ، بل وواسعة احيانا ؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعريب . ومما يُذكر التعريب أن النبط ساميّون يتكلّمون لغة لها قرابة بالعربية . ولعلّ هذا يفسّر سكوت المصادر عن انتشار التعريب بينهم (٤٠) .

هناك اشاراتٌ قليلة الى موال من النبط مع انهم ـ عدديا ـ يكوّنون جمهرة الموالي ؛ ولعل ذلك يعود الى ارتباطهم بالعرب في الأصول والثقافة . فالحَجّاج ، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من القراء في ثورة ابن الأشعث ، قال عنهم « انما الموالي علوج ، وانما أُتي بهم من القرى » ، ونفاهم الى قراهم (٤١) . وتَميّز بعض النبط في امور المال (٤٢)، مثل عميرة وحسان النبطي (٤٣) ، وفي الحرب، مثل مقاتل بن حيان . وكان لهم اثرهم خاصة على العربية في الكوفة (٤٤) .

ولقي العربُ في الفرات الاوسط (٤٥) وتَغْلِبُ في الجزيرة (٤٦) ، معاملةً مفردة ، مما يُشعِر بالتوجيه الاسلامي ، اذ كانوا احرارا في بيع اراضيهم ، وعند اسلامهم تصبح ارضهم عشرية .

كان اثر العرب في المدن والريف واسعا ؛ فقد اصبح التسجيل في الديوان محدودا زمن المروانيين ، ولم يعد مفتوحا للجميع ، وكان على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يتلقون العطاء) أن يبحثوا عن وسائل اخرى للعيش ، في التجارة او الزراعة او

المهلب . يذكر المبرد ان المهلّب دَسَّ الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم « فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد . . . » (٤٧) . ويبدو ان هذه الظاهرة عامة لا تختصّ بالعراق ، ففي اخبار حملة ابن ابي بكرة على سجستان (٦٩٩/٧٩) قاتلت جماعة متطوّعة من مذحج وهمدان (٤٨) . كما ان بعض الأعراب القادمين الى المدن، مثل البصرة، صاروا في عداد « المساكين » على اطرافها (٤٩) . هذا الى ان بعض المقاتلة بقوا في البوادي المطلّة على السواد يرعون مواشيهم وابلهم (٥٠). وتَرِدُ اخبارُ شعراء يتنقّلون بين قبائلهم في البوادي وبين عشائرها الموجودة في المراكز الحضرية، وخاصّة تميم (٥١) . وهذه الجماعات اختلطت بِحُرّيّةٍ باهالي البلاد السابقين .

والتفت العرب ، وخاصة الاشراف واهل المدن، الى امتلاك الأراضي، وحصلوا عليها بطرق مختلفة ــ بالاقطاع من الصوافي ، وباحياء الأرض الموات (خاصة في منطقة البصرة) ، وبتجفيف المستنقعات (خاصة قرب الكوفة) ، وباستثمار الأراضي الخالية (٥٢) ، وبالشراء، وخاصة في منطقة الحيرة حيث كان بيع الاراضي مباحا (٥٣) . وكان جُعلُ الضياع في البصرة من الأرض الموات التي تم احياؤها بحفر القنوات وباستيراد الأيدي العاملة (من الزنج خاصة) . وشمل الشراء اراضي الخراج على نطاق واسع، حتى ان منع بيع الأرض الخراجية من قبل عمر بن عبد العزيز واخلافه لم يوقف هذا النشاط . وساعد الاحياء على توسيع الملكيات .

ادى هذا الاقبال على الأرض الى ظهور ملكيات كبيرة ، بعضها يشمل قرى بكاملها . وقد ادّت هذه التطورات الى خلخلة المجتمعات القرويّة المتماسكة والى فتحها للمؤثرات الخارجية .

واعتاد العرب ان يستخدموا « وكلاء » للإشراف على ضياعهم ، وكان على الوكلاء ان يجلبوا الفلاحين الى الأرض، او ان يشغلوا فلاحين من القرى المجاورة . ومما يُيَسِّر مهمة الوكلاء ضرب الاقطاع القديم

وحالة الفراغ الناشئة عن ذلك،مما دفع الفلاحين للتحرك الى مواطن العمل الجديدة . وقد أدّى هذا الوضع ، اضافة الى العلاقات المتزايدة بين القرى والمراكز العربية ـ وهي الاسواق الرئيسية للريف ـ ، والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة ، الى انتشار العربية تدريجيا وبصورة متزايدة في الأرياف (٥٤) .

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ العرب بالاستقرار في القرى ، وساعدت السياسة العباسية على ذلك ؛ فقد اتخذ العباسيون موقفا سلبيًّا من بعض القبائل (المضرية) منذ بداية عهدهم ، ثم انتهوا الى اسقاط العرب من الديوان أيام المأمون والمعتصم ، وهذا دفع العرب الى التوسع في الاستقرار على الأرض (في الريف) ، والى اتخاذ مِهَن اخرى . فانتشر العرب في سواد الكوفة (٥٥) ، وانتقل الكثيرون من البوادي المجاورة الى الأرياف (٥٦) ؛ وهكذا ترد اشارات الى قرى عربية (٥٧) . وفي الجزيرة الفراتية تزايد عدد العناصر العربية التي استقرت في القرى وانتشرت في الريف (٥٨) . ويشير ديونيس التلمحري البيّنات على وجود عدد كبير من القرى العربية في الجزيرة (٥٩) ، ويُشْعِر بوقوفهم الى جانب أهل القرى المسلّمين في وجه الادارة العباسية (٦٠) ، ويشير الى حصول مصاهرات بين الطرفين (٦١) . وهذا يشير الى تغيُّر العلاقات بين العرب والآخرين ، والى توسّع التعريب ؛ وهو تطوّر بلغ مدى بعيدا في القرن الثالث الهجري،وجعل التعريب شاملا .

ويُنتَظر أن تكون العربية الدارجة في الريف فصيحة ، كما يُتوقّع أن لا تنجو عربية القرويين من اللحن (٦٢) ، وهذا لا يمنع أن تكون لغة البعض حسنة ؛ فقد اشار الجاحظ الى أن بعض أهالي سواد الكوفة يتكلّمون عربية حسنة بألفاظ متميزة،ومع ذلك يُحِسّ السامع بأنهم نبط (٦٣) .

وكان انتشار الاسلام ، وحركة العرب ، وتنظيم الدولة ، عوامل في نجاح العربية وفي التعريب .

ترجع جذور الولاء الى الجزيرة العربية قبل الاسلام . وقد يكون اثر عرب الجنوب مُهِمًّا في تطوّر الولاء ، ولكن تراثهم لا يزال ينتظر الدراسة . فهناك اشارات في النقوش الجنوبية الى أن قبائل (سبئية) كانت تربط مجموعات اضعف بها عن طريق الحلف بسبب المصلحة لا النسب . وقد تَطلَّب استغلال الأرض ربط جماعات خارجية بالقبيلة،وادّى الى نوع من الطبقية الاجتماعية،فهناك جماعات تستثمر الأرض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل ، وهناك طبقة ادنى مجمّيَّة تعمل لقبيلة في فلاحة الأرض (٦٤) .

أما بين عرب الشمال فان الولاء بالعتق او الحلف او الحماية كان مألوفا . وكان بامكان جماعات ان ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويُسمَّون موالي موالاة (٦٥) . والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزلة،مع انه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات (٦٦) .

هذه المفاهيم استمرت في صدر الاسلام : ففي ديوان عمر بن الخطاب جُعِلَت القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد وبعطاء واحد (٦٧) ، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والأساورة) ، اضافة الى الأندغان والسيابجة ، قبيلة تميم (٦٨) . وانتقل بنو العم من الاهواز الى البصرة وحالفوا بني تميم (٦٩) .

وكان الموالي ابتداءً من أُرقّاء (اسرى حرب) اعتقوا (موالي عتاقة) (٧٠) ، ولكنَّ جُلَّ الموالي كانوا من احرار اسلموا وانتقلوا الى المراكز العربية ، واكثرهم نبط (٧١) . وبعد أن أوقف عمر بن الخطاب سبي العرب (٧٢) ، صارت كلمة « مولى » تشير الى غير العرب ، بينما تشير كلمة « حليف » عادة الى العرب (٧٣) .

واستمر الولاء بهذه المفاهيم ايام الأمويين : فقد صَنَّف عمر بن عبد العزيز الموالي الى : موالي عقد (اتفاق) وموالي رحم،وموالي عتاقة .

وكان ارتباط البعض بأمير أو قائد سببا لظهور « مولي التباعة » ؛ وهو اتجاه يفسر ما فعله العباسيون بعدئذ (٧٤) .

وكان الولاء يعني « الاسلام » « والعربية » في وقت واحد (٧٥) ؛ فالأعاجم (من غير المسلمين) كانوا يَرَون انَّ مَن دخل الاسلام صار عربيا (٧٦) . وكان الموالي يتعلمون العربية ويتخذونها لغتهم ؛ ولهذا اعتبر الحَجّاج القراء من الموالي عربا (٧٧) . ويلاحظ ان بعض الموالي سُمّوا بـ « المستعربة » (٧٨) ، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال ، جاء في اللسان « والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيها بعد فاستعربوا . قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم ، وحكوا هيئاتهم ، وليسوا بصرحاء فيهم » (٧٩) . ويبدو ان المصاهرات ، وكانت مألوفة قبل فترة الحجاج وراتبة في الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز (٨٠) ، ساعدت على توسيع التعريب . وهكذا اخترق الولاء اطار النسب القبلي ، ووسّع الاطار العربي ، وساعد على انتشار العربية .

ظهر الاسلام في بيئة مدنية ، وأكّد على مطلب العلم ، ومنه نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الاسلامي . وهذه الدراسات ، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة ، كوّنت الخطوط الأولية للثقافة العربية الاسلامية . واستمرّ الحال كذلك لدرجة ان النظر الى الثقافات القديمة كان عرضيًّا خلال فترة تتجاوز القرن ، وفي حين أن العربية اضطُرّت لمواجهة المفاهيم القبلية المتأصلة والضيقة ، بما فيها من عصبيّة ، قبل ان تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة ، فان الاسلام كان قوة دافعة متوسعة ، وكان بشكل مألوف موطنا للعربية .

تركّزت الفعاليات الثقافية في صدر الاسلام في دور الهجرة — البصرة والكوفة خاصة — ، واقتصرت في الأساس على الموضوعات الاسلامية والدراسات العربية . كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ) يرى أن أسس الثقافة هي القرآن ، والآثار ، والحاديث العرب ، واشعارها ، وايامها ، وأنساب قريش وسائر بني نزار (٨١) .

وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب ، وبدرجة متواضعة ،

بين الموالي الذيـــن اتقنوا العربية (٨٢) . وتاثرت هـــذه الفعاليات بتيارين اساسيين : الأوّل ــ الاســـلامي ، ممثلا في الدراسات القـــرآنية والحديث والفقـــه والمغازي ، والثاني ــ العربـــي (القبليّ) وهو استمرار لميـــول سابقة ، في الشعر والايـــام والاخبار والانســـاب واللغة .

ويسترعي الانتباه ان التطورات الثقافية ســـارت في خطوط متوازية ومتدرجة : روايـــات فردية ومحدودة ابتداءً ، ثـــم حلقات من الطلبة ياخذون عن شيـــخ ويضيفون ابحاثهم الى علمه (٨٣) ، ثـــم تراكُم للمعرفة والدراسات يؤدي الـــى ظهور مدارس محلّيّـــة ، واخيرا تبادُل المعرفة والتاثير بين المراكـــز او المدارس المحلّية عن طريـــق الرحلات، مما ادى الى ظهور علمـــاء متميزين رسموا خطوط التطور المقبـــل . ويتضح هذا التطور في دراســـة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية .

واجهت الامـــة الاسلامية الناشئة مشـــاكل وحاجات مباشرة ــ منها انشاء الخلافـــة ومشاكلها ، ومعاملة المغلوبين والاراضي المفتوحة ، وتطبيق المبادىء الاسلاميـــة في الامصار لمواجهة الحاجات الجديـــدة . وكانت هـــذه النواحي بالغةَ الاهميّـــة للتطور الثقافي .

لقد شهد القرن الاول للهجرة رسمَ الخطوط الاساسية لمؤسسة الخلافة، مع ما رافقها من تباين واختلاف في الاتجـــاه ؛ ونشأت الاحزاب السياسية وطوّرت آراءهـــا التي كان لها بعض الاثـــر في الفقه (٨٤) . وظهرت آراء في الجبر والاختيار ومســـؤولية البشر عن اعمالهم ، وبـــدا التنظيم الاداري والمـــالي من التراث المحلّي بعد تعديله بضـــوء مفاهيم اسلامية ، وكان يختلف في واقعـــه بين قُطر وآخر ، ثـــم عُرّب وطُوّر بالتدريج لينتهي الى إطار موحّد فـــي بلاد الخلافة في اواخـــر الفترة الاموية .

وفي حين ان الفعاليـــات الثقافية بدات عربية اســـلامية ولم تاخذ من الثقافات القديمـــة الا في فترة تالية ، فـــان الموقف من التراث الاداري والمـــالي المحلّي المتباين في الاقطار اتخـــذ اتجاها معاكسا ، اذ عُـــرّب وطُوّر لينسجم مع المفاهيـــم الاسلامية بصورة تدريجية، حتـــى ادخل اخيرا في النطاق الاســـلامي الثقافي والحضاري .

ارتبطت الفعاليات الثقافية بالحاجات الناشئة ؛ فالمدارس الاسلامية الاولى تتصل بالقرآن ، اذ حاول القراء ان يعلّموا الناس القراءة الصحيحة،وان يبصّروهم بالمفاهيم الاسلامية (٨٥) . بعث عمر بن الخطاب بعض الصحابة الى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة وابي موسى الاشعري في البصرة) ليعلّموا الناس القرآن والسنة (٨٦) . قال اهل الكوفة لابن مسعود : « جُزِيتَ خيرا فقد علّمتَ باهلنا وثقّفتَ عالمنا،وأقرأتنا القرآن،وفقّهتنا في الدين » (٨٧) . ويُروَى الشعر عن عدد تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة ، اذ كانوا « يُسرِج هذه القرية (الكوفة) » كما قال سعيد بن جبير (٨٨) . وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تقواهم وحرصهم على رسالتهم (٨٩) . وشاركوا في الحياة العامة وفي الاحداث الكبرى من ايام عثمان الى ثورة ابن الاشعث (٩٠). وكانوا يدافعون عن المبادىء الاسلامية،وعن العدالة الاجتماعية . وانضمّ اليهم بعض الاشراف ، وتزايد عدد الموالي بينهم (٩١) ، ولعلّ هذا يوضح سبب الارتباك في بداية ظهورهم . وتُشير فعالياتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافي وبين الحياة العامة .

وشهد جيل التابعين بين القراء قضاة ، واصحاب فتيا (٩٢) ، وعلماء (٩٣) ، وفقهاء (٩٤) . يقول ابن سعد،« ثم كان التابعون بمن اصحاب رسول الله من ابناء المهاجرين ؛ والانصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء،وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى » (٩٥) . وشملت دراساتهم الحديث والنحو والتفسير والفقه (٩٦) .

وكان دور القراء والعلماء والقضاة مُهمًّا لتطوّر الفقه وبجنب الاعتماد على القرآن رجعوا الى السنة ؛ ويشير الى سنّة الرسول في فترة مبكرة . ثم ان المشاكل الجديدة في الامصار ادت الى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين (٩٧). وواضح ان قيام الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي . وبالاضافة الى ذلك كان هناك الاتجاه الى اعتماد المفاهيم والقيم الاسلامية في مختلف نواحي الحياة،والى تطويع العرف المحلي ليلائم الاسلام .

وقد لجأ الصحابة الى الاجتهاد بصورة فردية او بالشورى ، وصارت اقوالهم جزءا من الآثار ، كما كان للتابعين رايهم واجتهادهم . وأدى الوضع في الحديث الى تحديد استعماله من قبل البعض ، بينما لجأ آخرون — مع التشدّد في النقد — الى الآثار . وكان الراي يعطى بالقياس او وفق متطلبات المصلحة . ونشأ خطّان في الفقه : فقه الراي وفقه الاثر ، وذلك بضوء التوسّع في استعمال الراي او تقييده . ولم يكن التقسيم يستند الى قاعدة جغرافية (الكوفة — المدينة) بل الى الوجهة الخاصة بالفقيه (٩٨) .

وأدّى التباينُ في الظروف المحلية ومدى الاخذ بالراي او الاستناد الى الحديث والآثار الى ان تظهر بصورة تدريجية سنن محلية او طرق « عمل » . وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترة ليخلفها الاجماع بمفهومه العامّ وليكون اصلا آخر من اصول الفقه .

وقد ادت الجهود الجماعية والمتكاملة للعلماء الى قيام مدارس فقهية في العقود الاولى من القرن الثاني للهجرة . ويسترعي الانتباه انه لا توجد خلافات اساسية بين هذه المدارس في المبادىء او الطريقة . وعلى العموم فان الرجوع للراي كان اوسع في العراق ، بينما كان التأكيد على الحديث اقوى في المدينة . وتَميّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية) مثل ابراهيم النخعي (٧١٥/٩٦) وحماد بن ابي سليمان (٧٣٨/١٢٠) في الكوفة ؛ والزهري (٧٤١/١٢٤) وربيعة الراي (٧٥٣/١٣٦) في المدينة ، وكان دورهم بداية التطور الذي ادى الى ظهور ائمة المذاهب (ابو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، احمد بن حنبل) . وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) الى قيام ائمة (في الفقه) — وهو اتجاه يظهر ايضا في حقول ثقافية اخرى — يُشعِر بنضج المدارس الفقهية ، مما ادى الى ظهور المذاهب بطلوع القرن الثالث للهجرة (٩٩) .

وبدأت دراسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة ،

ثم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة . وكانت التطورات والحاجات الجديدة سببا لذلك ، كما ادت هذه الى الوضع في الحديث ، فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالا في وضع الاحاديث ، وادى الوضع بدوره الى التدقيق في نقد الحديث ؛ وهو تدقيق بدأ في المتن وتركّز تدريجيا وبمرور الزمن على الاسناد ، وجاء علم الجرح والتعديل مثلا رائعا للتدقيق والحيطة والتوثيق .

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكّرا زمن الصحابة والتابعين في صحف وأجزاء وتلا ذلك « تقييد » الاحاديث في الصحف والروايات في أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للهجرة ، ثم بدأ « التصنيف » أو جَمعُ الاحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك في الربع الثاني للقرن الثاني للهجرة . وأدّى حرص المحدثين على أحاديث الرسول (ص) الى عمل مجموعات للحديث مرتّبة حسب رواتها من الصحابة من أواخر القرن الثاني للهجرة ورافق ذلك تأكيدٌ خاصّ على الاسانيد . ومما يلاحَظ انّ كُتُب الطبقات الأُولى جاءت من نفس الفترة . وأخيرا ، وخلال القرن الثالث للهجرة ، وُضعت الجامع الاكثر شمولا وتدقيقا ، وهي كتب الصحاح ، ونُظّمت على فصول الفقه (١٠٠) .

واُستُخدِمَت الكتابة لحفظ الحديث جنبَ الرواية الشفوية ؛ وقد عرف الزهري بكتابة الحديث (١٠١) . وجاءت المجموعات الاولى للحديث من الثلث الثاني للقرن الثاني للهجرة ؛ وهي نفس الفترة التي جاءت منها المؤلفات الاولى في التاريخ (١٠٢) .

بدأ التفسير مبكرا في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم الحديث . وكانت المحاولات الاولى في الاساس شروحا لغوية للنصوص ، واشارات الى ظروف نزول الآيات . وقد افيد من الشعر (الجاهلي) لتوضيح بعض الكلمات ، كما استند التفسير الى المأثور ـ حديث الرسول (ص) واقوال الصحابة (١٠٣) .

وتطوّر التفسير بسرعة في عصر التابعين ، وأخذ بعضهم بالراي اضافة الى الآثار والشروح اللغوية ، ورجع البعض الى اهل الكتاب لتوضيح بعض الاشارات القرآنية ، فتسربت الاسرائيليات، واثارت شيئا من الشكّ والتحفّظ (١٠٤) . وهكذا بدت بوادر اتجاهين في التفسير : التاكيد على المأثور ، والرجوع الى الراي .

وقد أهتمّ بالدراسات القرآنية جماعاتٌ لهم اتجاهات دراسية مختلفة ، اذ نرى القراء واللغويين والمحدّثين يشتغلون بالتفسير . وقد اسهم بعض القراء، مثل نصر بن عاصم (٨٩ هـ/٧٠٧ م.) ويحيى بن يعمر (١٢٩ /٧٤٦) وبعضُ اللغويين، مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٦/٧٧٦) وابي عمرو بن العلاء (١٥٢/٧٧٠) في التفسير .

واستُعملت الكتابة في التفسير زمن التابعين ، ووُضِعَت تفاسير من اواخر القرن الاول (مجاهد ١٠٤/٧٢٢ ، قتادة ١١٨/٧٣٦ ، عطاء الخراساني ١٣٣/٧٥١) .

واتسمت التفاسير من اواخر القرن الثاني بصورة عامّة بطابع الجمع ، واحتوت على موادّ تاريخية وفقهية ولغوية . كما وُضِعَت في هذا القرن تفاسير لغوية لها اهمية خاصة، مثل مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠/٨٢٥) ومعاني القرآن للفراء (٢٠٧/٨٢٢) .

ولجأ المعتزلة الى الراي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستفيدين من المواد اللغوية . ووضع المحدّثون — الذين تحوي مجموعاتهم في الحديث عادة على قسم في التفسير — تفاسير منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الاولى .

وهكذا ظهر خطّان واضحان في التفسير : التفسير بالآثار ، وهذا بلغ قمته في تفسير الطبري (٣١٠/٩٢٣) ، والتفسير بالراي، الذي بلغ درجة عالية في الكشاف للزمخشري (٥٣٨/١١٤٣) (١٠٥) .

ـ ازدهر الشعر خلال القرن الاول الهجري ، وتأثر بالاوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة في المراكز الجديدة ، كما تأثر بالمفاهيم والقيم الاسلامية . ومع ان الكثير من الشعر ينطوي على استمرار للشعر القديم في الاسلوب والاخيلة ، فان موضوعات جديدة ظهرت بالاضافة الى النظرات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعر الاسلامي ، شعر النقائض ، الشعر السياسي ، شعر الغزل) ؛ هذا الى وجود الشعر الحضري جنب شعر البادية ؛ كما ان تطورات جديدة حصلت في الاسلوب . وجاءت حركة التجديد الشعرية في العصر العباسي الاول بشعر اكثر رقة واعلى ثقافة ، واكدت على موضوعات جديدة . ومع هذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعة في عالم النظم (١٠٦) .

خرج العرب من الجزيرة بلُغَةٍ راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبي . وكانت للقبائل لهجاتها (لغاتها) ولكنَّ سكناها مجتمعةً في المراكز الجديدة ادت الى ظهور عربية مشتركة في التخاطب . يقول الجاحظ : « واهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر » (١٠٧) . ولكنَّ القرآن الكريم اعطى المثال للعربية في الكتابة ، واعطاها وحدةً واستمرارًا عبر العصور .

وبدأت الدراسات اللغوية في فترة مبكّرة ، وهي تُشير بالعرض على قراءة القرآن بصورةٍ صحيحة،والحماس لنقاء اللغة العربية . لقد أُستُعمِلَت العربيةَ اعدادٌ متزايدة من الموالي،وتعرَّضت لِلَّحن . واختلط العرب بالاعاجم في الامصار ، كما تُحتت بيوتهم للسبايا ، مما اثَّر في لغة الكثيرين (١٠٨) . ويتَّخذ اللحن خطورة واضحة في قراءة المصحف ؛ وهي مشكلة تعرَّض لها حتّى البعض من الاعراب . جاء في رسالة لعثمان تخوُّفه من الابتداع « بعد اجتماع ثلاث فيكم ؛ تكامُل النعمة،وبلوغ اولادكم من السبايا،وقراءة الأعراب والاعاجم القرآن » (١٠٩) .

بـدأ اللحن في اواسط القرن الاول للهجـرة وانتشر في فترة التابعين ، وادى الى رَدِّ فِعْـلٍ قويّ في الدوائر العربية وبين بعض الموالـي المتعربين، لحماية العربية وللحفاظ علـى صفائها . يُبيِّن الزبيدي ان ظهـور الاسلام ودخول الناس فيـه وكثرة من وُجـد تحت لوائه ادّى الى ان « اجتمعت فيه الالسنة المتفرقـة واللغات المختلفة،ففشا الفساد فـي العربية . فَعَلِم الاشراف من فَشُـوِّ ذلك وغَلَبَتِه ، حتى دعاهم الحذر مـن ذهاب لغتهم وفساد كلامهـم الى ان سَبَّبوا الاسباب في تقييدها لمـن ضاعت عليه،وتثقيفها لمـن زاغت عنه » (١١٠) . كـل ذلك اوجد دافعا قويـا للدراسـات العربيـة (١١١) .

وترتبط بدايات النحـو اولاً بقراءة القـرآن ؛ فقد أُحدِثَت نُقَط لتمييز حركات الاعجام في القـرآن مِن قِبَل ابي الاسود الدؤلي (٦٩هـ/ ٦٨٨ م.) ، ولـذا يُنْسَب اليه وضع النحـو . ويعود الى الفترة ذاتها وَضْعُ النقاط لتمييز الحـروف المتماثلة،لضمان القـراءة السليمة (١١٢) .

وكان رُوّاد علـم النحو،من يحيى بن يعمر (١٢٩/٧٤٧) وعبد اللـه بن ابي اسحـق الحضرمي (١١٧/٧٣٥) الى الكسائي (١٨٩/٨٠٥) قُرّاء (١١٣) ؛ فَفَهْمُ القـرآن يَعني معرفة جيدة بلغتـه وبإعراب نصوصه . يقول الذهبي عـن الكسائي : « وكان من اهـل القراءة،وهي كانت علـه وصناعتـه » (١١٤) .

ونظر البعض الـى اللغة على انها في الاساس تواضُـعٌ واصطلاح ، بينما ذهب البعض الآخـر الى انها توقيف ؛ وهمـا وجهتان متدرجتان، تعبّران عـن نظرتين في النحو ؛ فقد كـان السماع من اسس الدراسات اللغوية ، كمـا أُعتُبِر القياس مع التعليل قاعـدةً اخرى في النحو . وكان لكلٍ مـن الاتجاهين مؤيدون في البصرة (١١٥) . ثـم ساد القياس في البصرة (بعد النحـو) والسماع في الكوفة . ويبـدو ان بيئة الكوفة العربيةالاسـامية في الاساس اقرب الـى الاتجاه الى السماع والسليقة ، امـا بيئة البصرة التجارية المختلطة فانهـا تطلّبت قواعد اكثر تحديدا لفهـم اللغة . اكدت البصرة على القياس لوضع قواعـد

عامة،امـــا الشواذ فانها سُجِّلت وأُهمِلت ؛ وامـــا الكوفة فانها رأت في أن يُسارَ وفـــق السماع،وتجوَّزت في وضع القواعد الى حـــدّ الاستناد الى النوادر عنـــد الحاجة (١١٦) . وقد ورثت بغـــداد المدرستين ، واكنها كانت أميل الى الاتجاه الكوفي . واخيرا تَفوَّق الاتجاه الى السماع على وجوه القياس،وانتصرت بذلـــك المحافَظة . وهذا يثير الســـؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولـــة في تفوُّق السماع (١١٧) .

وسارت الدراســـات اللغوية الى جنب دراسة النحـــو ؛ فالحاجة الى فهم القـــرآن ، والحديث احيانا ، دعت الـــى الرجوع للشعر والى عربية البادية . ذهـــب اللغويون الى البادية،الى الاعراب الفصحاء (وجاء بعض هـــؤلاء الاعراب الى المـــدن) للأخذ عنهم (١١٨) . وكانوا ـــ وخاصة البصريون ـــ حذرين في بحثهـــم عن العربية السامية ، ولـــذا تجنَّبوا في الغالب القبائـــل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبـــة . ومع أن تأكيد الروايات علـــى الأَخذ من الاعراب البادين لا يخلـــو من مبالغة ، فان هذا الأَخـــذ في عامَّته ادى الى تسجيل مـــا يتّصل اساسا بالحياة البدويـــــة .

كان أبـــو عمرو بن العلاء (١٥٤/٧٧٠) شيخ الدراســـات اللغوية في عصره ، يُعرَف بانـــه اعلم الناس بالعرب وبلغتهـــم،وبالشعر والايام، وبالقـــرآن . وكانت « عامة اخباره عـــن أعراب قد ادركوا الجاهلية » . وكان اثره كبيرا في إعداد طلبة نابهين من الجيل التالي (١١٩) . وقامت ابصرة واسمة ومركزة على يـــد الجيل التالي في البصرة ، وتَمَيَّز بينهم ثلاثـــة من تلاميذ ابـــي عمرو بن العلاء : ابو عبيدة معمر بن المثنـــى (٢١١/٨٢٦) وابو زيـــد الانصاري (٢١٥/٨٣٠) والاصمعـــي (٢١٧/٨٣١) ، وهؤلاء افادوا في بحوثهـــم من اساتذة آخرين ومـــن ثقات الأَعراب ، حتى قيل فيهم : « عنهم أُخِـــذ ما في ايدي الناس من هـــذا العلم،بل كلُّه » (١٢٠) . وكان اعلام المدرســـة اللغوية في الكوفة الكسائي (١٨٩/٨٠٥) والفـــراء (٢٠٧/٨٢٢) والمفضل الضبي (١٧٠/٧٨٦) وابن الاعرابي (٢٣١/٨٤٤). وهكذا نضج هذا الاتجاه في الدراسات في اوائل القرن الثالث للهجرة (١٢١) .

وكانت المجموعات الاولى للكلمات عفوية دون خطّة ، ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع او مادة . واخيرا جاء الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥/٧٩١) بفكرة اول مُعجم (العين) ، وتحقّقت فكرته على يد تلميذ له،وربما بمشاركة آخرين . وسار علماء اللغة بعده على خطته،الى ان وضع الجوهري (٣٠٨/١٠٠٧) خطة اخرى (١٢٢) .

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) الى المراكز الجديدة (١٢٣) ؛ وهذا اكسب العربية حيوية وغنى . ثم ان استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب ، والاختلاط في البيئات الجديدة،وتطوّر الحياة في المدن،ترك آثاره وأدّى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا الى ظهور عربية التخاطب تتّصف بالبساطة،ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤) ؛ وبدا ذلك بوضوح في اواخر القرن الأول . ومع ذلك فان الحَجّاج كان يرى ان دُور الهجرة (الكوفة ، البصرة) هي « موضع الفصاحة والاعراب » . واثنى بحفل على اهل واسط لفصاحتهم ، وعَلَّلَ ذلك بأن الحجاج « كان لا يدع احدا من اهل السواد يسكن واسطا » (١٢٥) .

وفي القرن الثالث الهجري ، والعربيّة لغة الثقافة ، كانت الفصاحة ما تزال تُقْرَن بعربية الاعراب الأقحاح . وبجنب هذه اللغة يشير الجاحظ الى لغة المولدين والبلديين بتركيبها واعرابها (١٢٦) . وعلى كلٍّ،فبالاضافة الى لغة التخاطب اليومية ، التي لا تخلو من لون محلي ، صارت العربية لغة الحضارة،وفيها المرونة التي تتطلّبها الحاجات الثقافية والحضرية . ومع ذلك استمرّت الجهود للحفاظ على صفاء اللغة،وعلى جعل النحو اداة فعالة تُمكّنُ الجميعَ من اتقانها عن طريق التعلم (١٢٧) .

وبدأت دراسة التاريخ وكتابته في خَطّين — اسلامي وقَبلي : ففي المدينة اتجهت الدراسات التاريخية الى المغازي والجماعة الاسلامية الاولى،ثم شملت تاريخ الأمة . وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات الى نشاط الخلافة،والى فعاليات القبائل وشؤون الامصار .

وكان المحدّثون روّاد المغـــازي، في حين نهض الأخباريون بالدراســـات التاريخية في الكوفـــة ، وشارك فيها لِحَـــدٍّ ما بعض النسّابين واللغويين .

تناول الأخباريّون فـــي دراساتهم كلَّ جوانب التاريخ الاســـلامي في كتب يتعلق كـــلٌّ منها بموضوع او بفترة . وبينمـــا يلاحظ اسلوب المحدّثين في التدقيـــق والاسناد في كتابة المغـــازي، فان الاخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمـــام القبلية، وباثر اسلـــوب قصص الايام . وكان عروة بـــن الزبير (٧١٢/٩٤) رائـــد مدرسة المغازي، واستقرّ سيال السيرة على يـــد تلميذه الزهري (٧٤٢/١٢٤) بينما كَتَـــب الاخباريون في الجيـــل التالي لـــه .

وهكذا نشأت الدراســـات التاريخية في الاســـلام، وتطورت في ظلال الثقافة العربية الاســـلامية . اما الترجمات لِسِيَرِ الملوك مـــن الفهلوية ، والأُخذ مـــن الاسرائيليات، فانها أدخَلَت مـــادة ضعيفة الى الدراسات التاريخية، ولكنها لـــم تأت بفكرة او بمنهـــج .

وشـهد القرن الثالـــث الهجري تبادل التاثير بـــين مدرستي التاريخ في المدينـــة والكوفة، في الاسلوب والافـــق والمفاهيم التاريخية ، ويلـــي ذلك ظهور المؤرخـــين الكبار بعد منتصف هذا القرن ، وهـــم يمثّلون قمـــة التطور في الدراسات التاريخية فـــي فترة التكوين (١٢٨) .

وكانت الصلات بالثقافـــات الاخرى شفوية ومحدودة : فهنـــاك الاسرائيليات ، وبعض اللاهوت المسيحي ، وبعض الاقـــوال التلمودية التي تسرَّبت عـــن طريق الداخلين في الاســـلام ، اضافة الى قليل من الهلنية . واثيرت اسئلـــة عن حرية الراي، والصفات الالهية، وخَلْق القـــرآن . ولا يخفـــى ان مسالة حريـــة الارادة والاختيار ـــ كما في كثير من القضايـــا الاساسية ـــ بدات كمشكلة سياسية فـــي العصر الاموي ، ولكن الاتصال قـــد يترك بعض الاثر . ويلاحَـــظ تَسَلْل بعض الآراء الدينية الفارسية في بيئـــة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد ، وهذا يلحظ عنـــد الغلاة . ولكن هذه الصلات كانـــت اولية، ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمَّـــد الا في الحاجات المـــادية .

وأدّى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من ايام عبد الملك بن مروان الى ايام هشام بن عبد الملك) الى إغناء العربية ، وساعَدَ على ان تصبح لغة الثقافة للمسلمين وغيرهم . وقد فتح التعريب الباب للشعوب الاخرى في المجتمع الاسلامي للمساهمة في الثقافة وتأكد ذلك بعد الثورة العباسية .

وكان للتراث المحلّي ، الاداري والمالي خاصة ، اثره ؛ وكان للمسلمين ان يأخذوا ما يرون ما دام لا يتعارض والمفاهيم الاسلامية . وقد ادخل المسلمون عليه ابتداءً تعديلاتٍ بضوء المبادىء الاسلامية ، ثم طَوّروه وعرّبوه،واخيرا تمثّلوه في مجرى الحضارة العربية الاسلامية .

وان وُجِدَت اشارات الى بدايات اولية وفردية للترجمة زمن الامويين ، فان العباسيين نَظّموا الترجمة وشجّعوها في العلوم والطب والفلك،واخيرا — من اواخر القرن الثاني — في الفلسفة . وهذه الترجمات ام تُدخِل عنصرا غريبا غير مؤتلف في الثقافة،عدا الفلسفة التي تضمّنت احيانا آراء ومفاهيم لا تنسجم والمبادىء الاسلامية . وحاول العلماء المسلمون أن يفيدوا من المنطق اليوناني،وان يوفقوا بين الفلسفة والاسلام في الشكل والمضمون .

وهناك خَطٌّ آخر للترجمة — عن الفهلوية بالدرجة الاولى — تَبنّاه الكُتّاب وبعضُ رجال الأدب ، وشمل مؤلفاتٍ ادبيةً وتاريخيةً ودينية . وكان لهذه الترجمات بعض الاثر في الآراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجة ، وكانت تتّصل بالصراع الثقافي مع الشعوبية . وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي اثرٌ في تجديد الاهتمام بالتراث الادبي العربي،وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالاسلام،وفي تجديد التأكيد على العربية اساسا للعروبة .

وفي هذه الفترة لم تَعُد الرسالةُ الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرةً عليهم،بل شاركهم فيها المسلمون مختلف الشعوب ، واصبحت رسالة العرب ثقافية حضارية .

(١) انظـر :

N. Pollak - L'Arabisation de L'Orient Sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63

W. Marçais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisee, Articles et Conferences (Paris 1961) pp. 171 - 192 ;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo - Musulmanes, Arabica, III, pp. 247 - 65.

(٢) الشيباني ـ السير ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٣) الطبري ـ تاريـخ ، س ١ ، ص ٢٨٦٠ . البلاذري ـ أنساب الاشراف ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٤ . قـال الاحنف بن قيس اثناء الفتنة في البصرة سنة (٣٦هـ) رداً على اقتراح الغضبان القيسي بأن تترك تميم البصرة « أيسا خروجنا من المصر الذي لا ندع مهاجرنا ومركزنا وفيء اللـه علينا فنتعرب بعـد الهجرة » . وجاء في لسان العرب : « وكان من يرجع بعـد الهجرة الى موضعه ، ممن قد هجر ، وعاوده كالمرتـد » ، مـادة « عـرب » .

(٤) المبـرد ـ الكامل (باعتناء أبي الفضل ابراهيم وشحاتـه ، القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ، ص ١٤١ .

(٥) يقول ابن سعـد عن الزبرقان بن بدر ، الـذي ثبت على الاسلام خلال الردة : « وكان ينزل أرض بنـي تميم ببادية البصرة ، وكان ينزل البصرة كثيرا » . ويقول عن الاقرع ابـن حابس « وكان ينزل أرض بنـي تميم ببادية البصرة » . الطبقات ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢٤ .

(٦) في ابن سعـد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٣٩ : « سمعت أبـي يقول : نهاني رسـول اللـه ، أو سمعت رسول اللـه (ص) ينهى عن النشادة ، فمـن اقام ببلاد الخراج فقد تنـا ، فأنا أكره أن اقيـم » .

وجاء في اللسـان : « من تنا في أرض العجم فعمل نيروزهم ومهرجانهم حتى مـات معهـم » ، مادة « تنا » . وانظـر : حلية الاولياء .

(٧) البلاذري ـ أنسـاب ، (خـط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ ، ص ١٢٢٥ .

(٨) انظر : رسـائـل الجاحظ (تحقيق عبـد السلام هارون) ، ج ١ ، ص ١٠ ـ ١١ .

(٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٥٠٥ ـ ٦ .

(١٠) البلاذري ـ أنساب (خـط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

(١١) في طور عابدين وآمـد وراس العين وسنجار والرهـا .

(١٢) انظـر : Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) PP. 34 - 5, 88 - 9 .

الطبري ، س ١ ، ص ٨٢٧ ؛ الاغاني ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ـ ١ .

البكري ـ معجـم ما استعجم (باعتناء السقـا ، القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ، ص ٢٢ .

(١٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٤٨٩ ، ص ٢٥٠٥ . البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ ٤ . ابـن أعثم ـ الفتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ،

Musil - Middle Euphrates (New york 1927), p. 285

(١٤) البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٨ ، وانظـر : ص ٢٤٩ .

(١٥) الهمداني ـ صفة جزيرة العـرب (باعتناء الاكوع ، دار اليمامـة) ، ص ٧٠ ، ص ٢٧٥ ، ص ٣١٩ . البكري ـ معجـم ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ . البلاذري ـ فتوح ، ص ١٨٢ ، Musil, op. cit., p. 312.

(١٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(١٧) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٦٩ ـ ٧١ ، E. I.(2) Bakr b. Wail

(١٨) الطبري ، س ١ ، ص ٨٢١ ـ ٨٢٢ ، ص ٢٤٩ . وانظـر : س ١ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٤٧ عـن قدم العرب في العراق ، البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ . هذا الجماعة السيجامعة من بكر بن وائل ، المبـرد ـ الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(١٩) الهمداني ، ص ١٤٩ .

(٢٠) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ . ابن اعثم الكوفي ـ فتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ . ويذكـر الهمداني انها تمتد من الابلة الـى هيت ، ص ١٦٩ . وكان امارة مسمين (ميسـان) عند مصب دجلة يحكمها عرب واقدون مـن عمان وذلك قبل قيـام الحيرة . كرستنسن ـ ايران زمـن الساسانيين ، ص ٧٥ . وانظـر : Musil, op. cit., p. 285. E. I (2) Bakr ibn Wail

(٢١) الجاحظ ـ البيان والتبيين (باعتناء ، عبـد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١) ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٤٨٨ ، انسـاب ، ج ٤ ق ١ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٠٢ . الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢٢) الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٤ . البلاذري ـ انسـاب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١١٦ .

(٢٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٤ .

(٢٤) ن. م. ، س ١ ، ص ٢٨٠٥ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ معجـم البلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٥) البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٣٤ . الازدي ـ تاريـخ الموصل (باعتناء علـي حبيبة ، القاهرة ١٩٧٦) ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٥ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(٢٧) ن. م. ص ١٧٨ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

(٢٨) الهمداني ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ . الازدي ـ تاريـخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(٢٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٨٧٤ .

(٣٠) يشير البلاذري مثلا الـى مسالح او حاميات في الابلـة والخريبة والمذيب وعيـن التمر وعلى اطراف الفـرات الاوسط ، فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٥٤ ـ ٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٧٦ ـ ٧ ، ص ٣٤١ . وانظـر : ابن سعد ،

ج ٧ ، ق ١ ، ص ٧٧ ، ص ١٢١ . ابـو يوسف ـ الخراج (بولاق ١٣٠٢) ، ص ٨٣ ـ ٤ . المسعودي ـ مروج ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ـ ١ .

(٣١) الصولي ـ ادب الكتّاب ، ص ٧٥ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٦٥ . يحيى بن آدم ـ الخراج ، ص ٤ . ابـو يوسف ـ الخراج ، ص ٨٥ .

(٣٢) المسعودي ـ التنبيه والاشراف ، ص ٢٨ . ابـو يوسف ـ الخراج ، ص ٢٢ .

(٣٣) تـاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ـ ١ (نبـط) ، ويسمون ايضـا الكلدانية . ياقوت ـ بلـدان ، ج١ ، ص ٢٤٧ ـ ٨ ، ج ٣ ، ص ١٧٥ . المسعودي ـ مروج ، ج ٢ ، ص ٩٥ ومـا بعدها .

(٣٤) انظـر : يحيى بن آدم ـ الخراج ، ص ٥٧ ـ ٩ .

(٣٥) ن. م. ص ٢٢ ـ ٢٣ . ابـن وحشية ـ الفلاحة النبطية (مخطـ ـ مكتبة احمد الثالث ، رقـم ١/١٦٨٩) ، ص ١ ـ ٢ .

(٣٦) المسعودي ـ التنبيـه ، ص ٢٩ .

(٣٧) يحيى بـن آدم ـ الخراج ، ص ٢٢ ، ص ٤٨ . بحشـل ـ تاريخ واسط (باعتناء : كوركيس عـواد ، بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ٣٩ ـ ٤٠ . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٢٦ ، ص ٢٠٢٨ ـ ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢٠٣٦ .

(٣٨) العسكري ـ الاوائل ، ص ١٣٦ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٢٦ وبعدهـا . وانظر : ابـو عبيد ـ الاموال ، ص ١١٣ ومـا بعدها . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٢٧٠ .

(٣٩) يحيى بـن آدم ، ص ٤٥ ، ص ٥١ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٣ . ابـو عبيد ، ص ٨٢ ـ ٨٣ . قدامة بـن جعفر ـ كتاب الخراج (باعتناء : دي غوية) ، ص ١٤٥ .

(٤٠) ذكـر وكيع ان داود الطائي تكلم امام الحجاج فقال لـه الحجاج : « انكم يا معشر عربـي ، والوجـه وجـه نبطي » مما يشعر بـأن تمييز من يسلم من النبط لم يكن مألوفـا . اخبار القضاة ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٤١) انظر : المبـرد ـ الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

(٤٢) انظر : تـاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، والبلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٦ . ويصف سعد بـن ابي وقاص بأنه « نبطي في جبابته » .

(٤٣) كان عميرة كاتـب اشرس بن عبد اللـه امير خراسان سنـة ١١٠ هـ نبطيا . انظر : البلاذري ـ انسـاب (خـط) ق ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤٤) انظر : رسائـل الجاحظ (تحقيق عبـد السلام هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٤٥) اعتبرت أراضـي الحيرة وبانقيا واليس ارض سلسح ، وكان اهل هذه القرى يدفعون جزية مشتركة فقـط . انظر : البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٤ . ابـو عبيد ـ الاموال ، ص ٣٩ ـ ٤٢ ، ص ١١٦ ـ ١١٨ . يحيى بـن آدم ، ص ٥٠ . واتبع نفس الاجراء مع عـين التمر ، البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٨ .

(٤٦) كانت تغلب تدفع ضعف الصدقة ، ابـو عبيد ، ص ٣٩ ــ ٤٢ .

(٤٧) المبرد ــ الكامل ، ج ٣ ، ص ١٠٦٢ ــ ٣ . ويشير البلاذري الى نساج من بني سابم في الكوفة قال : « وان ما شهدت مسكرا قط ولا اثبت اسي اسم قط في ديوان ، وانما انا نساج » انساب (خط) » ق ٢ ، ص ٣ .

(٤٨) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٦ . وانظر : يحيى بن آدم ــ الخراج ، ص ٢٠ .

(٤٩) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ٣ ، ص ٨٢٢ . الطبري ، س ٢ ،ص ١٦٨٣ ــ ٤. ديونيسيوس التلمحري (الترجمة الفرنسية) ، ص ٩٣ .

(٥٠) يقول ابن سعد عن العباس بن مرداس بن ابي عامر : « وكان ينزل بوادي البصرة ، وكان يأتي البصرة ، وروى عنه البصريون ، وبقية ولده ببادية البصرة ، وقد نزل منهم قوم البصرة » ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢١ .

(٥١) Blachere - Histoire de la Literature,t. 3, pp. 276 - 7.

(٥٢) ابو عبيد ــ الاموال ، ص ٢٧٦ . ابو يوسف ، ص ١٥ . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٧ ــ ٨ . الطبري ، س ١ ، ص ٢٣٧٦ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ ، ص ٣٨٢ ، ص ٤١٩ ، ص ٤٨٠ .

(٥٣) البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٤٢ ــ ٤ . ابو عبيد ــ الاموال ١١٦ . يحيى بن آدم ، ص ٥١ . واكد عمر بن عبد العزيز على ان اهل الحيرة من يهود ونصارى ومجوس لا يدفعون الا الصدقة بعد اسلامهم ، « فمن اسلم ... فعليه في ماله الصدقة » . الصولي ــ ادب الكتاب ، ص ٧٥ .

(٥٤) انظر : المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ــ ٤٠ .

(٥٥) الطبري ، س ٢ ، ص ١٦٤٨ .

(٥٦) ن٠ م٠ س ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٥٧) ن٠ م٠ س ٢ ، ص ١٠١٨ قرية الاعراب .

(٥٨) الازدي ــ تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ص ٢٨٧ .

(٥٩) ديونيسيوس التلمحري ــ تاريخ ، ص ٤٧ ، ص ٨٩ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٩ .

(٦٠) ن٠ م٠ ص ٤٧ .

(٦١) ن٠ م٠ ص ٩٤ .

(٦٢) انظر : الجاحظ ــ بيان ، ج ٢ ، ص ٧١ . يقول الجاحظ : « وزعم ابو العاص انه لم ير قرويا قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس » بيان ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٦٣) يقول الجاحظ : « وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما،ويعلم مع ذلك السامع

لكلامه في مخارج حروفه انه نبطي » رسائل الجاحظ (هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٦٤) انظر : Hyckmans - Arabie Meridionale, p. 67, pp. 71 - 2

(٦٥) أبو عبيدة — النقائض (تحقيق بيفان) ص ٤٢٤ . تاج العروس ، مادة (ولاء) . وانظر : البلاذري — انساب ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٦٦) انظر : ابن هشام — السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٦٧) البلاذري — انساب ، ج ١ ، ص ١٩٢ — ٣ من عطاء خثعم والاحابيش .

(٦٨) الطبري ، س ١ ، ص ٢٥٣٨ ، ص ٢٥٦٢ . البلاذري — فتوح ، ص ١٨٠ . الانساب ، ج ٤ ، ت ٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١١٢ . الانساب (خط) ق ١ ، ص ٨٨٣ — ٤ .

(٦٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٥٣٨ . انظر : السرخسي — المبسوط (القاهرة ١٩٢١) ، ج ٨ ، ص ٨١٥ .

(٧٠) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٢٨ — ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢١٢٢ ، ص ٢١٦٧ ، ص ٢١٧٠ .

(٧١) انظر : الطبري ، س ٢ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٥٠ .

(٧٢) اليعقوبي ، ج ٢ (ط . هوتسما) ص ١٠٥٨ . مسالح العلي — التقاويات الاسلامية في البصرة ، ص ٦٥ .

(٧٣) البلاذري — الانساب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨٥ . ابن سعد ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ . يقول الشيرازي عن عبد الله بن ابي اسحق انه « مولى آل الحضرمي وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى » . طبقات الفقهاء ، ص ٣٧ .

(٧٤) الطبري ، س ٢ ، ص ٨٣٤ — ٥ . كون البعض مثل عباد بن زياد ، والمختار وسليمان بن هشام بن عبد الملك كتائب من الموالي . انظر الطبري س ٢ ، ص ٥٢٣ — ٤ . البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ١٣٦ ، فتوح ، ص ٤٢٩ . انساب (خط) ق ٢ ، ص ٤٣ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٥ ، ص ١٥٠ .

(٧٥) انظر : البلاذري — انساب (خط) ق ١ ، ص ٥٩٦ .

(٧٦) حينما وعد اشرس امير خراسان (١١٠ هـ) اعفاء من يسلم من الجزية واقبل الناس على دخول الاسلام « فجاء دهاقين بخارى الى اشرس فقالوا . ممن ناخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا ! » الطبري س ٢ ، ص ١٥٠٥ — ٦ .

(٧٧) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

ولما تمنى العريان صاحب شرطة خالد القسري عليه منع الموالي من استعمال العربية ، اجاب مولى بلهجة ساخرة « اما الكلام فلن يتكلم الا بالزنجية ! » البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٧٨) الخصائص لابن جني ، ج ١ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ابو الطيب — مراتب ، ص ٥ (المقدمين) . انظر : الاغاني (دار الكتب) ج ١٤ ، ص ٢٨٨ .

(٧٩) لسان العرب ، مادة « عرب » .

(٨٠) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٧٧ .

ومع أن الولاء لا يساوي النسب تماما ، فانه قد يؤدي الى الاندماج في الجماعة العربية « الاسلامية » . انظر الخلاف حول نسب ابراهيم النخعي في المبرد ، ج ٣ ، ص ١١٨٤ . وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير — « وقال لي ابن عباس : ممن انت ؟ قلت من بني اسد ، قال : امن عربهم أو موالهم ؟ قلت : لا ، بل من موالهم ، قال : فقل انا ممن انعم الله عليه من بني اسد » . الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

(٨١) جاء في البلاذري ، أن هشام بن عبد الملك سأل رجلا من بني مخزوم (اخواله) : « يا خال ! اتقرأ كتاب الله ؟ قال : اقرأ منه ما اقيم به صلاتي ، قال : افتروي من الاشعار شيئا ؟ قال : لا ، قال : افتعرف احاديث العرب واشعارها وايامها مما يعرفه مثلك ؟ قال : لا ، قال : افتنسب قريشا وسائر بني نزار ؟ قال : لا احسن من النسب شيئا . قال : يا غلام ... فليس من خالنا حشمة » . انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٤٠ . وانظر : الجاحظ — البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٨٢) ان استعراض اسماء من ترجم لهم (من فترة صدر الاسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد ، واخبار القضاة لوكيع ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، ونزهة الالبّاء في طبقات الادباء للانباري ، يبين أن الموالي كانوا اقلية — حوالي ٢٥ — ٣٠٪ .

(٨٣) يروي الاعمش عن هلال بن يسار « قال : قدمت البصرة فدخلت المسجد فاذا انا بشيخ ابيض الراس واللحية ، مستند الى اسطوانة في حلقة يحدثهم ، فسألت من هذا ؟ فقالوا عمر بن الحصين » (ت سنة ٥٣ هـ) ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٥ .

(٨٤) انظر : ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥١ — ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ص ١٧٣ ، ص ١٩٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٣٦ . الطبري س ٢ ، ص ١٩٦٦ .

(٨٥) في الذهبي — معرفة القراء الكبار (القاهرة ١٩٦٧) ج ١ ، ص ٤٦ « فكنا نتعلم القرآن والعمل به » . وانظر : ص ٤٨ ، ص ٧٣ — ٧٤ . وانظر الشيرازي — طبقات الفقهاء (باعتناء احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠) ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٨٦) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٦١ . وانظر : ابن سعد ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٢٧ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٣٤ ، ص ٣٧ — ٩ .

(٨٧) البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٨٨) الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ، وانظر : البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ج ٥ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٥ ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٦٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١٦٣ . السجستاني — المصاحف (تحقيق

جفري) ، ص ١٣ — ١٥ . الاصبهاني — حلية ، ج ١١ ، ص ٦٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ص ٣٨ — ٩ .

(٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء ، ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص [illegible] واقترح سعد بن أبي وقاص جعلهم في القين ، البلاذري — فتوح ، ص [illegible] جاء رسول مصعب بن الزبير الى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة) بمال فقال له : الامير يقرئك السلام ويقول : انا لم ندع بالكوفة مقرئا الا وصله قاله معروفنا فاستعن على نفقة شهر رمضان بهذا . فقال : وعلى الامير السلام ، قل له انا والله ما قرأنا القرآن لنطلب به الدنيا ، ورده عليه » . البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

(٩٠) انظر مثلا : الطبري ، س ١ ، ص ٣٢٧٣ ، ص ٣٢٨٣ ، س ٢ ، ص ١٠٠٦ ، س ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٦ — ٧ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٠٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٥٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٦٥ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٣٠ — ٣١ ، ص ٥٤ . المبرد — الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٢٧ ، الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٧٦ .

(٩١) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٩٢ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٥٢ . ابن سعد ، ج٧، ق ١ ، ص ١١٤ ، ص ١٤٠ ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ص ١٧١ . وانظر : الذهبي — القراء الكبار ، ص ٦٨ .

(٩٢) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٤ — ٥ .

(٩٣) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٧٤ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٤ . الاصبهاني — حلية ، ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٣ ، ص ٧٥ ، ص ٧٩ .

(٩٤) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥ ، ص ٦٣ . الذهبي — تذكرة الحفاظ (دار المعارف العثمانية ١٣٣٣ — ٣٤) ج ٨ ، ص ١٠٦ . وانظر : الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ — ٨٣ ، ص ٧٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٥٤ .

(٩٥) ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٩٦) انظر : الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٩٣ .

(٩٧) انظر : الطبري ، س ١ ، ص ٢٢١٢ ،

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169 off, pp. 176off.

(٩٨) ابو زهرة — المذاهب الفقهية ، ص ٢٧ وما بعدها ، ص ٢٩ وما بعدها . وانظر :

Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1959), pp. 25 off., pp. 82 off.

(٩٩) Schacht - Introduction to Law, pp. 16 off. P. 233 , P. 237 , P. 247

(١٠٠) انظر : فؤاد سزكين ــ تاريخ التراث العربي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١٠١) انظر : ابن حجر ــ تهذيب ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، طلب عمر بن عبد العزيز من أبي بكر بن حزم كتابة « ما كان من حديث رسول الله او سنة ماضية او حديث عمرة » . اليافعي ــ مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٢٦١ . الدوري ــ علم التاريخ عند العرب ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ . الرامهرمزي ــ المحدث الفاضل (بعناية محمد عجاج الخطيب) ص ٤٢٣ ، ص ٤٣٠ .

(١٠٢) سزكين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(١٠٣) انظر : ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٤ . الطبري ــ تفسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ . ابن حجر ــ الاصابة (القاهرة ١٩٣٩) ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الف ابن عباس كتاب لغات القرآن (نشر باعتناء المنجد ، القاهرة ١٩٤٦) .

(١٠٤) انظر : الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٤٢ . وعرف مجاهد (ت ١٠٤/٧٢٢) باستعمال السراي . سزكين ، ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها . جولد تسيهر ــ المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ص ٧٥ وما بعدها ، ص ٦٨ ــ ٨٨ .

(١٠٥) سزكين ، ج ١ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، بروكلمان ــ تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(١٠٦) انظر : بلاشير ــ تاريخ الادب العربي . شوقي ضيف ــ التطور والتجديد في الشعر الاموي (ط ٥ ، ١٩٧٣) .

(١٠٧) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٩ . انظر : السيوطي ــ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . الزبيدي ــ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ . الانساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ . ابو الطيب ــ مراتب ، ص ٥ .

(١٠٨) يقول ابو الطيب : « ان اول ما اختل من كلام العرب فاحوج الى التعليم الاعراب ، لان اللحن ظهر في كلام المولدين والمتعربين بعد عهد النبي » . مراتب النحويين (أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٧) ، ص ٥ . وانظر : السيوطي ــ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . والزبيدي ــ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ .

ويروي السيرافي ان ابا الاسود قال لزياد : « اني رايت العرب قد خالطت الاعاجم وتغيرت السنتهم .. » انظر : اخبار النحويين البصريين (باعتناء كرنكو) ص ١٧ ــ ١٨ . وانظر : البلاذري ــ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨٩ عن اللحن ابسام زياد . ويشير بحشل ، تاريخ واسط ، ص ٤٦ الى الاختلاط في الكوفة والبصرة . ويتحدث المبرد عن عدد من العرب البارزين ممن عرفوا بلكنتهم الاعجمية (مثل عبيد الله بن زياد ، وزياد الاعجم) الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ ــ ٦ . وانظر : الزبيدي ــ طبقات ، ص ١٤ . وكان زياد يقول : « اذا لم يجد احدكم سعة لتزوج من يرغب فيه لموضعة فليتزوج سبيبة » . البلاذري ــ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ .

(١٠٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٢ ــ ٤ .

(١١٠) الزبيدي ــ طبقـات النحويين ، ص ١ ــ ٢ .

(١١١) انظر : فوك ــ العربيـة ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

(١١٢) انظر : عبـد المال سالم مكرم ــ القـرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ، ص ٤٨ ومـا بعدها . ابن النديم ــ الفهرسـت ، ص ٥ ،

Haywood - Arab Lexicography, p. 25 off.

الزبيدي ــ طبقـات ، ص ١٣ ــ ١٤ ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ . الداني : نقط المصاحف (دمشق ١٩٦٠) ص ١٢٢ ــ ٣ . وينسب البعض نقط الاعجام الى نصر بن عاصم (٧٠٧/٨٩) ، انظر : المصاحف للسجستاني ، ص ١١٨ . الذهبي ــ معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥٨ . وجاء في الذهبي « قال خلف بن هشام كنت احضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهـم » . معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ١٠١ ، وانظـر ص ١٠٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٨ .

(١١٣) السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢١ وما بعدها ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٧٣ ــ ٥ ، ص ٨٤ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٦ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٨ .

(١١٤) معرفة القـراء الكبار ، ص ١٠١ . وانظـر : الزبيدي ــ طبقات ، ص ٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٦٥ . السيوطي ــ المزهـر ، ج٢ ، ص ٣٠٢ .

(١١٥) وهكـذا وقف ابو عمرو بن العـلاء وتلميذه يونس بـن حبيب الى جانب السماع . وانظر : السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢٥ ، ص ٣٣ ــ ٤ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

(١١٦) تتمثل نظرة الكوفـة في القول : « كل مـا كان لقبيلة قيس عليه » ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ١ ، ص ٧٥٨ . انظر : احمـد امين ــ ضحى الاسلام (ط ٧ ، القاهرة ١٩٣٥) ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ وما بعدها . شوقي ضيف ، ص ١٥٧ ــ ١٦١ .

(١١٧) قـال عاصم بن ابي النجود الاسـدي (القارىء) : « من لم يحسن من القراءة الا وجها واحدا لـم يحسن شيئا » . الذهبي ــ معرفة القراء الكبـار ، ص ٧٥ . انظر : شوقي ضيف ــ المـدارس النحوية ، ص ١٩ ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(١١٨) انظر البلاذري ــ انساب (خـط) ق ٢ ، ص ٨٢٦ ــ ٣٧ ، ضمن المفضل الضبي .

(١١٩) الجاحظ ــ بيـان ، ج ١ ، ص ٢١١ ، والمرزباني ــ مختصر ، ص ٢٦ ــ ٢٧ ، ص ٢٥ . بلاشـير ــ تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، وانظـر : نهاد الموسى ــ ابـو عبيدة معمر بن المثنى (رسالـة دكتوراة خطية) ، ص ٨٢ ، ومـا بعدهـا .

(١٢٠) ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٣٩ ــ ٤٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٨٣ ومـا بعدها . السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠١ . يقول السيرافي عن يونس بـن حبيب : « وقد سمع من العرب كما سمع من قبلـه ... وكانت

حلقاته بالبصرة بتنابها أهـل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعـراب والبادية » .
أخبار النحويين البصريين ، ص ٢٣ — ٢٤ .

(١٢١) انظـر : المخزومي — مدرسة الكوفـة ، ص ٧٩ ومـا بعدها . شوقـي ضيف المدارس النحوية ، ص ١٥٥ ومـا بعدها . بروكلمان — تاريخ الادب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ص ١٧٩ ومـا بعدها .

(١٢٢) أبـو الطيب — مراتبه ، ص ٣٠ — ١ .

Haywood, op. cit. p. 24 off., p. 68 off.

(١٢٣) ذكر المبـرد : « قال معاوية يومـا : من أفصح الناس ؟ فقام رجـل فقال : قوم تباعدوا عن قراتية العراق وتيامنوا من كشكشة تميم وتياسروا عن كشكشة بكر ، ليس فيهم فحمة قضاعـة ولا طمطمانية حمير » ، الكامـل ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(١٢٤) الجاحظ — البيـان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ . وانظـر : ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(١٢٥) بحشل — تاريخ واسـط ، ص ٢٦ .

(١٢٦) يقـول الجاحظ : « ولم أجد في خطب السلـف الطيب والاعراب الافحاح الفاظا مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا قـولا مستكرها ، وأكثر مـا تجد ذلك في خطب المولديـن وفي خطب البلديين المتكلفين ، ومن اهـل الصنعة المتأدبين » .
البيـان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨ — ٩ .

(١٢٧) انظـر : **Fuck - Arabiya (Paris 1955), p. 9 off.**

(١٢٨) انظـر : الدوري — بحث في نشأة علـم التاريخ عند العرب . روز نتال — علـم التاريخ عند المسلمين . جسب — دراسات في حضارة الاسـلام ، مقال : التاريخ .

الأندلس في المغرب

عيسى الناعوري

في عام ١٩٦٧ ، وفي مؤتمر الدراسات الاسبانية / الاسلامية في قرطبة ، التقيتُ بالاستاذ المؤرخ والاديب المغربي عبد الله كَنّون ، وكان بيننا حديث على الاندلس ، وعلى روائع الفنون المعمارية والزخرفية فيه . وكنت اظن ان هذه الفنون قد جمدت على ما خلّفه عرب الاندلس في اسبانيا . غير ان الاستاذ كنّون اكّد لي ان هذه الفنون لم تَجمُد ، بل هي تعيش الآن وتتطوّر في المغرب بازهى واحدث مما هي في الاندلس . ودهشتُ لذلك ، وحَسِبتُ انه من قبيل المفاخرة الوطنية .

ثم اتيح لي ان ازور المغرب عام ١٩٧٤ بحثًا عن اثر الفنون الاندلسية هناك : من طراز معماري ، ومن زخرفة ونقش ، ومن فناء وموسيقى ورقص . وقد قضيتُ في تلك الزيارة واحدًا وعشرين يوما ، وتجوَّلتُ في المدن الرئيسية : من طنجة غربًا ، الى وَجْدة شرقًا ، والى مراكش جنوبًا ، وبينهما زرتُ كذلك الرباط ، ومكناس ، وفاس ، وتطوان . وفي كل مدينة قضيتُ يومين او اكثر ، ازور القصور ، والمساجد ، والزوايا ، والمقابر ، والمدارس القديمة ، والاسوار والقصبات . وذهلتُ فعلا وانا اعيش جوَّ الاندلس من جديد ، ولكن بشكل احدث واكثر تطوّرًا واشدّ روعة .

كنت قبل زيارة المغرب أحسَبُ ان فنون الزخرفة الاندلسيّة قد دخلت الى الاندلس من المغرب ، مع الفتح الاسلامي الذي دخل من المغرب ، ولكنني تيقّنتُ بعد زيارة المغرب من ان هذه الفنون المدهشة انما دخلت الى الاندلس مع الأمويين ، الذين حملوها معهم من دمشق ، بعد ان كانت دمشق قد اخذتها عن القاشاني الفارسي ، ومن

البيزنطيين ، وطبعتها بطابَـع دمشقيّ خاص . ثـم تطوَّرَتْ في إسبانيا مع الأيام ، ولـم تدخل الى المغرب الا في عهـد المرابطين ، في القرن الحادي عشر الميـلادي ، الخامس الهجري ، بعـد ان ضَمَّ يوسف بـن تاشفين الاندلس الـى المغرب ، فاصبح البَلَدان بلـدًا واحدًا . وبذلك احتضن المغربُ الفنـونَ الاندلسيَّة منذ ذلك الحـين . وحين خرج العرب من الاندلس في القـرن الخامس عشر الميلادي هاربين الى بُلدان المغرب ، حملوا معهم فنونهـم ، وظلّوا يمارسونها هناك . ومـذ ذاك راحت تتطوَّر مـع الزمن الى يومنا هـذا .

والواقع ان الذي يريـد دراسة الفنون الاندلسيـة كلها ، ومنها الغناء ، والرقص ، والموسيقى ، لا بُـدَّ له من زيارة المغـرب ، والتجوّل في مختلف مُدنـه ؛ فالاندلس تعيش هنـاك باجمل ما في فنونهـا الرفيعـة الخالـدة .

وفي مـا يلي أُدوِّن ما شاهدتُه وأُعجِبْتُ بـه في عدد من اهمّ المـدن المغربيـة مع شيء مما لا بـدّ منه من الربط التاريخي :

— ١ —
سَبْتَـة وطَنجـة

في الزاوية الشماليـة الغربية من المملكة المغربية ومـن القارة الافريقية ، وعلى شاطيء البحـر المحيط والبحر المتوسـط معا ، تقوم مدينة طنجـة ، وعلى مسافة قريبة منهـا الى الشرق تقع مدينة سَبْتَـة ايضا . وبين المدينتـين العريقتين ينتصب شامخًا جبـل موسى — نسبة الى موسى بـن نصير — ويقابله على العُدْوة الاسبانيـة ، شامخًا متغطرسا ، جبـل طارق . وكان هذان الجبلان والجبـالُ العالية المتقابلة بينهما ، وَمِـن حولهما ، تُدعى باسم (اعمدة هرقـل) . وهي تتقابل متمرِّدَةً على جانبَي مـا كان يُدعى مِن قَبْلُ (بحر الزقاق) او (بحر المجاز) ، ويُدعَى اليوم (مضيق جبـل طارق) . وانمـا كانت تسميته بالزقاق او المجاز لضيقه ، فهـو ضَيِّقٌ صغير ، لا تزيد ابعـدُ مسافة فيه بين العدوتين عن ثلاثـة عشر كيلو متـرا .

امـا تسمية الجبال المتقابلة الجبّارة باسـم (اعمدة هرقل) فلها اسطورة قديمة،تقـول إنَّ الارض كانت مُتَّصلة بين المغـرب واسبانيا ، وكانت تَفصِل بين ميـاه الاطلنطي والمتوسّط . ثـم تَزَوَّجَ هرقل ، وجاء بزوجته الى طنجـة . ولئلاّ يتمكّن احدٌ من الوصول اليهـا وسَلْبِه اياها ، شَقَّ الارض بين القارّتين ، وانشـا بينهما الزقاق المائي ، واملأ المـاءَ بالمـاء ، واقام الجبال الشاهقة حارسـة على طرفي الماء ، فدُعيَت هذه الجبالُ المـاردة باسم (اعمدة هرقـل) .

وفي طنجة مغارة هائلـة على البحر تُدعـى (مغارة هرقل) حَفَرَتْها امواجُ البحر القويّـة التي ظلّت تضرب اطراف الجبال قرونا لا حصر لها .

ويقف المـرء على شاطيء طنجة وسبتة ، فـيرى البواخر والقوارب تَمخَر البحر غاديـةً رائحة بين هاتين المدينتين ومُـدُن (قادس ، ومالقة ، والجزيرة الخضراء ، وجبـل طارق ، ومالقة) على العُـدْوة الاسبانية . وحين يقف علـى سفح جبل موسى ، بـين سبتة وطنجة ، وينظر الى

الشمال عبر بحـــر الزقاق ، يُروعُه شموخ صخرة جبـــل طارق ، كأنما انشقَّ عنها البحـــر ، فتمرَّدت شامخةً فـــوق تيجانِ الغيوم المتصاعدة مـــن البحـــر .

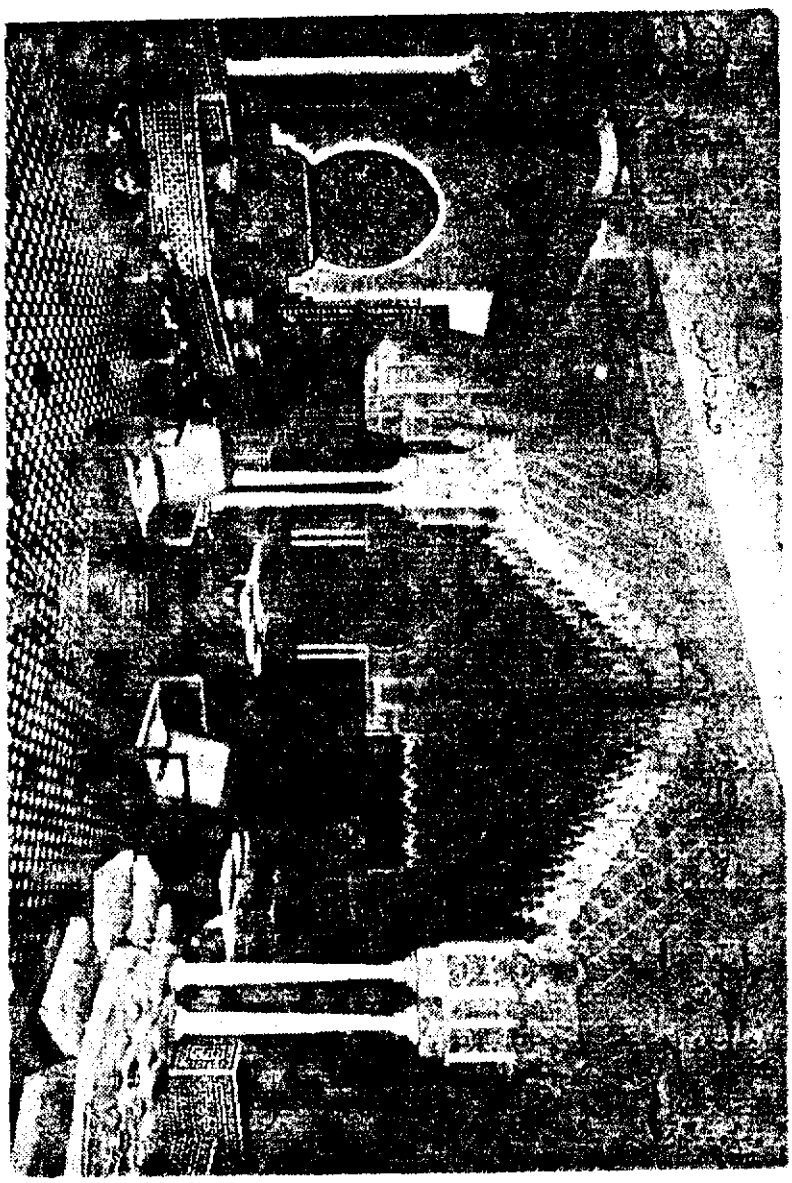

داخل نفق الريف في طنجة

من هذه البقعـــة انطلقت جيوش الفتح العربـــي الاسلامي لفتح بـــلاد اسبانيا ، مبتدئةً عـــام ٩١ هـ. ، ٧٠٩ م. وكانت هذه البقعة قبـــل الفتح الاســـلامي للمغرب وخلال مُـــدَّةٍ من بدايته ، ذاتُ صلة متينة باسبانيا ، فقد كانـــت سبتة في عهد عقبة بـــن نافع ، ثم موسى بـــن

نصير من بعده ، في ايـدي الاسبان ، وكان يحكمها بوليان ، الـذي تعاون مع العرب على غـزو اسبانيا لانقاذها من حكـم عَدُوّه لذريق ، ومهّـدَ لهم السبيل لفتحها ؛ وسبتةُ اليـوم يحكمها الاسبان ، وكانوا الى عـام ١٩٥٦ يحكمون الشمال المغربـيَّ كلّه ، وجزءًا من الشاطىء الغربي ، في حين كـان الفرنسيون يحكمون بقيّة المغـرب .

وظلّت سبتـة وطنجة مَعْبَرًا طبيعيًّا بـين المغرب والاندلس ، مثلما هما اليوم المَعْبَرُ بـين البلدين : منهما عَبَرت سرايـا طريف بن مالك ، للاستكشاف أولا ، عـام ٩١ هـ. وعادت بالغنائم الوفـيرة ، وببشائر سهولة الفتح . ثـم عَبَرت بعدها جيوش طارق بـن زياد سنة ٩٢ هـ. وتوغّلت في الجنـوب الاسباني والغرب ؛ ثـم تلتها جيوش موسى بن نصير سنـة ٩٣ هـ. لاستكمال فتح اسبانيـا والبرتغال وجنوب فرنسا .

ومن هذه البقعة أيضا كـان الأمويّون يدخلون احيانـا من الاندلس الى المغرب ، لمنـع المغاربة من التدخّل في شـؤون الأندلس . ثُمّ من هذه البقعة عينهـا دخَلَتْ فيما بعد جيوش المرابطـين ، بقيادة يوسف بـن تاشفين ، مَرّتَين : مرةً لانقاذ إمارات الطوائف مـن غارات الجيوش الاسبانية ، والمرّةَ الثانية لاحتلال الاندلس برمّتها وضَمّها الى المغرب . ومن هناك عادت الصلة التامّـةُ بين المغرب والأندلس ، واصبحت هـذه جُزءًا من المغـرب ، ودخَلَت فنونُ الاندلس الى المغـرب ، واتّصلَت الحضارة بين البلديـن فصارت واحدة . واستفـاد المغرب من ذلك فائدة عظيمة ، فقد كانت الأندلس متقدّمةً عليه مـن حيث العلم والثقافة ، وكان هو متقدّمًا عليها في القـوة والسلاح ، « فكـان هو يبذل للأندلس حمايته — كما يقول الاستاذ عبد اللـه كنّون في الجزء الاول مـن كتابه (النبوغ المغربي) — والاندلس تبذل لـه ثقافتها ومعارفها »(١) . وحين استولى يوسف بـن تاشفين على الاندلس ، حمـلَ ملكَ إشبيلية ، المعتمدَ بـن عبّاد ، اسيرا مكبّلاً بالقيود الـى طنجة ، ومنها الى فاس ، ثـم الى أغمات — في الجنوب المغربي ، قرب مراكش — حيث مـات سجينـا ذليـلا .

---

(١) النبوغ المغربي ، لعبد اللـه كنون ، ص ٧١ ، الجزء الاول — الطبعة الثانية .

لقد تأثرت طنجة ، مثلما تأثر المغرب كلّه ، بحضارة الاندلس ، وظلّ هذا الاثر الى يومنا هذا بارزا في العناية البالغة بالهندسة المعمارية ، والزخارف والنقوش الاندلسية ، والمُقَرْبَصات الرائعة البارزة في الجبص وفي الخشب — والمقربصات تعني (النقوش المجسّمة النافرة) وهي ماخوذة من الكلمة اللاتينية (CORPUS) التي تُعني (الجسم) ؛ ويُخطىءُ من يدعوها (المقرنسات) او (المقرنصات) ، فهي كلّها مُجسّمات نافرة .

وتعتمد الزخارف الاندلسية على قطع الزِّلّيج الخزفية الصغيرة ، ذات الالوان الجميلة الزاهية ، ولا سيما اللون الازرق واللون الاخضر ، وذات الاشكال البارعة الصناعة ، كاوراق الشجر حينًا ، او باشكال مربّعة او مثلّثة احيانا اخرى . وهي تُلْصَق إلصاقًا على الجدران ، وتُصْنَع منها صُوَرٌ واشكالٌ فنّية غاية في الجمال والرهافة والدقّة . وقد تُغطّى بها الجدران بأكملها ، او قد يُغطّى جزءٌ من الجدران الى مُلتقى معين .

وحين تَجتمع هذه الزخارف الخزفيّة الى المُقَرْبَصات البارزة في السقوف الجبصيّة ، او في الخشب ، ورفوف الابواب الدقيقة الصناعة ، تبدو بهجةً للنظر وبَهجةً للقلب .

هذا الطراز من الزخارف الزِّلّيجية والمقربصات الجميلة ما يزال الاسبانُ الى اليوم يحافظون عليه في متاحفهم ، وقصورهم ، وبيوتهم ؛ غير ان الحفاظ عليه في المغرب اشدُّ واعظم ، واكثرُ اتّساعا : فقصورُ المغرب كلّها ، ومساجدُهُ ، وفنادقه ، والكثيرُ من بيوته ، هي قطع روائع من الفنّ الاندلسي الساحر .

في طنجة ذهبتُ لزيارة الصديق عبد الله كنّون في منزله في القصبة — وهي مدينة طنجة التاريخية القديمة — فراعني ما شاهدتُ في المنزل من جمال النقوش والزخارف الأندلسية : من مدخل الدار ، الى بَهْوها السفلي ، الى السُّلّم الصاعدة الى الطابق الثاني ، الى ما رأيته من غرف المنزل ، وطراز اثاثها . كلُّ شيء فيه اندلسي ،

حتى طراز الفـــراش ، والستائر ، والمقاعـــد الممدودة على الارض ، او المرتفعة علـــى مساطب مفروشـــة .

ومثل منزل عبد اللـــه كنّون ، بل اكثر زخرفة ، كـــان كذلك الفندق المعروف باســـم (فندق الريف) ، ففي قاعاته آيـــاتٌ باهراتٌ من هذه النقوش والزخـــارف الاندلسية .

وتنتقل من هنـــاك لتتجوّلَ في (القصبة) المطلّـــة على البحر ، والمحاطة بالاســـوار العالية ، فتتخيّلُ انك في احـــدى قـــبات الاندلس ؛ والقصبةُ كانت مِن قبلُ مَقـــرَّ الحاكم ، وفيها دوائر الدولـــة ، وثكنات الجيش . وفي طنجة مـــا تزال القصبة يبدو عليها القـــدم ، في البيوت ، والشوارع ، الا مـــن بعض الأبنية الحديثة التي تكـــاد لا تبدو فيها . واسوارُها شبيهة باســـوارٍ كثيرة ما تزالُ قائمة في العديد من المـــدن الاندلسية . الطراز واحـــد ، والنتوآت المدبَّبَة في اعلـــى الاسوار والأبراج واحدة . ولا عجب فـــي ذلك ، فقد تعاقب على حُكْـــم الاندلس من المغاربة ــ من القـــرن الحادي عشر الميلادي الـــى اواخر القرن الخامس عشر ــ المرابطون ، والموحّدون ، والمَرينيّون ، الذيـــن في اواخر عهدهم خرج العرب نهائيـــًا من الاندلس . وكلُّ هؤلاء تركوا آثـــارا متشابهة في الأندلس والمغـــرب معًا ، وكلُّهم شيَّدوا القلاع والحصـــون والقصبات والقصور ، وبنـــوا المساجد والاسوار ، واسّســـوا المدارس في عُدْوَتَي بحـــر الزقاق . وكثيرٌ من هذه الآثار مـــا يزال قائما الى اليوم على الأرض المغربيّـــة والأرض الاسبانيّـــة .

واما الغناء الاندلســـي والموسيقى فما يزالان يعيشـــان كذلك في طنجة ، وفي المغرب برمّتـــه.والمغاربة يدعونه باسمـــه الحقيقي : (الغناء الاندلسي ، في حـــين يدعوه التونسيون والليبيون باســـم آخر ، هو (المـــالوف) . والمغاربة يقيمون حفلات الغنـــاء الأندلسي باستمرار في كلّ مكان من الارض المغربيـــة ، باعتباره فنـــًا لهم فيه حِصَّة ، ولهم في بقائه نصيب ؛ فهـــو لذلك بعضٌ من التراث الشعبي المغربـــي .

- ٢ -

الربـــاط

من طنجة ننحدر ـــ مع الخريطـــة الجغرافية ، لا مـــع التاريخ ـــ جنوبا ، لنصل الى مدينة الربـــاط ، عاصمة المملكة المغربيـــة اليوم ، وجارة مدينة (ســـلا) على شاطىء الاطلنطي ، لا يفصـــل بينهما غير نهر

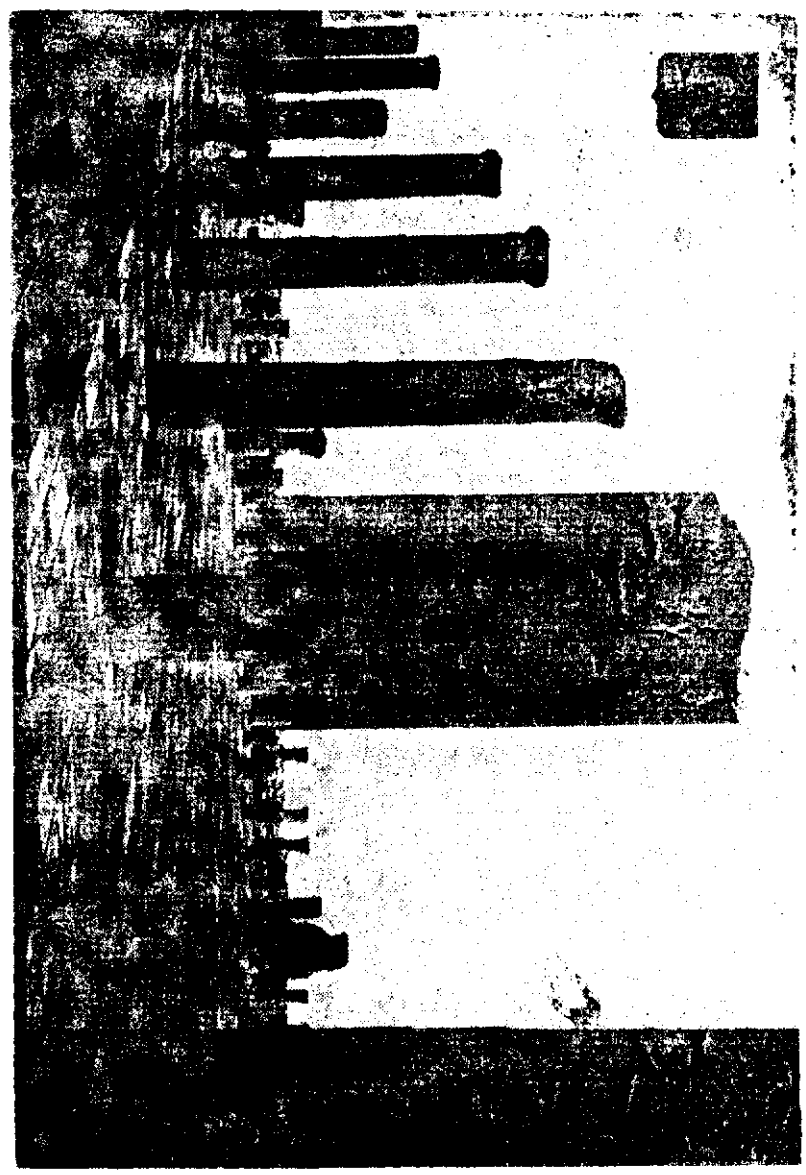

مئذنة حسن في الرباط

ضحل المياه ، قليل العرض ، هو نهـــر (بورقراق) . وفي (سلا) تُوفّيَ الملك عبـــد المؤمن ، اول ملوك الموحّديـــن .

وقبل ان ابـدا الحديث على الرباط ، ارى ان اذكر ان جارتها (سـلا) مدينةٌ اندلسية،بمعنى انَّ سُكّانهـا من اصل اندلسي ، نزحوا من الاندلس فعمروها ، واقامـوا يمارسون فيها اساليب حياتهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وصناعاتهـم الاندلسية ، مثلما فعـل إخوانٌ لهم خرجوا من الاندلس ، وانشـاوا مدينة تطوان ، وبعض المـدن المغربية الاخرى ؛ وكانت سـلا من قبل مدينة رومانية عريقة . فهي من المـدن المغربيـة القديمـة .

ولكنّني لـن اقفَ طويلا عند مدينة سـلا ، وقد زُرْتها وتجوّلتُ فيها ، فلم اجـد فيها من مظاهر الفنـون الأندلسية الا القليل الذي لا يستحقّ الوقوف عنده بالنسبة الى ما شاهَدْتُه في المـدن الاخرى الكبيرة.

واما مدينة الرباط ، او « رباط الفتح » ، كما كان اسمها ، فتزخر بالكثير جـدًّا من مظاهر الفنون الأندلسية بشكل يسترعي النظـر ، ويستوقف الزائـر للتأمل والاعجاب .

هذه المدينة بناهـا سلطان الموحّدين الأشهـر يعقوب المنصور ، سنة ١١٩٨ م. ٥٩٣ هـ. وانشا فيها مسجد حَسّان وصومَعَته ـ مئذنته ـ اخت مئذنة (الكُتَبيّة) فـي مراكش ، ومئذنة (الخيرالـدا) في اشبيلية ، بالاندلس ، وكلّها مـن اعماله الخالدة . واما مسجد حسّان فقد هُدِم ، ولم يبق منه اليـوم غير انصافِ اعمدةٍ مزروعة فـي الارض ، يقوم بينها جزءٌ من المئذنـة يَستدعي الاشفاق حين يتذكّرُ المـرءُ ان شقيقتَيها في مراكش واشبيلية لا تـزالان قائمتين تتحدّيان الزمان . ويُقـال ان المئذنة لم تكمل ، مثلمـا كملت شقيقتاهـا .

وفي الطرف الغربي مـن المدينة تقوم (قصبـة الاوداية) ؛ وهي اخـتٌ لقصبات عديدة مثلها في الطراز ، باقيـةٍ الى اليوم في الأندلس ، تشابهها في البنـاء الداخلي ، وفي الأسوار ، وفي كـلّ شيء . وكان قد انشاها ملك الموحّديـن الأوّل عبد المؤمن بـن علي سنة ١١٥٠ م. وهي اصل مدينـة الرباط .

وفي جهة اخرى من المدينة تقوم بقايا مدينةٍ رومانية تُدعى (شيلا) ، وقد اتّخذها ملوك المَرينيّين مَقبرةً لهم ، واحاطوها باسوار عالية ، واقاموا فيها مسجدا ومئذنة . وكلّها ما تزال قائمة هناك الى اليوم .

ولم تصبح الرباط عاصمة للمغرب الاّ في عهد الاسرة العَلَويّة التي تحكم المغرب منذ زمن مولاي رشيد ، في القرن السابع عشر الميلادي — وكانت في اول عهدهم مَقَرًّا مؤقتا لملوكهم ، ثم تحوّلت الى عاصمة رسمية لهم في زمن الملك يوسف ، والد الملك محمد الخامس ، وَجَدِّ الملك الحسن الثاني . وكانت عاصمتُهم من قَبلُ هي مدينة فاس ، او مدينة مراكش . وقبل ذلك كانت مدنٌ اخرى عواصم للمغرب ، فالعاصمة هي (وليلي) مَرّة ، وحينًا مراكش ، وحينًا آخر مكناس ، او فاس . واحيانا كانت المدينةُ الواحدة تتحوّل مِرارًا الى عاصمة ، مثل مدينة فاس ، ومدينة مراكش .

ولقد تَعاقَبَتْ على المغرب كلّه حكوماتٌ متعددة : مِن عهد إدريس الأول ، حفيد الرسول ، الذي لجا الى المغرب في القرن الثامن الميلادي ، هربًا من بطش هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي ، وأسّس هناك الدولة الادريسيّة ، اول مملكة مغربية اسلامية ، وقد استمر حكمها نحو قرنين من الزمن . ثم قامت الدولة الفاطمية ، فدولة المرابطين ، فالموحدين ، فالمَرينيين ، فالوَطّاسيين ، فالسعديين ، واخيرا الدولة العلوية الحاكمة الى اليوم . وعَرَفَ المغربُ الحكم الاجنبي فترة من تاريخه الحديث ، وكان حُكمًا استعماريًّا مزدوجا : فهو اسبانيّ في الشمال والغرب ، وفرنسيّ في الوسط كلّه ، الى ان جلا الاستعمار المزدوج في عهد الملك محمد الخامس ، ثم في عهد ابنه الحسن الثاني ، ملك المغرب اليوم . ولم يبقَ من المغرب في ايدي الاسبان غير مدينتي سبتة ومليليا ، في الشمال المغربي ، على ساحل البحر المتوسط ، وذلك بعد ان خرج الاسبان اخيرا من الصحراء المغربية ، على الساحل الجنوبي الغربي .

وكان المرابطون ، ومِـن بَعْدهم الموحّدون ، ثـم المَرينيّون قد حكموا الاندلس ، وجعلوا منها جـزءاً من دولة المغرب . وفي اواخـر العهد المرينيّ وبدايةِ العهـد الوَطّاسي خَرَجَ العرب مـن الاندلس ، فكان من الطَبَعيّ جـدًا ان يلجأوا الى الشمال الافريقـي ، ويُنشئوا فيه مُدنًا وقرى ، كان منها فـي الشمال تِلمسان وتَطوان ، وفي الوسط مثلا — وتلمسان اليوم مـن الجزائر — .

هـذا من الجانب التاريخي الذي يربط بين المغـرب والأندلس ، ومن حيث الآثـار العديدة الباقية اليوم في مدينـة الرباط ، مِمّا له اشباهٌ كثيرة فـي الاندلس .

امّـا الطراز الاندلسي في البنـاء والزخرفة ، فان في الرباط منه الكثير ممّا يُدهش النظـر ويُبهج النفس . وانـت حين تصل الى مئذنة حسّان ، تجد الـى جانبها ، وعند طَرَف الأعمـدة الباقية من جامع حسّان ، بنـاءً من افخم الابنية وابهاها ، هـو ضريح الملك محمـد الخامس ، والـى جانبه مسجد محمـد الخامس كذلك . والبنايان آيتان من آيات الصناعة الاندلسيـة الحيّة المتطورة في المغـرب ؛ وأدعاهما الى الدهشة والانبهـار بجمال صناعته الاندلسية هـو الضريح ذو الطابقين ، بِقُبّتِه العالية المذهبة ، وجدرانه التي تَفَنَّنَ فيها الصُنّاع حتى لم يَبْقَ بعد فَنِّهم فـنٌّ في زخارف الزِلّيج والمقربصات الرائسـة . وانت تقف تحت قُبّتِـه ، وتحتار في تلك الصناعة العجيبة التي لـم تَعْرِف عصورُ الاندلس لهـا مثيلا ، حتى في قصر الحمراء ، وقصر جَنّة العريف ، وجامع قُرطبة ، وقصر اشبيليـة — وكلُّها من عجائب الدنيـا في جمال الصناعة الزخرفيـة والهندسية الاندلسيـة — .

والجديد في ضريح محمـد الخامس هو إدخال الذهب فـي الطراز الاندلسي باشكال لـم تعرفها زخارف الاندلس مـن قبل ، وبكثرة تَخْلب النظر ؛ وكذلك التَفَنُّن فـي الأشكال الزخرفية الأخرى غـير المألوفة كذلك . وتُحِسُّ وانـت في داخل الضريح ، ثُـمَّ في المسجد مِن بَعده ، بانك تودُّ لو تُطيل البقـاء ، مستمتعًا بروعة الصناعة وجمال الفـن .

وتستعيد في خيالك كلَّ قصور الاندلس ومساجدها ومآذنها ، فتحسُّ بعظمة الأندلسيين الذين خَلَقوا هذه الفنون المدهشة : من دِقَّة القِطَع الزليجية الصغيرة ، ورهافة الفن في ترصيعها ، وجمال النقوش المصنوعة منها ، ومن رهافة المقربصات الجبصية والخشبية التي خَلَقَتْها عبقريّةُ الفنان الأندلسي . ثم يأخذك العجب من بقاء هذه الصناعة العجيبة مزدهرة ، ومن تَطَوُّرها وتحديثها في مدن المغرب كلِّها الى اليوم ، وحفاظ المغرب على أن تظلَّ الاندلسُ حَيَّةً فيه ، لا يمحو جمالها الزمان ، بهندستها المعمارية ، وزخارفها ونقوشها ومقربصاتها ، وكذلك بموسيقاها ، وغنائها ورقصها .

وتَخْرُج من الضريح والجامع لتتجوَّل في انحاء مدينة الرباط ، فتدهشك القصور الملكية ، بزليجها الأخضر الجميل في السطوح ، وفي الجدران الخارجية ، وفي ظِلَلِ الحدائق الفسيحة : قصر المَشْوَر ، وقصر السلام ، والقصر القديم الذي بناه محمد بن عبد الله العلوي . وهذه القصور الملكيّة تُحَفٌ روائع من الصناعة الأندلسية الطراز ، تَفَنَّنَ فيها الصُنَّاع المغاربةُ فأبدعوا غاية الابداع .

ثُمَّ تمضي الى جامع السُنَّة ، وجامع مولاي يوسف ، وهما متقاربان في المكان ، فتقف متأمِّلاً جمال الزليج الاخضر الذي يُغطّي سطوحهما . وتمضي الى الداخل ، فتُدهِشُك البساطة الأنيقة في رهافة الصناعة الاندلسية — وللبساطة جمالُها ايضا متى كانت من صُنع يَدِ فنّانٍ بارعة — .

ولا يقتصر الطراز الأندلسي على الجوامع والقصور ، بل تَجِدُه كذلك في بعض الفنادق ، وأَخُصُّ بالذكر (فندق حسّان) ، في وسط المدينة ، وهو تحفة فنية رائعة من الداخل ، بجمال الصناعة الزخرفية الاندلسية ، التي تستريح اليها النفس ، ويستريح النظر .

— ٣ —

مـــراكش

ونمضي مع خريطة المغـــرب انحدارا الى الجنوب ، حتى نصل الى مراكش ، مدينـــة النخيل ، او المدينة الحمراء ، كما تُدعى ايضا .

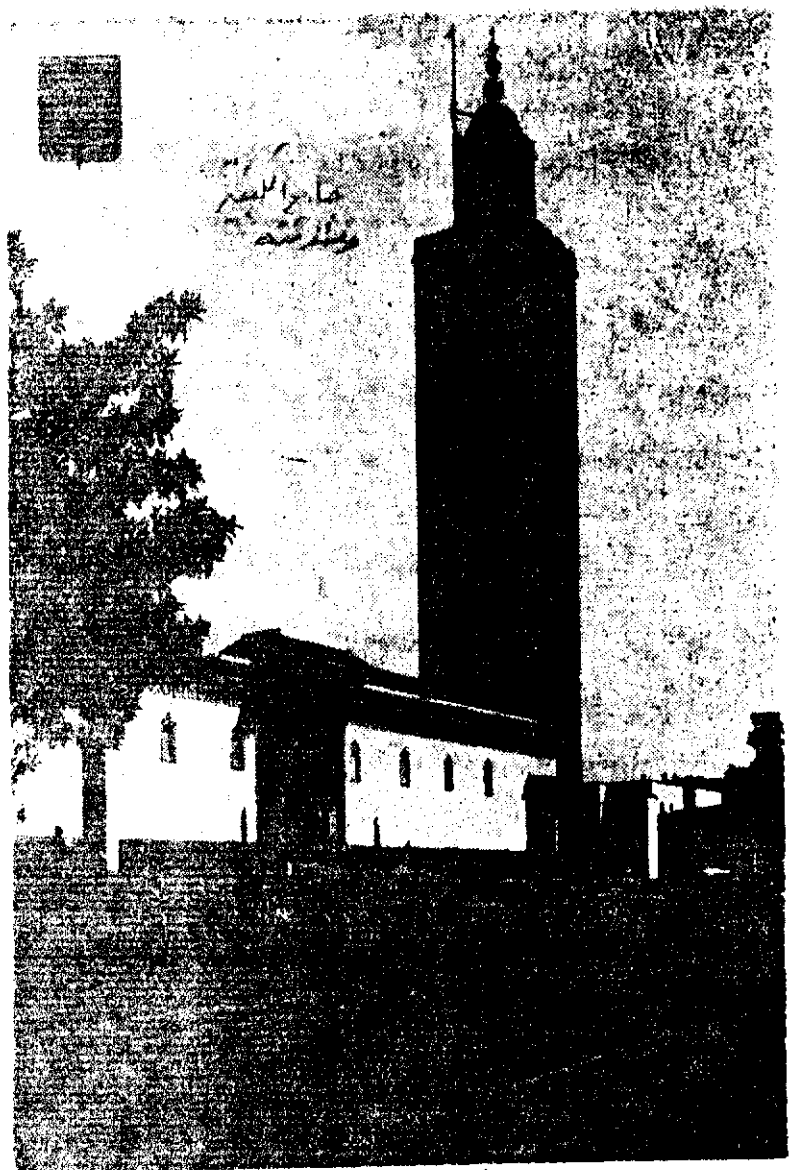

مئذنـــة الكُتبيّة فـــي مراكش

وهي تُدعَى كذلك لانَّ لـــون بيوتها الخارجي احمر ، بعكس مـــدن المغرب الأُخرى وقراه ، وكلُّهـــا تقريبًا مطليَّةٌ من الخـــارج باللون الابيض .

ومثلُها كذلـك الجزائر وتونس وليبيـا — وتكثُر في المدينة ومن حولها اشجارُ النخيل الجميلـة . وبيوتُها صغيرة وقليلـة الطوابق .

هذه المدينة بناها أميرُ المرابطين يوسف بـن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ. ١٠٦٢ م. واتخذهـا عاصمةً لدولته بَدلاً من العاصمة فـاس . ومِنْ بَعْدُ ظلّت مراكش عاصمـةً للموحّدين ، ثم كانت عاصمةً كذلـك للسعديين في القرن السادس عشر للميـلاد ، العاشر للهجرة . واتّخذهـا ملوك العلويين الأولون كذلـك عاصمةً لهم ، الى ان انتقلـت العاصمة الى الرباط في عهـد مولاي يوسف ، والد محمـد الخامس ، وَجَدّ الحسن الثاني . وقد تَرَكَتْ كـلُّ واحدة من هذه الدول المغربيـة آثارا من آثارها في هذه المدينـة العريقة .

وجدير بالذكـر انَّ معظم اعلام الفلسفة والطـبّ من الاندلسيين ، من عهد المرابطين الـى اواخر عهد المرينيين خاصة ، قـد انتقلوا من الاندلس ايقيموا في مـراكش او فاس ، في رعاية ملـوك هذه الدول الثلاث وامرائهـا . وفي ذلك يقول عبد اللـه كنّون في كتابه (النبوغ المغربي) : « فأبـو بكر بن باجة ، المعروف بابن الصايـغ ، والفيلسوف والطبيب والموسيقي ، هـو ممن اظلّتهم دولةُ المرابطين ، وخَـدَمَ رجالها بعلمه وفنـه ؛ وابو الوليد ابـن رشد ، وابو بكر ابن طُفَيل ، وابنـاء زهـر ، هُم ممَّن نبغوا في اعقاب عصر المرابطـين ، وانتشرت معارفهم في العصر الموحّدي الذي يليـه . واعلامُ الفقه والتصوف ، مثـل ابن رشد الكبير ، وابي بكـر ابن العربي ، وابن عربـي الحاتمي ، وابن سبعين ، هـم من رجال عصر المرابطـين او عصر الموحّدين » (١) .

وفي مراكش ضريـح بسيط متواضع ليوسف بـن تاشفين ، على مقربة من جامـع الكتبية ، أُقيمَ في عهد الملك محمـد الخامس فقط ، في حين يقوم ضريح خصمـه واسيره الشاعر الاشبيلي المعتمـد بن عبّاد غير بعيد عنـه ، في أغمات ، في مخامةٍ لا يعرفها ضريح ابـن تاشفين .

---

(١) النبوغ العربي ، لعبد اللـه كنون ، الجزء الاول ، ص ٦٦/٦٧ .

وكانت اغمات عاصمةَ المرابطين قبل ان يبني يوسف بن تاشفين مدينة مراكش .

وجدير بنا أن نشير ههنا الى أن ابن تاشفين كان قد دخل الى الاندلس بجيوشه مَرَّتين في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، الأولى لصد غارات الجيوش الاسبانية عن ممالك الاندلس ، ولا سيّما عن مملكة اشبيلية التي كان يحكمها المعتمد بن عبّاد ، والثانية بَعْدَها بقليل ، لكي يُضَمَّ الاندلس الى المغرب ، ويبسط سلطانه على المُدُوَّتين . وفي هذه المرة الثانية سيقَ المعتمدُ مكبَّلاً بالقيود الى طنجة ، ومنها الى فاس ، ثم الى اغمات ، حيث عاش المعتمد في ذلّة الاسر ، وخَلَّف لزوجته وبناته مذلّةَ التشرّد والفاقة . ثم ماتت زوجته ودُفِنَت الى جانبه .

ويتألف مبنى ضريح ابن عبّاد من مدخل ، تقوم الى يساره غرفة فيها سِجِلٌّ للزائرين . ويُفضي المدخل الى باحةٍ مكشوفة ، ثم الى غرفة فيها قبرُ ابن عبّاد وقبرُ زوجته الى جانبه . وعلى الجدار الأيمن والجدار الأيسر ابياتٌ نظمها الشاعر الوزير لسان الدين ابن الخطيب حين زار قبر المعتمد . وهذه ابيات منها :

قبرَ الغريبِ ، سَقاك الرائحُ الغادي حقّاً ظَفِرتَ بأشلاءِ ابن عبّادِ
كفاك ، فارْفُقْ بما استُودِعْتَ من كَرَمٍ رَوِّاكَ كلُّ قَمُوصِ البَرقِ رَقّادِ
ولا تَزَلْ صلواتُ اللّهِ دائمةً على دَفينِك ، لا تُحصَى بِأعدادِ

وكان ابنُ الخطيب قد رثى ابن عبّاد بابياتٍ اخرى حينما وقف على قبره ، فقال :

قد زرتُ قبرَك عن طوعٍ بأغماتِ رأيتُ ذلك من اولى المهمّاتِ
لِمْ لا ازورُك يا أنْدَى الملوكِ يدًا ويا سِراجَ الليالي المدلهِمّاتِ
وانتَ مَن لو تَخَطّى الدهرُ مَصْرَعَهُ الى زماني لجادتْ فيه ابياتي

لكأنما شاءت الأقدارُ أن تُقارِبَ بين ضريح السلطان الغالب ، والملك الشاعر المغلوب ، الذي كان له من دنياه السلطان والشعر

مما ، تَخَلَّدَ بالشعر ، وظلَّ اغرودةً في فم الزمان ، وظلَّ قبرُه محجَّةً الزوّار ممّن يعشقون الفنّ والشعر . وبجمْع الضريحين المتقاربين ، اجتمعَ المغربُ والأندلسُ اجتماعا ابديًّا ، كان الضريحان رمزًا خالدًا له وعنوانا .

المدرسة اليوسفية في مراكش

والى جانب ذلك يجتمع المغرب والاندلس في آثار اخرى باقية في مراكش ، لعلّ اهمّها جامعُ الكتبيّة ومئذنتُه ـ او صومعته ـ اخت مئذنة اشبيلية الشهيرة باسم (الخيرالدا) ، ومئذنة حسّان في الرباط .

تمتاز مئذنة الكتبية ومئذنتا الخيرالدا وحسّان ، بسلالَّم الصعود اليها ليس على سلالم ، بل في طريق عريضة مُتَلَوِّيَة ، تنتهي كلَّ دورة منها بِشُرفات من جميع الجوانب ، تُطِلُّ على المدينة ؛ حتى اذا بلغ الصاعدُ اعلى المئذنة ، واطلَّ من شرفاتها ، انبسطت تحتَ عينيه المدينةُ كلُّها كما تنبسط راحة اليد . ويُقال إن المنصورَ قد اراد من بنائها بهذا الشكل ان يكون في وُسعه الصعودُ الى اعلى المئذنة على صَهوة جواده . هذه المِيْزَةُ هي اهمُّ ما يجمع بين المآذن الثلاث . واما احجامها فمختلفات : فالخيرالدا يبلغ عُلوُّها اكثرَ من خمسة وسبعين مترا ، وعلوُّ الكتبية اثنان وستّون مترا ، ولا ادري كم كان ارتفاع مئذنة حسان ، في الرباط ، فهي الآن بُقيَّةُ مئذنة فقط ؛ اما من حيث الشكل الخارجيّ فان الخيرالدا ، في اشبيلية ، تُحفَةٌ رائعة من آيات الفنّ المعماري ، لا تضاهيها في ذلك مئذنة الكتبية . وقد اقيمت هذه المآذن الثلاث في القرن الثاني عشر الميلادي ، السادس الهجري .

وليس في وسعي ان أُطيلَ الحديث على سائر الآثار المراكشية ، فهي كثيرة جدًّا ، وكلُّها جدير بوقفات طوال مُشْبِعات . غير انني اكتفي بذكرها فقط ، ومنها : مقابرُ السعديّين ، وفي وسطها قبرُ احمد المنصور الذهبي ، اعظم ملوك السعديين وابعدُهم شهرة ، وهي من القرن السادس عشر ، وفيها الكثير من اثر الصناعة الاندلسية . وهناك قصر (دار الهناء) وحدائقُ الأُوكدال الفسيحة الواسعة الارجاء ، وقد انشاها الملك محمد بن عبد الله العَلَويّ . وفي هذه الحدائق غابات من شجر الزيتون ، وبِرَكتان كبيرتان هائلتا الاتساع ، في وسط إحداهما مكانٌ لجلوس جوقةٍ موسيقية وغنائية ؛ فهي بذلك شبيهة ببِرْكة القيروان في تونس . وهنالك ايضا قصرُ البديع ، الذي بناه احمد المنصور الذهبي ، من ملوك السعديين ، في القرن السادس عشر .

واما اقدمُ اثر مغربي يبدو فيه الطابع الاندلسي ، في المغرب كلّه ، فهو المدرسة اليوسفيّة ، في مراكش ؛ وكان قد بناها الامير عليّ بن يوسف بن تاشفين ، ودعاها باسم ابيه . وكل ما في هذه

المدرسة اندلسيّ الطراز ، سواءً في هندسة البنـــاء ، ام في المُقَرْنَصات الخشبيّة السوداء ؛ وهـــذه اوّلُ مدرسة اندلسية الطـــراز شاهدتُها في حياتي ، ولم أرَ من قبـــلُ مثلها في الاندلس . امـــا المغرب فتكثر فيه

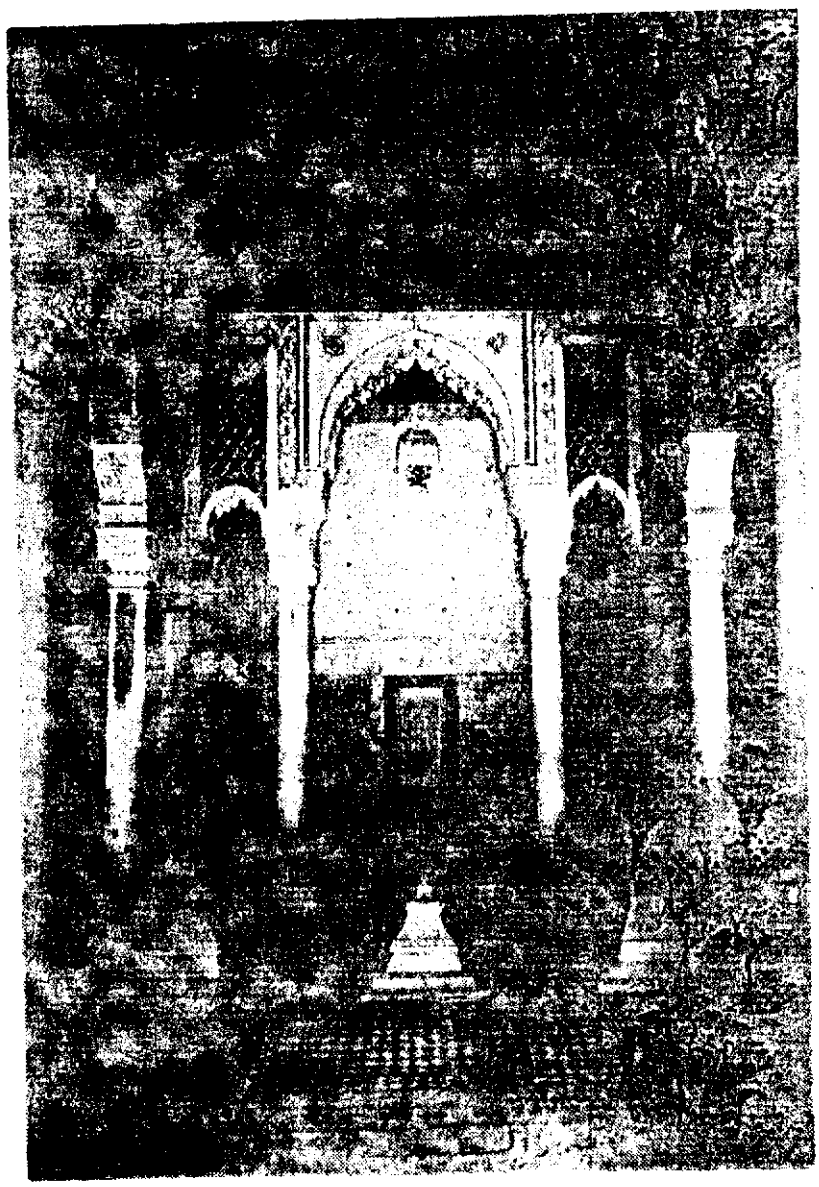

مقبـــرة السعديين فـــي مراكش

هذه المدارس ، وكثير منها مما انشاه الملك ابو عنان المَرينـــي ، وتُدعَى مدارسه كلها باسمـــه : (المدرسة البوعنانيّة) . وقـــد شاهدتُ من المدارس البوعنانية ثلاثـــا : في سلا ، وفاس ، ومكناس ؛ وهـــي وسواها من المدارس القديمـــة متشابهةٌ في طرازها ، وغُرَفُ الطـــلّاب فيها اشبه

بالرنزانات ، وكُلُّها تُطِلُّ على بهو اوسط مفتوح ، وتقوم في الطابق الثاني من المدرسة .

واما الزخارفُ الاندلسيَّةُ المدهشة فيجدها الزائر في قصر (الجلاوي باشا)، المهجور الآن، بكلِّ ما كان فيه من اثاث ورياش فاخرة ، كلَّ اقمشتها من الدِمَقْس الحُرّ . وكذلك في (قصر الباهية) ذي الحدائق الأنيقة، بطرازها الاندلسيّ الجميل الممتع . في هذين القصرين يعود المرء بخياله الى الاندلس ، ويعيش في جوٍّ اندلسيّ صرف ، ولكنّه جوٌّ اندلسي حديث متجدد .

— ٤ —

مدينة فاس

يا فاسُ، يا جَنَّةَ الآمال باسمةً وجنّةَ المغرب الأقصى لِما رَحُبا
ما زال جامِعُكِ المعمور مُفخرةً للضاد ، يَأْوَى طَوْقَ المِنَّةِ العِقَبا

(محمد الجموري)

وتنطلق من مراكش مصعّدًا في الأطلس الأوسط نحو الشمال ، حتى تصلَ الى مدينتين عريقتين ، هما مكناس وفاس . ولكليهما تاريخ طويل مجيد من تاريخ المغرب السياسيّ والفكريّ ، ومِلءُ كلٍّ منهما بالأندلس وعرب الأندلس في القديم ، وبفنون الأندلس في العصر الحاضر .

ولستُ اقف طويلا عند مدينة مكناس ، بل اكتفي منها بذكر القليل من آثارها الباقية ، واهمُّها : قصر اسماعيل بن علي بن الشريف ، راس الأسرة العلوية ، ومسجدُه الأندلسيّ الطراز ، ذو الألوان الجميلة الشبيهة بالوان قصر إشبيلية ؛ وكذلك المدرسةُ البوعنانية ؛ وهي احدى المدارس التي انشاها ابو عنان ابن ابي الحسن المَرينيّ . ويضاف اليها قصرُ الجامعيّ ، الاندلسيُّ الجميل .

وأمّا مدينة فاس فيرجع تاريخ بنائها الى الملك ادريس الثاني ، ابن الامام ادريس الاول ؛ فهو الذي وضع حجر الاساس للمدينة في غرّة

ربيع الاول عـــام ١٩٢ هـ. ، الرابع من يناير ٨٠٨ م. ثـم نَقَل اليها عاصمة ملكه من مدينـــة (وليلى) او (فولوبوليس) التـــي كانت عاصمة ابيـــه . وسَرعان ما توافد عليه العـــرب من إفريقية (تونس) ومن الأندلس : فجاءه خمسمئة فـــارس من افريقية ، ومئـــات من الاسر

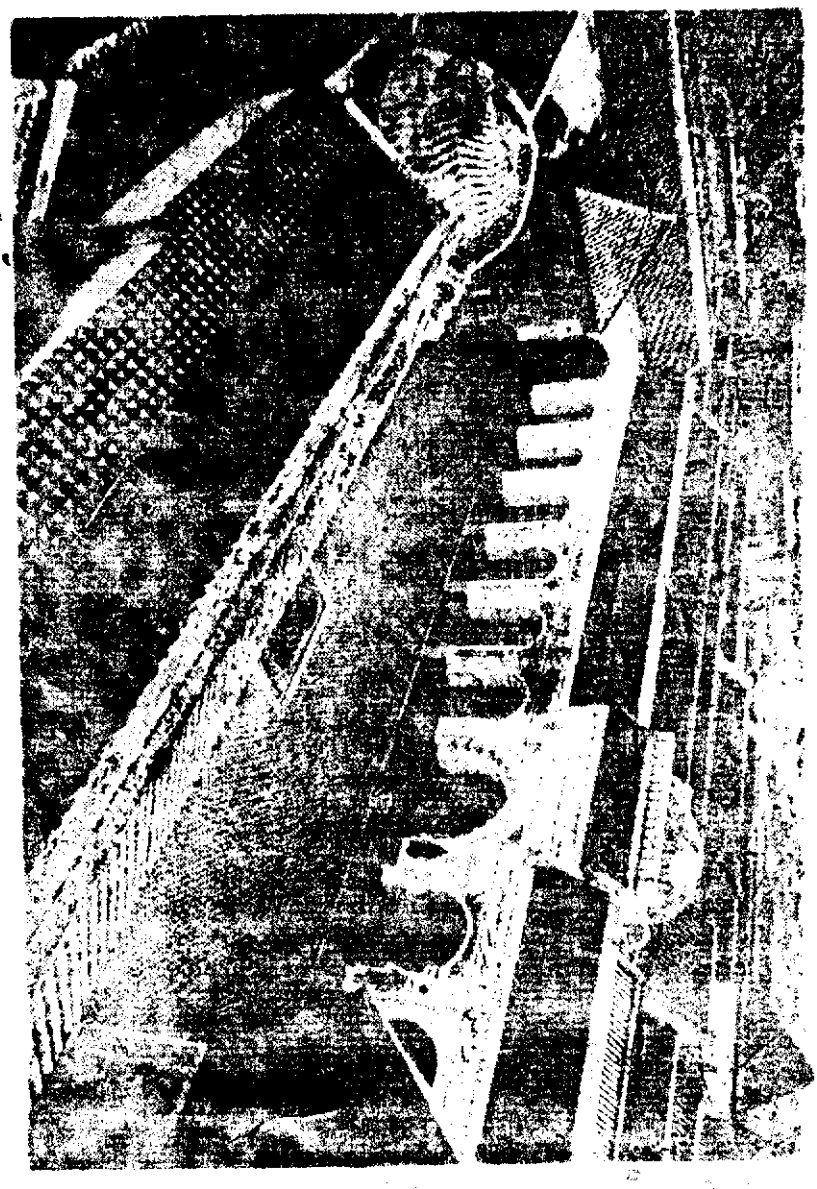

صحن جامع القرويين في فاس ويبدو سقوفه الزليجية

الأندلسية . وجَعل المدينـــة قسمين ، دعا احدهما (عـــدوة الأندلس) — وهي القسم الشرقيّ من المدينة — وأنزَل فيـــه الأُسَر القادمة مـــن الأندلس ، ودعـــا القسم الثاني (عـــدوة القرويين) — وهي القسم الغربيّ — وقد اتخذ منـــه الملك ادريس مَقرًّا لـــه .

وظلت فاس عاصمة الدولة الادريسية ، التي قامت في المغرب على يد الامام ادريس الاول ، بعد هربه من المشرق خوفا من بطش الرشيد به . غير انّ البطش لحق به الى المغرب ، فمات مسموما في عاصمته (وليلى) على يد الشماخ ، بتدبير من هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي . ولما قامت دولة المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، انتقلت العاصمة من فاس الى مراكش التي بناها يوسف بن تاشفين . ولما جاء المرينيّون في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نقلوا العاصمة من مراكش الى فاس من جديد ، واضافوا الى المدينة قسما دعوه (فاس الجديدة) واحاطوه بالأسوار ، كما كانت المدينة القديمة محاطة بالأسوار ايضا . وظلّت فاس عاصمةً للمغرب بعد ذلك في عهد الوطّاسيّين ودولتهم القصيرة العمر .

وكثُر نزوحُ الأندلسيّين الى فاس ، وقد حَملوا معهم مظاهر حضارتهم وفنونهم ، فكان لذلك اثره الكبيرُ جدًّا في التقدُّم الفكريّ والحضاريّ الذي عرفته فاس . ومِمَّن وَفَدوا عليها ومارسوا علومهم وفنونهم فيها : الطبيب والعالم عبد الملك بن زهر ، والفيلسوف ابن رشد ، والوزير الشاعر لسان الدين بن الخطيب ، والكاتب جُزَيّ بن عبد الله الغرناطي ، والوزير الشاعر ابن زمرك ، وغيرهم ، وكلُّهم عملوا في المغرب في عهد المرابطين او الموحّدين او المرينيّين . والمؤلم حقًّا انّ كلَّ واحد من هؤلاء الأعلام قد رُمِيَ بتهمة الالحاد والزندقة ، وبعضُهم مات حرقا ، او مات مسموما . ولا يزال قبر لسان الدين بن الخطيب بارزًا أثرُه خارج أسوار مدينة فاس .

وما تُذْكَر مدينة فاس الا ذُكِرَ معها جامع القرويين ، وكان دائما في المغرب صنو الأزهر في مصر ، وفيه تَخَرَّج كبارُ علماء البلاد المغربية على توالي العصور الى يومنا هذا . وقد تَحَوَّلَ اليوم الى جامعة عصرية . وهذا الجامع انشأتْه في القرن التاسع الهجري ، التاسع الميلادي ، السيدةُ فاطمة أمّ البنين الفِهْريّة ، من مهاجرات القيروان .

ولم يلبث الجامع ان اصبح جامعة ، هي اقدم جامعات العالم على الاطلاق ، واصبح مصدر إشعاع فكريّ إسلامي غَمَرَ بلدانَ المغرب والأندلس ، وتوافَدَ عليه العلماءُ وطُلاّب العلم من كل صوب . وبجامع القرويين صارت فاس عاصمةَ المغرب العلميّة الى اليوم . وهو أول

مِيضاة جامع القرويين في فاس

جامع تقوم بتأسيسه مدرسة في العالم الاسلامي كلّه ؛ وكُلُّ الدول التي تعاقبت على حكم المغرب منذ ذلك الحين كانت تتبارى في دعم القرويين ، وإغداق المال عليه ، وإجراء التوسّعات التي يتطلّبها ، وتوفير العلماء له ، (والمدارس) العديدة لايواء طلاّبه وتدريسهم .

أمّـا اثر الاندلس في القرويين فنطالعه في كـلّ مكان من هذا الجامع العريق : ففـي المحراب نرى الطرازَ الاندلسـيّ بزخرفه الزخرفة بديعة ؛ وفي صحن الجامـع تُدهشنا قطع الزليج — او الفسيفساء الصغير الملـوَّن — البديعة الألوان تغطي الأرضيّة كلّهـا ، وتزخرف الينابيعَ الجميلة ، والجُدران جميعَهـا . ومن فوق زليج الجدران والأرضيّـة تتدلّى المُقرْنَصات والنقـوش الجبصيّة والخشبيّـة المدهشة ، تَفنّنت فيها ايدي الصُنّاع الفاسيّين الذيـن اخذوها في الأصل عـن الاندلسيين ، ومضت تبدع فيهـا ما شاء لها الابداع . وعلـى طرَفَي الصحن تقوم ظُلّتان — سقيفتان — جميلتان ، تُزيّنُهمـا السقوف الخشبية البديعة في نصفهما الأعلى ، والأعمِـدَةُ الرفيعة الدقيقة مـن اسفلهما ، والزليج الأخضر البهيج في سطوحهمـا . وعلى الجدران قِطَـعٌ صغيرة من الفسيفساء الزليجية البهيّـة الألوان .

وعلى مقربة من الجامع عِـدَّةُ مدارس قديمة ، اندلسيـةِ الطراز ، نذكر منها : البوعنانية ، ومدرسـة النجّارين ، والعطّارين ، والصفّارين ؛ وهـذه كلُّها من العهد المَرينـيّ في القرنين الثالث عشر والرابـع عشر . وهنالك ايضا مدرسـة الشَرّاطين ، وهـي من عهد الأُسرة العَلَوية . وكلُّ هذه المـدارس وسواها من المدارس القديمـة في مختلف مـدن المغرب هي من طراز المدارس التـي نشأت في الأندلس من قبل ، والتي جَعَلَت مـن الأندلس منارةَ علـمٍ وحضارةٍ قَبْلَ ان تقوم النهضة الحديثة في اوروبـا .

وتَتَجلّى الصناعةُ الأندلسيـة في كل مكان من مدينة فـاس : في المساجد ، والزوايا ، وفـي المدارس ، والأضرحة . ومن أهـمّ الزوايا في فاس زاويةُ مـولاي إدريس ، مؤسس المدينـة ؛ ويتبدّى جمالها في زليج سطوحها وأفاريزهـا ، وزخارف جدرانها وارضيّتهـا .

غير أن احدثَ الاعمـال الزخرفية الجميلة المتطـوّرة يُبْهِرُ الزائر في (فندق قصر الجامعـي) ، وهو فندقٌ كبير حديـث ، نِصفُه كان قصرًا قديما من القرن التاسـع عشر لأحد كبار اغنياء المغـرب يدعى (الجامعي)

ـ وله قصور اخرى في مكناس وبعض المدن المغربيّة الاخرى ـ ثم اضيفت اليه اجنحةٌ حديثة ، واستُغلّت حدائقه الفسيحة ، وَزُيِّنَ بالنقوش والزخارف الاندلسية المُحْدَثَة ، فجاء قطعةً مدهشة من جَنَّة

قاعة العرش في القصر الملكي في تطوان

الأندلس ، يُعِزُّ مثيلها في قصور غرناطة وإشبيلية ؛ وفي فسحاته الواسعة ، حَوْلَ بِرْكة الماء الكبيرة في حدائقه ، تُقام حفلات الغناء والرقص والموسيقى الأندلسية ، فيعيش الساهرون في جوٍّ اندلسيّ خالص ، وفي مُتعةٍ للعين والنفس لذيذةٍ حالمة .

لقد امتزج تاريخُ فاس بتاريخ الأندلس في اشياء كثيرة : امتزج بالأُسَر الأندلسيّة العديدة التي نَزحت الى المدينة منذ انشائها ؛ وامتزج بفنون الهندسة العمرانية والنقش والزخرفة ؛ وامتزج في رحاب جامع القرويين ، اساتذةً وطُلاّبًا وزُوّارًا ؛ وامتزج في قصور الملوك والحُكّام بمن وفد عليهم من أعلام الأدب والشعر والفِقْه والعلم من الأندلسيين ، ولا سيما في عهد المَرينيّين وسُلطانهم الأشهر ابي عنان . وقد ذَكَرنا في ما تَقدَّم اسماءَ بعض هؤلاء الأعلام .

وهناك مظاهر اخرى كثيرة من امتزاج الأندلس بمدينة فاس ، نَجِدُ بعضها في الطُرُقات الضيّقة التي تسير في وسط المتاجر المسقّفة على الجانبين، لتُبْرِزَ اعمال النَسّاجين والصاغة والصُنّاع الفاسيين البارعةَ الجميلة . ونَجِدُ بعضها كذلك في طراز الأسوار ذات النُتوءات المُدَبَّبَة .

والواقع أن مدينة فاس من أكثر المدن المغربية تأثُّرًا بالأندلس وبفنون الأندلس ، وَمِن أكثرها احتضانا لفنون النقش والزخرفة والبناء الأندلسية .

— ٥ —

تَطْوان

تقوم مدينة تطوان — او المدينة البيضاء ، كما تُدْعَى ايضا — على سفح تل (دَرْسَة) الى الجنوب من سَبْتَة . ومِن حَوْلها يَمُرّ وادي الحلو — ويُدعى أيضا وادي مَرْتَل — بساتينها الجميلة المحيطة بها . وقد بَنَى هذه المدينةَ المهاجرون الذين جاؤا من غرناطة في ايامها الاخيرة ، وعلى راسهم ابو الحسن المنظري . ثم لَحِقَ بهم غيرُهم ممن اضطُرّوا الى النزوح عن الأندلس . وقد حافَظَت هذه الأُسَر النازحة على أُسلوب حياتها الأندلسية ، بحيث يُخَيَّل اليك ، وانت تدخل الى تطوان ، انك تَدخُل الى مدينة اندلسية . والواقع انني هناك رَجَعَ بي الخيال الى مدينة (رُنْدَة) في الجنوب الأندلسي ، بشكل خاصّ ، وشَعَرْتُ بانني قد عُدتُ اليها من جديد — وكان عهدي بزيارة رُنْدَة قريبا — .

وتطوان هي العاصمة العلميَّـة في الشمال المغربي ، واللغـةُ الاجنبية التي يتكلم بهـا التطوانيون هي الاسبانيـة ، وبيوتُها تَعكِس جمال الطراز العمرانـيّ والهندسيّ الأندلسـيّ .

جوقـة موسيقى اندلسية في قصر البريشـة في تطوان

وقبل ان امضي في الحديـث على المدينة وطابَعِهـا الاندلسي ، أوَدُّ ان أذكر انني درستُ هناك على زيارة مـؤرخِ تطوان وشيخ علمائها ، الاستاذ الحاج محمـد داود ، صاحب (تاريـخ تطوان) ، الذي يقع في اربعة عشر مجلداً ضخمـا ، سِتَّةٌ منها مطبوعة ؛ والثمانيـة الأخرى

تنتظر الطبع ، يُضاف اليها اربعةُ مجلدات ضخمة اخرى بعنوان (عائلات تطوان) ، مِمّا يصل بتاريخ تطوان الى ثمانية عشر مجلداً ، اطلعني عليها الأستاذ محمد داود في تلك الزيارة .

ان روح الاندلس ما تزال تعيش مع الحاج محمد داود ، مُتَحَدِّرَةً اليه من اجداده الذين نَزحوا عن غرناطة . ومَنزلُه تمثلُ قِطعةً من الأندلس : بتنظيمه الهندسي ، وبنقوشه وزخارفه ، وفُرُشه واثاثه ، وجدرانه وسقوفه ؛ ولأوّل مرة ، وفي منزل الحاج محمد داود ، رأيت طراز المخادع الاندلسية ، بالسرير العالي ، والستائر المصنوعة من الدِمَقْس الأصليّ الجميل ، ورأيتُ كيف يكون (البيت الأندلسي) بفراشه على سَطيحةٍ مرتفعة عن الأرض ، وبمساندِه المستديرة الطويلة المغطّاة بقماش حريريّ زاهي الالوان . كلُّ ما في منزل الحاج محمد داود يَنقُلُك الى الأندلس ، فتعيش مع التاريخ الزاهي العزيز الذي مضى .

ومثل منزل الحاج محمد داود كذلك منازل عديدة اخرى ، أَهلُها كُلّهم من ابناء المهاجرين الأندلسيين ، ولم يستطيعوا التخلّي عن أسلوب الحياة الاندلسيّة . وقد زرتُ من هذه المنازل منزل عبد السلام الصَفّار ، مدير مدرسة الفضيلة للبنات ، كما زرتُ مدرسَتَه ايضا ، فرأيتُ في كليهما ما يُبهج النفس والنظر من روعة الطراز الأندلسيّ في كلّ شيء .

حتى الساحاتُ والحدائقُ العامة في وسط المدينة ، من مِثْل ساحة الحسن الثاني ، وحديقة (روضة العُشّاق)، هي ايضا قِطَعٌ من جِنان الأندلس وساحاته العربيّة القديمة . وحين تَدْخُل الى حديقة (روضة العُشّاق) تجد في وسطها ظُلّةً — سقيفة — جميلة لجلوس المتنزّهين ، سَطحُها من الزِلّيج الجميل المألوف جدًّا في الأندلس والمغرب . وعلى مقربة منها بِرْكة صغيرة مستطيلة ، على جانبيها نوافيرُ رفيعة تنفث أقواسا من الماء الى وسط البركة ، فيعود بك الخيال الى (بِركة الساقية) في قصر جَنّة العريف ، في غرناطة .

وساحة الحمن الثانـــي في وسط المدينة ، تتوسطها ظُلَّـــةٌ انيقة كذلك ، تقوم على اعمـــدة دقيقة ، تُذكِّر الزائر بدِقَّتهـــا ، ولطفها ، وجمال هندستها ، وزليجها ، وزخـــارف ارضيتها ، بكثيرٍ ممّا يُعْـــرف في الأندلس . الأعمِدَة الرهيفة الجميلـــة،بشكلٍ خاص ، تُذكِّرنـــي بأعمدةِ جامع قرطبة ، وقصر الزهـــراء ، وقصر الحمـــراء في غرناطة .

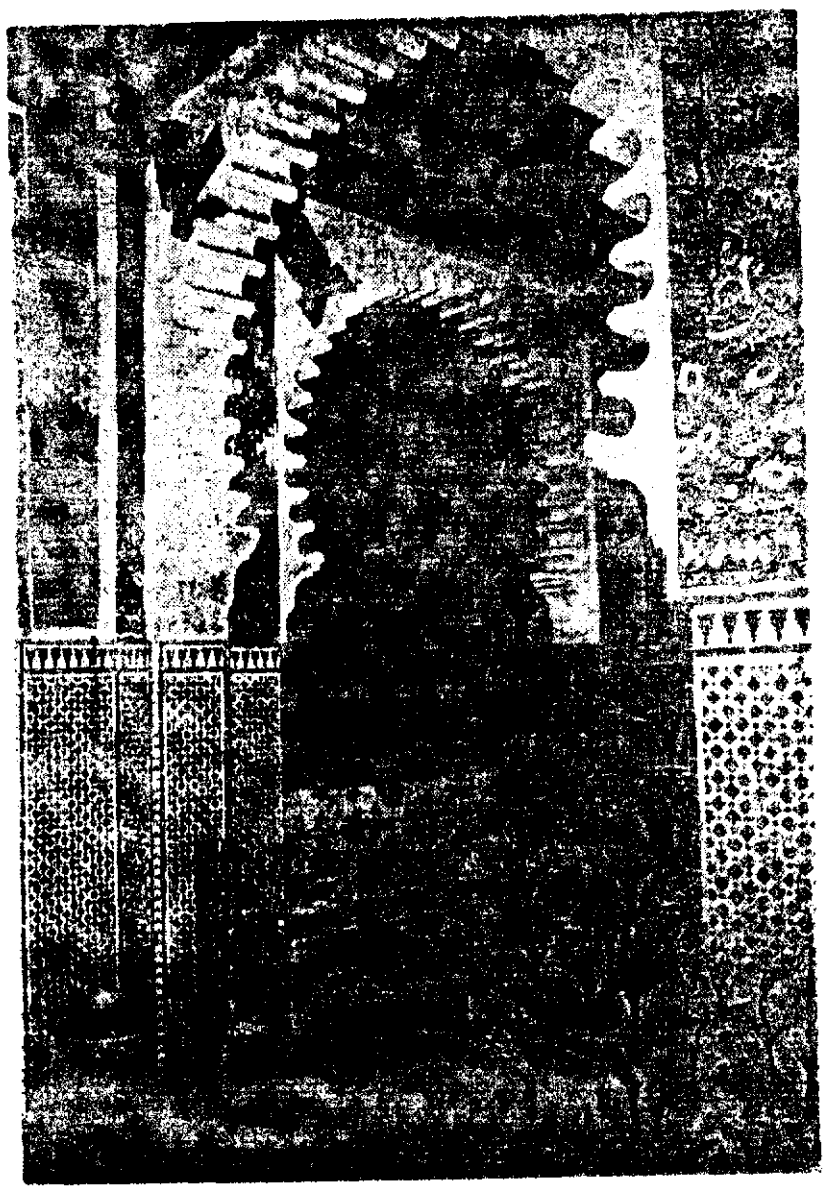

مَخْـــدَع أندلسيّ فـــي المغرب

ثـــم تنتقل من الساحة الى القصر الملكي المجاور لهـــا ، وهناك يتجلى الفـــنّ المعماريّ المنقول عن الأندلس ، والزخـــارف والنقوش

والمقربصات الأندلسية . باشكال لا تَشْبَع العينُ من تاملها ، ولا النفس من الاستمتاع بسحرها الدائم . وهذا الجمال هو بعضُ الفنّ البارع المدهش الذي يَتنافس فيه الصُنّاع التطوانيون والصُنّاع الفاسيّون بشكل خاص ، ويحاول كلٌّ منهم ان يَتفوّق فيه على زميله .

هذا القصر الملكي بُني سنة ١٦٠٠ م. ، القرن العاشر الهجري ؛ بناه القائد احمد الريفي ، خليفة الملك سليمان العَلَوي في الشمال المغربي ، ثم أُدخِلَت عليه مع تعاقُب الأجيال ترميماتٌ واصلاحات عديدة ، نَجِدُ تواريخها مَدوَّنة على جانب باب القاعة الكبرى ، في الطابق العُلْوي ، واما الهندسة الأصليّة فلم يطرا عليها اي تغيير . وقد عَلِمْتُ من وكيل القصر الذي رافقني في جولتي هناك ان الصناعة الجِبْصيّة في القصر ، بِنقوشها المُقَرْبَصة الجميلة الأنيقة ، هي صناعةٌ فاسيّة ، واما الزليج الصغير البديع الالوان فمزيجٌ من صناعة تطوان وصناعة فاس ، واما المقربصات الخشبيّة وكلّ النقوش الخشبيّة فصناعةٌ تطوانية . والفرقُ بين صناعة تطوان وصناعة فاس في اعمال الزليج الصغيرة — كما قال لي وكيل القصر — هو انّ الصُنّاع الفاسيّين يُصنعون الشكلَ الكامل قِطعةً واحدة ويشوونه في النار ، واما التطوانيون فيُقَطّعونه قِطَعاً صغيرة ثم يَشوونها ، وبعد ذلك يُلصقونها على الجدار قطعة قطعة . وكان الصانع التطواني الأول الذي صَنَع نقوش القصر يدعى (المعلم احمد البوري) .

وتَنْتَقل من القصر الملكيّ في طريقٍ ضَيّقة نازلة مُتَدَرِّجة — هي طريقٌ اندلسيّة صِرْف — لِتَصِل الى قصرٍ آخر عظيم الفخامة في طرازه الأندلسيّ . ذلك هو (قصر البريشة) ؛ وهو جناحان كبيران ، عاليا السقوف ، احَدُهما مخصَّص لِبَيع المصنوعات البلديّة والمنسوجات المغربيّة المشهورة في جمالها ، والثاني سياحي : تَدْخُل من الباب فَتُفاجَأ بمنظرٍ قد لا تَقَع عليه العينُ في ايّ مكان آخر : بَهْوٌ مربّع فسيحُ الجوانب ، وفي وسطه بِرْكة ماء صغيرة جميلة ، يُنيرُ الماء من نافورة فيها ؛ ومن حول البركة جوقةُ رجال ونساء بملابس اندلسيّة

مزركشة ، وفي أيديهم آلاتُ طرب اندلسية . وما إن يُحِسّوا بِوَقْع خُطاك عند البـاب حتى يأخذوا في العزف والغنـاء ، وتَرقُص في وسطهم الراقصات الجميلات ، وكلّ ذلك بفـن اندلسي جميل أخّاذ . وعلـى جوانب البَهْـو العريض مقاعدُ منخفضةٌ لجلوس الـزوّار والسُيّاح للاستمتاع بالرقص والغنـاء وبالموسيقى الأندلسيـة .

هـذا القصرُ أقامَهُ سنةَ ١٨٩٧ الحاج عبـد الكريم البريشة ، وكـان سفيرًا ووزيرا وثريًّـا كبيرا ، تَولّى مناصبَ رفيعـةً في تطوان وفاس والبيضاء في عهـد الملك الحسن الأول والملك عبـد العزيز ؛ ويُقال إنه بنى قصرًا آخـر مِثْله كذلك ، وجَعل القصرين لِبِنْتَيـه . وهذا القصر متعةٌ للعين والنفس ، بمـا فيه من جمال النقوش والزخارف الأندلسيـة .

والجديرُ بالذكر انّ في تطـوان وغيرها من مـدن المغرب مدارس خاصة ، يدعونها (دُور الصناعة) تُدَرَّسُ فيها فنـون النقش والمقربصات والترصيع الأندلسية ، لتَظَلَّ حيَّـةً متطوِّرة باستمرار . وقـد دَخَلْتُ دار الصناعة في تطـوان ، وتجوَّلتُ في ارجائهـا ، فادهشتني الصناعات الأندلسية الجميلة التـي يصنعها المتدرّبون هناك ، حتى اذا مـا وَصَلتُ الى القاعة الأندلسيّـة في الطابق العُلْوي ، وَقَفْتُ ذاهـلا امام الجمال الباهر المتجلّي في الجـدران والسقف ، وفي قِطَـع الأثاث الخشبية البديعـة الصنـع .

إنّ كلّ شيء في تطـوان ، حتى مداخل البيوت ، يوحـي اليك بانك في قِطْعَةٍ مـن الأندلس العربيّة في ازهى عصورهـا .

* * *

وأنتهي الآن الى الختام من هذه الجولـة السريعة ، لأقول إنّ ما قدّمْته في هـذه الدراسة الموجَزة ليس سـوى خُلاصةٍ للانطباعات التي عُدْتُ بها من جَوْلتي في مُـدن المغرب . ولكنّ الواقع الـذي شاهدتُه ، وعِشْتُه ثلاثة اسابيع هنـاك ، يَظَلُّ اكبر من الكلمـات ، وهو جديرٌ بمزيد من التفاصيـل ، وجديرٌ كذلك بمزيد من الصُـوَر ، لِتُقَرِّبَ الوصف مـن الحقيقـة .

لقد زُرتُ الأندلس مرّتين قبلَ زيارة المغرب : كانت الأولى سنة ١٩٦٧ ، والثانية سنة ١٩٧٤ . وكانت الزيارتان للدراسة الفاحصة المتأنّية ، لا لمجرّد السياحة والنزهة . وقد امتلأتُ نفسي بما شاهدتُ هناك من روائع آثار الحضارة العربية الإسلامية الباقية الى اليوم .

وحين زُرتُ المغرب عام ١٩٧٤ — بعد زيارتي الثانية للأندلس مباشرة — احسستُ بأن هذه الزيارة كانت ضروريّةً لكي تُكمّل بها دراستي للأندلس : ذلك لأنّ بين البلدين ، الى جانب التاريخ الطويل المشترك ، حضارةً مشتركة باقية ، ولأنّ المغرب اليوم امتدادٌ رائع للأندلس ، وتاريخِهِ ، وحضارتِهِ ، وفنونِهِ .

حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا

للدكتور أحمد سعيدان

لا غرو ان دعوات كثيرة قد انطلقت، وما تزال تنطلق ، من افراد وهيئات ومؤتمرات ، تدعو الى تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، وان هنالك افرادًا وجماعاتٍ يُضيقون ذرعا بهذه الدعوات، فيعارضونها ويطرحون في المعارضة حججا وآراء جديرة بالتأمل والتفكير . وانَّ دعوات الداعين ونواهي الناهين تصطبغ احيانا بصبغة انشائية خطابية او عاطفية انفعالية تنأى بها عن رزانة القرار الحكيم المسؤول؛ وهي تكادُ دائما تَصْدُر من منطلقات متعددة متباينة : فهي تارةً قوميةٌ وطنيّة ، وتارةً فقهيةٌ لغوية ، وهي احيانا تاريخيّةٌ او اجتماعيةٌ ، وكثيرا ما تتعارض او تتشابك او تتناقض، حتى لتكاد تضيع الحُجّة، ويحتجب الشجرة بأغصانها ، كما يقولون .

واني لأهمُّ ان اقول إني عازم على ان انحو في عرض القضية منحى موضوعيًا، لولا اني اجد في من تَعَرَّضوا للقضية مَن يَستَهلّون البحث بزعم كهذا، ثم هم يُغرِقون السامع او القارىء في متاهاتٍ من مغالطاتٍ ومتناقضات، كفريق يضرب على غير هدى، او يدور في دوّامة .

وكيلا اضرب على غير هدى او ادور في دوّامة ساجنح الى النَّهج العلميّ، فأحاول تحليل الموضوع الى عناصر متميزة بعضها عن بعض ، ثم القي نظرة على هذه العناصر متفرّقة ، لأخلُص من ذلك الى موازنة عامّة، فيها حساب الربح والخسارة، وكشف الحساب، وفيها خطّة واقتراح وبناء .

ولو كان ما نجابه عبـــارةً جَبْرية او مُرَكّباً كيماويّـــا لوجدنا على الغالب نَهْجـــاً تقليديًّا لتحليله الى عناصر متميّزة ؛ ولكننـــا نُجابِهُ قضيّةً تعيش معنا وتنطوي علـــى واقع ماثل امامنا،يقوم علـــى جذور غائرة في اعماق تاريخنا،ويمتـــدّ الى كثير من خُلُطنا وتطلّعاتنا . فليس ثمّة على ما اعلم،نَهْجٌ لتحليله الـــى عناصر سوى إنعام النظر فيـــه من زوايا مختلفـــة محـــدّدة .

الزاويـــة التربويـــة :

وأُولى الزوايـــا المحدّدة التي منها أَنظرُ في الأُمـــور هي الزاوية التربوية،التي قَلَّمـــا أولاها مَن تعرَّضوا للأمر ما ينبغي من عناية واهتمام .

إنَّ عملية التعليم عمليـــةٌ تربوية ؛ فطبيعيٌّ ان نفتلـــر في تعريب التعليم من الزاوية التربويـــة المحضة.وتعريبُ التعليم يعنـــي عندنا في الأُردن تعريب التعليـــم الجامعيّ،ويَنْصَبُّ على التعليم في الكُلّيّـــات العلميّة . وهذا ما أَحصُر البحثَ هُنـــا فيه،وإنْ كنتُ اعلـــم انَّ التعليم غير الجامعي يَفتقر في اقطارٍ اخرى عربيّـــةٍ الى التعريب . وفي مستَهَلّ بحثنا من تعريب التعليم في الكُلّيـــات العلميّة طبيعيٌّ ان نَستذكر ماذا نبغي من التعليم في هـــذه الكليات .

إنَّ إعطاء الطالب معـــارفَ وخبراتٍ تُمَكِّنُه من اجتياز امتحانـــاتٍ معيَّنة،ومن ممارسةِ مهنـــةٍ محدَّدة يؤهِّلُه تخصُّصُـــه لهـــا،ليس وحده الهدف من التعليم الجامعي؛اذ لَعَلَّ مـــا في كُتبٍ محدودة قليلة العدد مـــا هو اكثر واوفى ممّا يُعطي المحاضرون في الجامعـــة ؛ ولعلَّ في خبرةٍ هندسيّـــةٍ يأخذها الطالب من بنـــاء،او خبرة حسابيّة يفيدهـــا من مصرف ما،يربو على الخبرة المقنّنة التـــي تُعطيها الأعمال المخبريـــة الجامعيّة في اوضاع افتراضيّـــة مصطَنَعـــة .

ان الجامعة جَـــوٌّ اكاديميّ مثاليّ،يمارس فيـــه الطالب الحياة الموضوعيّة المنظّمـــة المُضَبَّطة بحرّية راي،وحرية تصرّف في حـــدود الموضوعية والنظام والانضبـــاط،وعلى نحو يُستَهدف ان ينسى الطالب

نُنْشِئه بناءً متكاملا، تَبْرُز فيه شخصيته، ونَلْمَس به مواهبه الكامنة، ويغدو به مواطنا صالحا، ايجابيًا غير سلبيّ، قابلا للتفاعل مع مَن حوله وممارسة القيادة والريادة ، على خلفيَّةٍ من المميزات والقِيَم التي تسود في المجتمع الذي سيعيش الطالب فيه .

في ضوء هذه الأهداف نسترجع للذاكرة واقعَ الكلّيات العلمية المتوافرة، او التي يُمكن ان تتوافر على ارضنا، فَتَمْثُل امامنا ثلاثة انواع من هذه الكليات :

اولا : كُلّيات اجنبيةُ اللغة والطابع، كالكليات الانكليزية والامريكية التي نعرفها ؛ لغةُ التعليم والمعاملات والحديث فيها غيرُ العربية ، حتى يندر أن تجد فيها اثنين يتكلّمان بالعربية .

يَدْخُلُها الطالب العربيّ فيصدمه فيها امران : لغةٌ لا يُتقن فهمها ولا التحدُّث بها ، وبيئةٌ لا يألفها . فاذا هو تَكَيَّفَ مع البيئة وعَجَّل في اتقان اللغة، سارت معه الريح رخاءً، ومضت اموره بأمان في جَوٍّ اكاديمي مثاليّ خصب . اما اذا هو تَعَثَّر في هذا او ذاك، فقد ينقطع به الحبلُ في وَسَط الطريق، وقد يُبْلغ نهاية الشوط خائرَ القوى مُقَطَّع الأنفاس .

ونُظلم هذه الكلّيات اذا لم نَعترِف بانها تُحَقِّقُ لابنائنا معظم الأهداف التي استرجعناها فيما سبق .

ولكنّنا نظلم انفسنا اذا لم نعترف ايضا بانها تَصْدُر عن قِيَمٍ واخلاقياتٍ لا تنبعث من بيئتنا وجذورنا التاريخية، وانّها تُعِدُّ الطالب لمجتمعٍ غير المجتمع الذي سيعيش فيه .

لقد خَرَّجت لنا هذه الكلّيات نفرا من خيرة ابنائنا وقادة الفكر فيما بيننا ؟ ولكنّها اجنبية ، فهي لغيرنا، ادارتُها ليست بيدنا، وسياستُها ليست من صُنعنا، وان من حقّنا ، كسائر شعوب الارض ، أن يكون لنا جامعاتُنا التي تُنشأ بمالنا، ويديرها رجالنا، ويملؤها ابناؤنا، وتُرْسَم سياستها في ضوء حاجاتنا وخططنا وتطلّعاتنا .

انطلاقا من هذه الحاجة ظَهَرَ بيننا النوعُ الثاني من الكلّيات، وهي :

ثانيا : كلّياتٌ عربيةُ الوجه واليـد واللسان :

قـد يدور في خَلَدنا أنّ هذه الكلّيات تُحَقّق كلّ مـا تُحقّقه الكلّيات الأجنبية وتزيد على ذلـك ، أولاً لأنّ الطالب العربـي أكثرُ استيعابا للمعرفة بلغتـه، ومن ثَمّ فهو أعمق فَهمًا وأولـى بالابداع، وثانيًا لأنه لـن يُضيع وقتًا وجهدا في اتقان لغـةٍ جديدة، وثالثا لأنّ الكلية تُمِدّه لمجتمعنا العربـي، وتُنَشّئه على خَلفيّة مـن قِيَمنا وأخلاقنا وبيئتنـا وتراثنـا .

ولكن الواقعَ غـيرُ ما نتوقّع ، لا في الكلّيات العلميـة ولا في الكلّيات الانسانية او غيرهـا من الكليات . ذلك ان العلـم ينمو في هذا العصر على نحـوٍ يوصَف بالتدفّق او التفَجُّر ؛ ومع نمـوّ العلم وتَدَفُّقه يمضي تطـوُّرُ مناهجه بسرعةٍ فائقة، حتـى ايندر ان يعيش كتابٌ علمـي صالحًا دون حاجة الى تعديل ، أكثـر من خمس سنوات . وهو ينمو مـادةً ومناهجَ على ايـدٍ غير عربيّة، وتَعبّر عن الجديد فيه والتجديد ألسِنَةٌ غيرُ عربية ، في دوريّات كثيرة اجنبية .

فالكلّيات العلميـة التي جَعَلت العربيّةَ لغـةَ التداول والتعليم، حَجَبَتْ نفسها عـن منابع العلم، ولذا ما لبثت ان وَقَفـت بمعزل عن تيّار التطوّر، سواء في المـادة العلميّة والتعليميـة ، ام في اسـاليب عَرضها ، بـل في اجهزة البحث والتدريس . انّ جُلّ ما تقدمه هذه الكليات إنمـا هو اجترار وتكـرار .

هـذا واقعٌ كُلُّ مَن يُدرك التطوّر العلمـيّ المعاصر لا يستطيع إنكاره ؛ ولقد قـال قائلون جَدَلاً إنّ القِلّـة القليلة من خريجي هذه الكليات هي وحدهـا المؤهّلة للاستزادة من العلـم، وهي وحدها التي ستحتاج عندمـا تستزيد الى اتقان لغـة اجنبية ، وعندها نَدْفَع بها الـى موطن هذه اللغة . وهـذا قولٌ يَنِمّ على سطحية وسذاجة ؛ فالعلـم الحديث ليس حُلِيَّةً يَتَحلّى بهـا من يقدر

او من يشاء،ولكنه حياةٌ وطريقةُ حياة،تُلْمَسها في البيت والمدرسة والمكتب والشارع وكل مكان، وينبغي أن تُجدها لدى المعلم والطالب على السواء . حتى الكليات الانسانية،التي مادتها مربيّةٌ في كل شيء،قد تَحَجَّرت لانها افتقرت الى المنهجية التي نلمسُها واضحة في الكتب الأجنبية المتقدمة ، والتي بدونها قلّما يكتمل بحث او تكتمل دراسة .

وهنا امران يُتَبَرَّم بهما جُلُّ الحادبين على العربيّة،الداعين الى استعمالها في كلّ مراحل التعليم : احدهما الحديث عن هذا التدفُّق السريع في المادة العلمية واساليبها،وثانيهما هذه المنهجية التي ازعم اننا نفتقدها في الكتب العربية ؛ فقد يَحْسُن الاَّ نَمُرّ بهما سراعا دون مزيد من التوضيح .

امّا عن تزايد المعرفة،فيكفي ان نشير الى ان مؤسسة اليونسكو نشرت قبل حوالي عشر سنوات احصائيةً تشير الى أنّ مطابع العالم تُخْرِج في كلّ اربعين دقيقةً من الكلام المطبوع ما لو جُمِع في كتاب واحد لبلغ هذا الكتاب اربعةً وعشرين مجلّدا ، كلٌّ منها بحجم المجلّد الواحد في الموسوعة البريطانية المعروفة ؛ وانّ ما تُصدِرُه هذه المطابع في اليوم الواحد ينطوي على اكثر من خمسين مصطلحا علميًّا جديدا،لم يكن له قبل يوم واحد وجود .

ولعلي ان الناس يَنْسَون،ادعو القارىء الى ان يتذكّر كيف كانت وسائلُ المواصلات،مثلا،قبل ثلاثين عاما،وكيف هي اليوم . إنّ الذي مَكّن لهذه الطفرة الواسعة انما هو فيضٌ من المنجَزات العلمية والتكنولوجية،نَقَلَت العالم من عصر الكهرباء الى عصر الطاقة النووية والحاسبات الالكترونية وسباق الفضاء .

وهذه المنجَزات لم تُحَقِّقْها عقول عربية،ولم تُفَصِّلْها لنا كتب عربية ، وهي المادة العلمية التي تُسَيِّر حياة العصر وتزحم مناهج الدراسة،وبتطوّرها تَتَغَيّر الحياة،وتتبدّل المناهج.ونحن لا

نملك حياتها الا ان نقف تلاميذ مستقبلين؛ هذا اذا اتيح لنا ان نفتح النوافذ لاستقبالها ، فان لم نفعل فذلك هو التقوقع الذي لا يلبث ان ينجلي عن تخلف من فاته القطار .

هذه حقائق ، لا مبالغة فيها ولا سبيل الى تجاهلها او انكارها ؛ وإنّ من الخير ان نضعها نصب أعيننا اذا كنا نسلّم الى تخطيط محكم فعّال .

سيقول قائل : إن دخول العربية من الباب لا يعني هرب الانكليزية، مثلاً، من الشباك . صحيح انه لا يعني ذلك ، فلا لزوم لان تهرب اللغة الأجنبية لأنها لم توجد اصلا ، الا اذا حسبنا ان الفيزيائي الذي يقضي عمره يدرّس الفيزياء في كتب عربيّة يسهل عليه فهمها في مراجع اجنبية . كلاّ ، حتى لو كان يتقن اللغة الأجنبية قراءة وحديثا . ليس صحيحا عندنا ان العلم ليس له لغة؛ وإن خبرتنا في الجامعة الاردنية لدليل ماثل على ذلك .

اما المنهجية التي اشرتُ اليها فهي اسمٌ آخر للطريقة العلمية في البحث والاسلوب العلمي في عرض نتائج البحث .

المنهجية اخلاق ؛ انها موضوعية تتوخى البحث عن الحق وحده، وتبحث عنه بلا هوى ولا نزق ولا انفعال، ثم تعرض الحق، ولا شيء غيره ، بلا تكلف ولا رياء ، ولا بهرجة ولا تلوين ، وباسلوب يعطي الكلمة حجمها الطبيعي، فلا يصف بالعظمة الاّ من كان له منها نصيب ، ولا يعدّ عظيما جدًّا الاّ من كان نصيبه منها وافرا ؛ المنهجية تعطي كلَّ ذي حقٍّ حقّه؛ فماذا عرض امرؤ نتيجة بحثه، ذكر من ساروا في الدرب قبله، وأين وصلوا، وماذا حققوا ، ثم ماذا كان دوره هو، وأيّ جديد حقّق ؛ والمنهجية امانة ، امانة تجاه الحقيقة، وتجاه القارىء والتاريخ .

ليس في المنهجية نفـاق ولا اسلوب خطابي ولا ،بالغـة ولا بهرجة كـلام غير ذي مضمون ، وليس فيها تلويـن للحق ولا تحريف لـه ولا افتراء عليه . ومـا احوجنا الى هذا كلّه في ما نقرأ ومـا نكتـب .

واسم يَسْبق الغربُ الـى المنهجية : لقد بدأت بالاسـلام في عصوره الأولى عندما كـان رواةُ الحديث يَشدّون الرحـال، ويَقطعون آلاف الفراسخ من اجـل التأكّد من نَصّ مـا نُسِبَ لراويه مـا . ولكنَّ المنهجية ضاعت في العصور الاسـلامية المتاخرة ، ولقيها الغرب في اواخـر القرن الماضي بعد معانـاة طويلة شهد فيها كثيرا مـن الافتراء وكثيرًا من الادعاء . وهـا نحن اليوم نَجِدُها في البحوث العلميّـة الغربية،وفي الكتب العلمية الاوروبيـة، وكثيرا مـا نَفتقدها في البحوث والدراسات العربيـة . لقد جَمَعَ بيرسون في فهرسـه الاول كلَّ ما نُشِر في الدوريـات من بحوث ودراسات حول الفكـر الاسلامي،من مَطْلع هذا القـرن الى سنة ١٩٥٥ (المجلـد الاول) زهاء ٢٦ الـف بحث،ليس بينها بالعربية بحث واحـد تتوافر فيه عناصر المنهجيـة .

خوفًا من التقوقع،وحُبًّـا بالمنهجية،اختارت بعض الجامعـات العربية نوعا ثالثـا من الكليات العلمية،وهـي :

ثالثا : كليات عربيـة انكليزية :

لغـة الحياة والمعاملات في هذه الكلّيات هـي العربية ، ولكنَّ لغـة المحاضرات والدرس والامتحان هـي الانكليزية : فالكُتُب المقرّرة والمراجع انكليزية،وعلى هـذا فالباب مفتوح على مصراعيه لأحدث المناهج ، ولا خـوف عندنا من تقوقع أو تَحَجُّـر .

بعضُ الناس يَصعُب عليهـم ان يَروا الواقع ، وبعضُهـم يَصعب عليهم ان يَعترفـوا بما يرون،وهؤلاء جميعا قـد يُعْتَبون علي اذا قلتُ إنَّ الطالب المتوسّط عندنا يفقد لغتـه ولا يتقن الانكليزية ،

بالضبط كالغراب الذي قلّد مشية غيره . اننا لم نضعه في جو يتعلّم فيه الانكليزية ، لا حديثا ولا كتابة ، وانما طالبناه ان يُفهم ما يقرأ وما يسمع . اما ما يقرأ فتلك مادة الكتب المقررة، يغلبنا بها الطالب منذ اللحظة الاولى، فتحدث لديه رعشة وفي نفسه عقدة ، وقلّما تزول تلك الرعشة، وقلّما تُحلُّ تلك العقدة ؛ فلا ينبغي أن نحسب انه يَفهم ما يَقرأ فهمًا تامًّا ، ولكنّها صُورٌ لذلك المقروء تُرتسم في مخيّلته، ومعها تصوراتٌ غائمة قلّما تلبث أن تنمحي، فيغدو وكأنه لم يقرأ شيئا .

وأمّا ما يسمع الطالب في المحاضرات فقلّما يكون انكليزيًّا ، وانما هو خليط من انكليزية سقيمة وعربية عامية، ومع ذلك ربّما كان هذا الذي يسمعه هو وحده الذي يفيد منه الطالب في جامعته اذا هو احسن الاستماع، او اذا احسن المعلم الاداء ؛ لأنّ طلّابنا قلّما يُرجعون الى المراجع لأنهم لا يفهمونها ، وقلّما يُحسنون استعمال كتبهم المقرّرة لانهم لم يُهيّأوا لها ؛ وهم قلّما يناقشون في المادة العلمية لانهم لا يحسنون الحديث بالانكليزية ، فما هي النتيجة ؟ يَنْضمّون الى تلك الاكثرية الساحقة السلبية، التي تُجهد نفسها في تحصيل بعض الفهم تحصيلا مؤقتا من اجل الامتحان، وينتهي بانتهائه .

جاءتني قبيل الامتحان طالبة في السنة الاولى في حالة هستيرية تقول : كلُّ مسائل PERCENTAGE هي طلاسم بالنسبة لي، فَهلّا افهمتني عمَّ تبحث ؟ قلت : الم تدرسي النسبة المئوية في الصف التوجيهي ؟ قالت بلى ؛ قلت ذلك هو ما تبحث فيه ؟

— صحيح ؟

— نعم

— اذن "PERCENT" معناها "في المائة" ؟

— بالضبط

— ما اغباني !

وفي الامتحان رايت طالبا مضطربا يريد ان يستوضح معنى كلمة " Sphere ". وبعد الامتحان جاء الطالب يجادلني مؤكدا ان معلمه فسر الكلمة بمعنى "الجَوّ"، فلما اكّدتُ له ان الجَوّ يقابلها بالانكليزية كلمة " Atmosphere " ، شعرت بالطالب كأنّ شبكة معقّدة قد انحلّت امام بصيرته .

سيقول قائل : هذا الذي تَصِفُه حالاتٌ فرديةٌ شاذّة، تَحْدُث في مرحلة مبكّرة ولا تحدث فيما بعد ذلك. ولكنني اتمنّى لو ان احد المهتّمين بالامر كَلّف مجموعة من الطلّاب العلميين، في نهاية المرحلة او بعد التخرج، ان يكتبوا له اسطرًا قليلة ، بالانكليزية او العربية، في موضوعٍ ما يتعلّق بتخصّصهم ؛ عندها سيجد عجبًا . اني مع طالب مَنَحْناه الماجستير في الرياضيّات قصةً عجيبة ؛ هذا الطالب لا اذكر اسمه ولكنّي لا انسى قصتي معه ؛ فأنّه في كلّ سنة من سنوات دراسته للبكالوريوس، ولا اذكر انه في مرّة واحدة ناقَشَ او وَقَفَ لالقاءِ سؤالٍ او اقتراحِ حلّ . كان دائما مع الصامتين الذين يحسنون الاستماع ، فاذا جاء الامتحان يُحَلِّق مع المتفوقين .

ومُنِح الطالب البكالوريوس بدرجة "جيّد جدًّا"، وتقدم للماجستير، وكان من نصيبي ان اعطيه مساقا من هذا المستوى . وكان من واجباته في هذا المساق ان يُعِدَّ تقريرا مكتوبا، وان يَشْرَح مادته في الصفّ كيما نناقشه . وقد اكّدْتُ على الطلاب ان يُعِدَّ كلٌّ منهم تقريره بالعربية، كيما يجري النقاش بالعربية ؛ هذا بالرغم من ان المراجع كلّها بالانكليزية . لقد اردتُ ذلك لأحولَ بين الطلاب وبين النقل الحرفي من المراجع ؛ لقد اردتُ ان يكون لهم دور اكثر من مجرّد التلخيص . ولقد قام الطلّاب بهذه المحاولة، الاّ ان تقاريرهم كانت كمحاضراتِ اساتذتهم، خليطا عجيبا من العربية والانكليزية ، الا هذا الطالب، فَقَبْلَ الموعد المحدّد لمناقشة تقريره، جاءني يرجو ان يُقَدِّم تقريره بالانكليزية

لانه لا يستطيع نقلـــه الى العربية . وحين اخـــذ الطالب يقرأ تقريره، مضى حوالي ربـــع ساعة حتى تأكّد لديَّ انـــه يتكلم حقًّا بالانكليزية، كان تقريره علـــى النحو الذي أَلِفناه من طلابنـــا : فقرات مقتبسة من المرجـــع او المراجع، ولكنَّ الفـــاظ الطالب كانت عجيبة ، لا تَمُتُّ الى ايـــة لغة ؛ حتى تلك الالفاظ التي تتكرّر في كـــلّ محاضرة في موضوع تَخَصُّصِه ؛ لقـــد سمعها اكثر من مائـــة مرة من عدد من المحاضرين ، ولكنَّ لـــم يتقن لفظها، فلَفَظَها بطريقـــة مضحكة تبعث في النفس السخريـــة ؛ والتفسير واضح : لقد كـــان الطالب يَحضر المحاضرات ويصغـــي ، ولكنَّ فكره كان مشغـــولا بكان يُسَوِّل على ان يحفظ صُوَر المـــادّة التي يجدها في الكتاب، فيعيد رســـمها على نحوٍ ما في الامتحـــان ؛ ولو كان اعمق من ذلك فهمًا لما عجز من نقـــل المعاني الى لغتـــه .

والنتيجةُ واضحة، أنّنـــا لم نُخَرِّج فيه طالبـــا يستطيع ان يكون مواطنا صالحا، يفيـــد مجتمعه بعلمه وتَخَصُّصِه ، لا بالعربيـــة ولا بالانكليزية ولا بخليـــط من اللغتين ، ولا خرّيجًا يُمكِـــن في اي مجتمع ان يُعْطيَ عـــن جامعته فكرة طيبة . ومـــا اكثر الدلائل على ان القلّة من خرّيجينا هـــم احسن حالا من هـــذا الطالب .

إنـــي أَقْدُرُ لزملائي في الكليات العلميّـــة جهودهم، ولا يدور في خلدي لحظةً انْ أَنتقِص مـــن هذه الجهود وهذا الجهـــاد ؛ ولكنَّ النقد الذاتيَّ دليلُ عافيـــة، والاعتراف بالواقع علامةُ تسوّة، والطّامح الـــى الأحسن والعمل مـــن اجله بشيرُ صحة. وانّ من القـــوّة والصحة والعافية ان نراجـــع مواقفنا، ونتبيَّن مواقـــع اقدامنا .

مـــا العمـــل ؟

تَقصِّر الكلّيات العربيـــة والانكليزية عن تادية رسالتهـــا كما ينبغي، لانها لا تُهيّىء الطالب للفهـــم والتفاعل مع العلم الـــذي يتعلّمه، بحيث يصير هذا العلم جُزءًا مـــن شخصيّته وكيانه وحياتـــه ؛ ففي كثيرها يبقى

الطالب بشخصيّتين : شخصية عربيـــة حياتها ومعاملاتها بالعربيـــة ، ولكنْ لا يتعلم بهذه اللغـــة، ومن ثَمَّ فعلْمُه ليس عامـــلا على تهذيب لغـــة حياته ومعاملاته ؛ وشخصيّةٍ محـــرَّةٍ تُحاول ان تتعلّـــم بالانجليزية وهي لا تَفْهَمها، وتحاول ان تُعبّـــر عن علمها بهذه اللغة فتتعثّر . انهـــا ازدواجيةٌ ذات وجهين : وجـــهٍ ساذج لا يوجَدُ ما يَصْقُلُـــه، ووجهٍ متخاذلٍ لا يَجد ما يبعث فيه نفحةً من ثقـــة او قبسا من قـــوّة .

وتُقَصِّرُ الكلّياتُ العربيـــة المحضة عن تأدية رسالتهـــا كما ينبغي، لانها بمعزل عن ينابيع العلـــم . كان ينبغي ان يرافقَها جُهـــدٌ دائب لتعريب العلم ؛ اي تكوين اجهـــزة تَعْمَل باستمرار لنقل الفكـــر العلمي الى العربية ، كُتُبـــاً ومراجع ودوريات. وهـــذا يَقضي بإقامة مؤســـســـات للترجمة والتعريب، تقـــوم بجانب المؤسسات الاكاديميـــة التي تُعْنَى بتخريج المتخصّصين، ســـواء في العلم او في التكنولوجيـــا ، حتّى يستطيع الطالـــب والعالم على الســـواء ان يصلا الى ينابيع المعرفة بلغتهـــم التي شـــاءوا .

ولكنَّ اقامـــة مؤسسات الترجمة التي تُمدُّنا بمـــا نحتاج اليه من كتب ومراجع ودوريـــات مترجمة ومعرّبة، مشروعٌ يقتضـــي عملا دائباً غير منقطع، لـــن يؤتي أُكُله على نحوٍ مُرضٍ في اقَـــلَّ من نصف قرن . فهل ننتظر خمسين عامـــا حتى تتكاثر لدينا الكتب المترجمـــة في شتى فروع العلم، ثـــم نبدأ بتأدية رسالتنا ؟ لا ، فهنالك بالتأكيد حَـــلٌّ وسط يُغني قبل تعريب العلـــم، ويمهّد لتعريبـــه .

يقتضي هـــذا الحل الوسط ان يجري التعليـــم في الكلّيات العلمية على نحـــو كالآتي :

١ ـــ في السنة الأُولـــى الاكاديمية يتلقّى الطالب علومـــه الاساسية بالعربية وباستعمال كتـــب مترجمة ، او غير مترجمـــة ، ويأخذ في كلّ فصل دراســـي مساقا في اللغة الانكليزية ، يُعزّزُنـــه بالمصطلحات العلمية، ويـــزيده في هذه اللغة قـــوّة .

٢ — في السنة الثانية يُبدأ تخصُّص الطالب، وفيها يتلقى علومه بالعربيّة، الا مساقا واحدا في كل فصل يتعلمه بالانكليزية ، من موضوعات تَخَصُّصه .

٣ — في السنتين التاليتين يُجري تعليمُ الطالب بالعربية، مع التأكيد على استعمال مَراجعَ اجنبية ؛ على أن يأخذ في كلّ فصل مساقا واحدا على الأقلّ من موضوعات تخصُّصه بالانكليزية . ويُتعلَّم استعمال الطالب للمراجع الأجنبية بحيث يغدو الرجوع اليها من مستلزمات تَخَرُّجه .

اذا جرى في الوقت نفسه ترجمةُ الكتب العلمية بنشاط ، أمكن تحقيق الهدف المنشود في وقت غير طويل .

اننا نعتقد انَّ مِثلَ هذا الحلّ الوسط اكثرُ فائدة للطالب العربي مما تنتجه الكلّيات العربية المحضة، والكليات العربية الانكليزية ؛ وهو بالتأكيد اقلُّ خَطَرا . انه يَضْمَن تقوية الطالب باللغة الانكليزية ، ثم هو نَهْجٌ مرنٌ قابل للتعديل. ولعلَّ ما يلزمنا في هذه المرحلة من حياتنا انْ نُقَوّيَ الطالبَ في لغتين لا واحدة، بالاضافة الى اللغة الأم .

الزاوية اللغوية :

أما وقد بان من الزاوية التربوية ايّ نَهْج ينبغي ان نسلك، فذلك هو القول الفصل .

ولكنَّ هنالك من يتساءلون : أتستطيعُ العربيَّةُ ان تستوعب لغة العلم والتكنولوجيا ؟

هل اللغةُ تَخْلِق الفكر ام الفكرُ يَخْلق اللغة ؟

وهنالك من يُجيبون، متحدّثون عن مرونة العربية واشتقاقيتها ، ومن تجربتها السابقة. وفي طيّات هذا الحديث وذاك تَرِدُ اقوالٌ هي مثارُ جدل ونُقَطُ حوار . وهذه كلُّها في تقديري معاركُ جانبيّة لا تُثْمِر

ولا تنفع ، ولكلّ لغـــة خصائصُها وعبقريّتها ؛ ونحن نعرف مـــن خصائص اللغة العربية وطواعيّتهـــا للفكرة الدقيقة ما قـــد يَتّسع فيه مجال الحديث، ونخرج بـــه عما نستهدفه من هـــذه الكلمات .

ولكنَّ الخبرة الماثلـــة امامنا تشير الى انَّ لغـــاتٍ نجمت من لا شيء، وأُريدَ لها ان تنشـــا وليس لها من الخصائص شيء ؛ ثـــم هي بإرادة اهلها استَوعَبَت لغـــة العلم والتكنولوجيا ، لـــم تَضِق بها ولم تَخْنُقها .

ان مئاتِ الأقطـــار في الشرق والغرب تُعَلِّـــمُ بلُغاتها، وتُسْهِم في خدمة العلم على قـــدر طاقتها، وتُحرز انجازات ؛ واكثرُ هـــذه الاقطار لم تكن لغاتها ولا طاقاتهـــا حتى وقت قريب ذاتَ وزن فـــي المقاييس العالمية .

ومن التساؤلات التي تثـــار : هل نترجم ام نُعَـــرِّب ؟

قـــد لا يكون هنالك قاعدة ذهبية عامّة اولـــى من قاعدة وضعها المجمع اللغـــوي في القاهرة، اذ قال : الاصطلاح العالمي نُعَرِّبُـــه ، اما غيرُ العالمـــي فنبحث له عن لفـــظ عربي .

وقد اعتبروا الاصطلاح عالميًـــا اذا كان يُسْتَعْمَل فـــي الانكليزية والفرنسيـــة والألمانيـــة .

على ان الاستعمال هـــو وحده الحَكَم في هذه الامور، فقـــد يشيع بالاستعمال لفـــظٌ اجنبيّ، ويَسْقُط لفـــظٌ عربيّ ؛ وذلك كله حسب ذوق الناس واستحسانهم اللفـــظ او استجاباتهم لـــه .

يبقى امر لا بـــد من ذكره لمـــن يتساءلون : هل تَتّسع العربيةُ لغـــةً العلم ، وامام مـــن يجيبون تغزُّلاً بخصائصهـــا .

تُقَـــدَّرُ الكلمات المختلفة التي استعملهـــا شكسبير في مسرحياته بنحو ١٤ الـــف كلمة ؛ وعلى هذا نستطيع ان نَفْتَرض ان تلك هـــي سَعة اللغة الانكليزية في ايـــام شكسبير ، عندما كانت خلـــوًا من الالفاظ العلمية، لانَّ لغـــةَ العلم في البلاد الاوروبية كانت مـــا تزال هي اللاتينية .

امـــا الآن فقد أُحصِيَتْ المصطلحـــاتُ الانكليزية التي تُستعمل في حقل الطـــبّ العام وحده، دون فـــروع التخصص، فبلغت ٧٤ الفـــا .

ماذا يعني ذلـــك ؟ اذ نحسب أن اللغة الانكليزية قـــد اتسعت حتى بلغت المصطلحاتُ العلمية فيهـــا مئات الآلاف، تَسترعي انتباهَنـــا احصائية اخرى تشير الى انَّ معظم هـــذه المصطلحات هي نفسها فـــي الفرنسية والالمانيـــة . إنّ لغات البلاد المتقدّمة قـــد تفتّحت بعضُها على بعض، وتعاونت معـــا في استيعاب الأفكار العلميـــة .

ان العلم ينمـــو باسرع ممّا تنمو اللغة ، بـــل باسرع من خيال الشعراء ؛ وإنَّ كـــلّ لغة لتضيق عن استيعاب العلـــم او مجاراته . ولهذا تلهثُ اللغاتُ وراء العلـــم، ويَضيقُ العلماء بِلُغاتها فَيلجأون الـــى الرمزيـــة يعبّرون بهـــا عن افكارهم .

امـــا رجالُ اللغة فياخذُ بعضُهم مِـــن بعض دون تَحَرُّج، وهـــم يَعتَزّون بمـــا يأخذون ويَعُدّونه إثراء لِلُغتهـــم .

واني اتمنّى لـــو نَنْسج نحن على هـــذا المنوال، فنأخذ عن اللغات دون تَحَرُّج الفاظـــاً وطُرُقَ تعبير، ونَعُدّ ذلك إثـــراء للعربية نعتزّ بـــه ؛ وذلك كيما نواكب التقـــدُّم العلميّ، ونُساير الركب، ونعترف عمليّـــا وواقعيا بأن اللغة كيـــان متطور .

هـــذا ما صَنَعَه اجدادُنا عندما قاموا بِنَقْل الفكـــر العالميّ الى العربية؛ ومـــاذا يضيرنا ان تاخذ العربيّةُ من الـــدم العالمي الغني كما اخذت في المـــاضي من الدماء الفارسيّـــة والهندية والإغريقية ؟

الزاويـــة القوميّة الوطنية :

اذا شئنا ان نتناول الموضـــوع من كلّ جوانبه ، فلا بُـــدّ من النظر فيه من الزاوية القوميّـــة والوطنية . وهنا يَتّســـع مجال الحديث ؛ فحاملو لـــواء القوميّة والوطنية يقولون إن لغتنـــا هي هويّتنا، وهي مرآة شخصيّتنـــا العريقة المَيّزة ، ثـــم ان الاسلام والعربية همـــا اللذان يحفظان للأمـــة وحدتها، رغم ظواهر التفـــرق والتشرذم التي تشهر

لاسباب سياسية . وعلى هـذا فَهُم يرون ان تعريـب التعليم واجب قومي وطني، بـه نحافظ على هُويّتنا وشخصيّتنا، وبـه نقوّي روابط وحدتنـا .

ولكنَّ من النـاس مَن يجادلون، فَيُشيرون الى بـلاد متفرّقة رغم انها تتكلم لغـة واحدة، ويشيرون الى بـلاد مُتّحِدَة رغم ان فيهـا لغتين رسميتين .

وفي تقديري ان الخوض في هذيـن الرأيين، وتفاصيل مـا لهما وما عليهما، يُخرج بنـا عن موضوع التعريـب .

وفي يقيني انّه لـو وَقَف كلُّ اصحاب الراي ضـدَّ العمل من اجل وحدتنا وتوحيدنا، لوجـب ألاّ يعوق ذلك العمل من اجـل الوحدة، لان بهـا بقاءنا وتكاملنـا وقوتنا .

ولكنَّ اذلـك حديثا آخـر .

نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه

للمستشرق الفرنسي الأستاذ جيرار تروبو
استاذ فقه اللغة العربية في السوربون - باريس

لا شكَّ ان النظـام النحويّ في كل لغـة له اهمية كبرى ، لان النظام النحويّ يعبر عن بُنْيـة اللغة ويصوغ فكر الناطقين بهـا ؛ ويُمْكِنُنا القول إن النظـام النحويّ العربيّ يحتلّ محـلاً بارزا بين النُظُم النحوية الكبرى الموجـودة في العالم ، من اجل موقعـه المتوسّط بين النظام اليوناني ،في الغـرب ، والنظام الهندي ،في الشرق ؛ فكان مـن الطبيعيّ أن يلفت المستشرقون انظارهم اليـه ، ليدرسوا نشأته وتطوُّره .

ان المستشرق الالمـاني Merx ، الـذي نشر في منتهى القرن التاسع عشر كتابا عنوانـه « تاريخ صناعة النحـو عند السريان » ، هو الذي زعـم لأول مرة ان المنطق اليونانـي اثَّر في النحو العربي ، لان الثاني قـد اقتبس من الأول بضعـة من المفاهيم والمصطلحات .

ثـم نرى معظم المستشرقين قـد اتخذوا هذا الراي بدون تحفُّظ : فقال المستشرق الفرنسـي Fleisch في كتاب ألّفـه في علـم اللغة : « انه مـن الواجب ان نشير الى تاثيرٍ يونانيٍّ في النحـو العربي ، فقد اقتبس الفكـرُ النحويّ العربي مفاهيم أصلية من العلـم اليوناني ، لا من النحـو اليوناني ، ولكنْ من منطق ارسطـو » .

غير أنَّ المستشرق الانكليـزي Carter رفَضَ هذا الـراي في مقالة نشرها منذ عدة سنوات ،وسمّاها : « في اصول النحـو العربي » . فَبيَّن في هذه المقالـة انّ سيبويه يستعمل في الكتـاب مجموعتين من المصطلحات ؛ مجموعـة قليلة العدد تتضمّن مصطلحاتٍ لعلّهـا يونانية الأصل ، ومجموعة كثيرة العـدد تتضمن المصطلحات العربيـة الاصل ، منقولة من الفقـه الى النحـو .

ومع ذلك فان المستشرق الهندي Versteegh نشر في مستهلّ هذه السنة ، كتابا عنوانه « العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي » ، يدافع فيه عن نظريّة التأثير اليوناني في النحو العربي ، فيعتبر ان النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات ، لا من المنطق اليوناني ، كما زعم Merx ، بل من النحو اليوناني ، وذلك بواسطة اتّصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحيّ، كما يقول ، في مراكز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح العربي .

سنعود في هذه المحاضرة ان افحص تلك الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربي ؛ وهذا في ضوء كتاب سيبويه ، الذي سمّاه الناس قرآن النحو حسبما روى عنه النحوي الحلبي ابو الطيّب اللغوي .

* * *

ان المستشرقين ، ليُبيّنوا التأثير اليوناني في النحو العربي ، يحتجّون على العموم بأن النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي ، ومصطلحات اربعة هي : الإعراب والصرف والتصريف والحركة . فينبغي لنا اولا ان نتساءل: هل كان من الممكن ، من الناحية اللسانية ، أن يكون هؤلاء النحاة قد اقتبسوا هذا التقسيم .

إنّ تقسيم الكلام امر مهمّ جدا في كل نظام نحوي ، لانه يشترط هذا النظام ، وبالنسبة الى بُنية كل لغة، مَيّز النحاة عددا مختلفا من الاقسام . فان النحاة اليونان قد مَيّزوا في لغتهم ثمانية اقسام، وهي، حسبما قال ارسطو في كتابه في الشعر : الحرف : stoikeion

المجموع : syllabe | الرباط : syndesmos الفاصلة : arthron

الاسم : onoma الكلمة : rhema الوقعة : ptosis القول : logos

أما النحاة العرب فانهم، كما تعلمون، لم يميّزوا في لغتهم الا ثلاثة اقسام، وهي، حسبما قال سيبويه في الكتاب : الاسم والفعل والحرف .

ولكنْ ، على الرغم من الفرق الكبير الذي يظهر بين عدد الاقسام في النظامين ، يَدَّعي بعض المستشرقين ان النحاة العرب قد اقتبسوا هذا التقسيم عن المنطق اليوناني . فلِنَسْتَطِع ان نَرُدَّ على هذا الادّعاء الفاسد ، سنبحث عن كل واحد من هذه الاقسام في النظام اليوناني ، وعن القسم المقابل له في النظام العربي .

ليس لقِسْم الحرف اليوناني قِسْم يقابله في النظام العربي ، لأنّ سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسما مستقلاً في تقسيمه كما فعل ارسطو . وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قِسْم يقابله في النظام العربي ، لان مفهوم المجموع المركّب من حرف غير مصوّت وحرف مصوّت ، مفهوم صوتيّ يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه .

اما قسم الرباط اليوناني فانه لا يقابِلُ الا جزءًا من قسم الحرف العربي ؛ ونجد فرقا بينهما ، لأنّ الرباط عند ارسطو لفظ خالٍ من المعنى ، بيد أن الحرف عند سيبويه لفظ له معنى .

يشتمل قسم الفاصلة اليونانيّ على آلة التعريف والاسم الموصول ، وهما عند ارسطو لفظان خاليان من المعنى؛ فليس لهذا القسم قسم يقابله في النظام العربي ، لأنّ سيبويه يَعْتَبِر ان الاسم الموصول اسمٌ غير تامٍّ يحتاج الى صلة، فيدخله في قسم الاسم ، كما انه يَعْتَبِر أن آلة التعريف لفظ له معنى، فيدخله في قسم الحرف .

اما قسم الاسم اليوناني فانه يقابِل قسم الاسم العربي ، غير اننا نجد فَرقًا بين القسمين ، لان الاسم عند ارسطو لفظ له معنى يدل على شيء ، بيد أن الاسم عند سيبويه لفظ يقع على الشيء، فهو ذلك الشيء بعينه .

وكذلك يقابل قسمُ الكلمة اليوناني قسمَ الفعل العربي ؛ فالكلمة عند ارسطو لفظٌ له معنى يدلّ على زمان ، والفعل عند سيبويه مثال اخذ من لفظ حدث الاسم ، فيه دليل على ما مضى وما

لـــسم يمض ؛ غير اننا نجد فرقـــا بين القسمين ، لان الصيغة غـــير البيِّنـــة aparemphatos مضمَّنة في قســـم الكلمة اليوناني ، بيـــد ان المصدر مضمَّنٌ في قسم الاســـم العربي ، كما ان الصيغـــــة المشتركة metochikon مضمَّنة في قسمي الاســـم والكلمة معا في النظام اليوناني ؛ بيـــد ان اسم الفاعل مضمَّن في قســـم الاسم فقط في النظـــام العربي .

واخيرا فليس لقســـم الوقعة اليوناني قســـم يقابله في النظام العربي ، لان مفهـــوم الوقعة التي تحدث فـــي آخر الاسم او في آخر الفعل ، مفهوم غـــير موجود عند سيبويه ؛ وكذلك قســـم القول ، الذي هو عند ارسطـــو مركَّب من الفاظ لها معنى ، ليس لـــه قسم يقابله في النظـــام العربي ، لأنّ سيبويه لـــم يجعل من القول قسما مستقـــلا فـــي تقسيمـــه .

فمن الناحيـــة اللسانية ، يظهر لنـــا انه من المستحيل ان يكون التقسيم العربيّ منقولا مـــن التقسيم اليوناني ، لان عـــدد الاقسام ومضمونها يختلف فـــي النظامين اختلافا تامـــا .

ثـــم يجب علينا أن نتساءل هـــل كان من الممكن ، من الناحيـــة اللغوية ، ان يكون النحـــــاة العرب القدامى قـــد اخذوا عن النحو اليونانـــي تلك المصطلحات الاربعـــة التي هي : الاعـــراب، والصرف، والتصريـــف، والحركـــة .

يزعم أتباع التأثـــير اليونانيّ ان كلمة الإعراب نُقلـــت من الكلمة اليونانيـــة hellenismos . مـــا معنى هذه الكلمة في اصل اللغـــة اليونانية ؟ hellenismos اســـمُ فِعلٍ يوناني تعريبه: هلّـــنَ شيئا تهلينـــا ،اي صيّره هِلّينيًّـــا .

قـــال ارسطو في كتابه في الخطابة : « ان اصـــل الكلام هو الوجه الهلّيني في التكلم » ، اي الوجـــه الصحيح الذي يحصل عليـــه بمراعاة خمســـة اشيـــاء :

١ — باستعمال الروابط،اي حروف العطف ،

٢ — باستعمال الكلمات الخاصة ،

٣ — بعدم استعمال الكلمات الملتبسة ،

٤ — بتمييز الأجناس في الأسماء ،

٥ — بتمييز الأعداد فيها .

ويرى فيلسوفٌ رواقيٌّ ان التهلين هو التكلم الصحيح على وجه الصناعة ، لا على وجه العامة .

فنلاحظ ان الكلمة hellenismos كلمة عامة تختص بالكلام برمّته ؛ فانها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحوي .

اما معاني الإعراب في اصل اللغة العربية فهي ثلاثة : اولا الإبانة والإفصاح عن الخواطر ، ثانيا إزالة الفساد في الكلام ، ثالثا تغير آخر الكلمة .

فقال ابن جني في كتاب الخصائص : « وكان الاعراب من قولهم : عربت معدته اي فسدت ، كأنها استحالت من حال الى حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة » . وقال ابن الأنباري في كتاب اسرار العربية : « ان الإعراب سُمّي إعرابا لانه تُغيّر لمعنى اواخر الكلم ، من قولهم : عربت معدة الفصيل اذا تغيرت » .

والواقع ان سيبويه يستعمل كلمة الاعراب ليَدلّ على ما يسميه « مجاري اواخر الكلم »؛يعني التغيُّرات التي تَحدُث في آخر الاسم المتمكن،والفعل المضارع لاسم الفاعل . والاعراب عند سيبويه نقيض البناء الذي يدلّ على عدم التغيّر في آخر الكلمة .

فنلاحظ ان الإعراب كلمة تختص ببعض الكلمات فقط في الكلام ، فانها اصطلاح نحوي وليست باصطلاح خطابي .

ثم يَدّعي انصار التاثير اليوناني ان كلمة الصرف نُقلت من

الكلمة اليونانيـــة klisis ، وان كلمة التصريف نُقلـــت من الكلمة اليونانيـــة ptosis . ما هو السبب الـــذي دفعهم الى هـــذا الادعاء ؟ السبب هـــو ان النحاة اليونان كانـــوا يعتبرون أن الاسم ، بالنسبة الى حالته الاصلية التي هي حالـــة التسمية onomasticos ، لـــه ميل klisis الى حالات اخرى ، كمـــا ان الفعل بالنسبة الى حالته الاصلية التـــي هي حالة الحاضر enestos ، لـــه ميل الى حالات اخرى ؛ وكـــان النحاة اليونان يسمّون كـــل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعـــة : ptosis

قـــال ارسطو في كتابه في الشعر : « امـــا الوقعة فهي للاســـم او الفعل ، وتدل علـــى معنى حرف « ل » او حـــرف « الى » وما اشبه ذلك ، او على الإفـــراد او الجمع او نوع كـــلام القائل ، مثل الاستفهام او الأمـــر » .

وقال في كتابـــه في الخطابة : « تَغَيُّرات الاسم المـــائل هي وقعات الاسم ، كما ان تغيُّرات الفعل المـــائل هي وقعات الفعل » .

امـــا معنى كلمة الصرف في كتـــاب سيبويه،فان هذه الكلمة تدلّ على إلحاق حـــرف النون للاسم،وللاسم فقـــط ، لان هذا الحرف علامة التمكّن ، يعني استـــقرار الكلمة في قسم الاســـم .

وامـــا معنى كلمة التصريف فَيَسْتَعمِل سيبويـــه هذه الكلمة للدلالة على التغيُّرات التي تَحـــدُث في داخل الكلمة،فانه لا يستعملها ابـــدا للدلالة على التغيُّرات التـــي تَحدُث في آخـــر الكلمة .

فنلاحـــظ ان مفهوم الميـــل ومفهوم الوقعة غير موجودين فـــي النظام العربي ، كما ان مفهـــوم التمكّن ليس بموجود في النظام اليوناني .

ثـــم يزعم أتباعُ التأثير اليونانـــيّ ان كلمة الحركة تُرجِمَت من الكلمة اليونانيـــة : kinesis ، وذلك لان بعض النحـــاة اليونان حَدّدوا الوقعة بأنها حركـــة تَحْدُث في آخر الاســـم ، فيستنتجون من هذا التحديد ان الحركـــة عند النحاة العرب كانت تَـــدلّ في الاصل على

المصوت الاساسي ، يعني ذلك المصوت الذي يشير الى الوقفة في آخر الاسم ، ومن ثم استُعْمِلَت هذه الكلمة بصفة عامة للاشارة الى المصوت .

نلاحظ اولا ان مفهوم التحريك في النظام الصوتي العربي لا يتفق ابدا ومفهوم التصويت في النظام الصوتي اليوناني ؛ فان ارسطو يقسم الحروف الى مصوَّتة ونصف مصوتة وغير مصوتة ، بينما سيبويه يقسم الحروف الى متحركة وساكنة .

ثم نلاحظ ان كلمة الحركة عند سيبويه تدلّ على حركات الشفة، من الضم والفتح والكسر، او على حركات اللسان، من الرفع والنصب والجر او الخفض ، عند اخراج الصوت ؛ أَتَحْدُث هذه الحركة في صدر الكلمة ام في وسطها ام في آخرها ، فان الحركة في نظام سيبويه كلمة عامة ، لا تدلّ على آخر الاسم المعرب ، لانها تُسْتَعْمَل ايضا لتدلّ على آخر الاسم المبني غير المعرب ، ويمكن ان تكون كلمة معربة مجرّدة من الحركة ، كالفعل المضارع المجزوم مثلا .

من الناحية اللغوية ، يبدو لنا انه من المستحيل ان تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية الى العربية ، لان المفاهيم التي تدلّ عليها تتباعد في النظامين كل التباعد

* * *

يجب علينا الآن ان نتساءل: هل كان من الممكن، من الناحية التاريخية، ان يُعرف النحاةُ العرب القدامى النحوَ اليوناني والمنطق اليوناني فيتأثروا بهما ؟

اما النحو اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى ان يعرفوه بطريقة مباشرة ، اذ انهم كانوا يجهلون اللغة اليونانية ، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليوناني مترجَم الى اللغة العربية ، فلم يستطيعوا اذن ان يعرفوا النحو اليوناني الا بواسطة النحو السرياني . فمعلوماتنا

ان نبحث عن العلاقات الموجودة بين النحو السرياني والنحو اليوناني من جهة ، والنحو العربي من جهة اخرى .

كان النظام النحوي السرياني مرتكزا على الاقاويل الخمسة التي ميّزها منطق ارسطو في الكلام ؛ وهي حسبما قال ايليا بن شينايا : السؤال، والامر، والدعاء، والتعجب، والنداء .

فاخترع النحاة السريان نظام النُقَط ، يعني نظام العلامات التي تقابلُ في الكتابة الاشارات الدالّة على تلك الاقاويل في المشافهة . ثم يرتكز هذا النحو على القواعد الصوتية والصرفية التي اقتبسها السريان من كتابٍ في النحو اليوناني كان قد تُرْجِم الى السريانية .

اما النحاة السريان فنقتصر على ذكر اشهرهم، وهم ثلاثة :

في القرن السابع : الاسقف يعقوب الرهاوي ، الذي صَنَّف الكتاب الاول في النحو السرياني ،

في القرن التاسع : المترجم المعروف حنين بن اسحاق ، الذي ألّف كتابا في النحو سماه « كتاب النُقَط » ،

في القرن الحادي عشر : ايليا بن شينايا ، مطران نصيبين ، الذي صَنَّف كتابا صغيرا في النحو .

اما تعليم النحو السرياني فكان منتشرا في اديرة السريان ومدارسهم ، كمدرسة دير قنى المشهورة ، بالقرب من المدائن ، وكالمدارس العديدة التي كانت موجودة في الحيرة عاصمة العباد ، بالقرب من الكوفة . غير اننا لا نجد اي دليل في المصادر السريانية ، ولا في المصادر العربية ، على ان النحاة العرب القدامى قد اتصلوا بالنحاة السريان ، او تَعَلَّموا اللغة السريانية .

وفضلا عن ذلك ، كان النحاة السريان انفسهم يُعتبرون ان النحو العربي يختلف عن النحو اليوناني من جهة ، وعن النحو السرياني من جهة اخرى ، اختلافا تاما . ومما يدل على ذلك ان

حنينا بن اسحاق ألّف كتابا في النحو العربي ، على المنهاج اليوناني ، سمّاه « كتاب احكام الإعراب على مذهب اليونانيين ». وقد ذكر الخوارزمي فصلا صغيرا منه في كتاب مفاتيح العلوم . وصنّف حنين كتابا آخر في النحو العربي ، زعم فيه ، حسبما روى عنه ايليا بن شينايا : « ان العرب ليس لهم نحو يُعرفون به المعاني الغامضة كما للسريانيين »، ويستدل من قوله ان نحو العرب غير كاف ولا مقنع لما يحتاج اليه .

أما ايليا بن شينايا فأفرد مجلسا من المجالس التي جَرت بينه وبين الوزير الحسين بن علي المغربي ، بمقارنة نفيسة بين النحو العربي والنحو السرياني ، يوضح فيها الفرق بين النظامين ، كما يدلّ على ذلك الحوار التالي بين الرجلين :

« قال الوزير : أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب ؟ قلت : لا .

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟ قلت : يُدخل السريان على المفعول حرف اللام ليُفرّق بينه وبين فاعله ؛ ولما كان العرب انما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ، ليفرّقوا بينهما، وكان للسريان علامة تَدُلّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي ابين من الرفع والنصب ، ما احتاجوا أن يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب » .

فيدلّ كلّ ذلك على ان النحو اليوناني لم يستطع ان يؤثر على النحو العربي بواسطة النحو السرياني ؛ وبعكس ذلك ، في القرن الحادي عشر ، نرى ايليا مطران طيرهان يصنّف كتابا في النحو السرياني يُدخل فيه النظام العربي ؛ فالنحو العربي هو الذي اثر في النحو السرياني .

أما المنطق اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى ان يعرفوه في القرن الثاني للهجرة،الثامن للميلاد ، اذ ان تاليف ارسطو لم تنقل

بعد الى اللغـــة العربية ؛ فاننا نعلم ان الكتاب فـــي العبارة والكتاب في المقولات لـــم يُترجَما الا في القرن الثالث للهجـــرة ، التاسع للميلاد ، على يـــد حنين بن اسحاق ؛ كما نعلـــم ان الكتاب في الشعر لم يُترجَم الا في القرن الرابـــع للهجرة ، العاشر للميلاد ، على يـــد مَتّى بن يونس .

واذا اطّلعنا على هـــذه الترجمات لاحظنا ان المترجِمَ السرياني لـــم يَستَعمِل مصطلحات النحـــو العربي ليترجِمَ مصطلحات النحـــو اليوناني، ولكنه اختـــرع مصطلحات عربيـــة جديدة .

فانه ترجم اللفظـــة stoikeion بأسطقس ، ولـــم يترجمها بحرف ، وترجم اللفظـــة syndesmos برباـــط ، ولم يترجمها بحرف ، وترجم اللفظـــة rhema بكلمة ، ولـــم يترجمها بفعل ، وترجم اللفظـــة klisis بميل ، ولـــــم يترجمها بإعراب ، وترجم اللفظـــة phone بمصوّت ، ولـــم يترجمها بحركة .

وفي القـــرن الرابع للهجرة ، العاشر للميـــلاد ، نرى الفلاسفة العرب يخترعون مصطلحات جديـــدة ، ليُفسّروا كتب المنطـــق اليوناني في اللغة العربية . فـــان الفيلسوف المنطقيّ الكبير ، ابـــا نصر الفارابي ، يقول في كتاب الالفـــاظ المستعملة في المنطق ، بصـــدد حروف المعاني :

« ان هـــذه الحروف هي أصناف كثيرة ، غـــير أن العادة لم تَجْرِ في أصحاب علـــم النحو العربي الى زماننا هـــذا ، بأن يُفْرِد لكل صنف منها اسمٌ يَخُصُّـــه ؛ فينبغي أن نستعمل في تعديـــد أصنافها الاسامي التـــي نالت الينا عن اهـــل العلم بالنحو من اهـــل اللسان اليوناني ، فانهم افردوا كـــلّ صنف منها باسم خـــاص » . فاخترع الفارابي خمسة مصطلحات ليدلّ على هـــــذه الاصناف من حروف المعانـــي ، وهي : الخوالف، والواصـــلات، والواسطات، والحواشي، والروابـــط .

وفي نفس الحقبة ، يروي لنـــا الفيلسوف أبو حيّـــان التوحيدي ، في كتاب الامتـــاع والمؤانسة ، مناظرة مشهورة جرت بين متّى بـــن يونس المنطقي وابـــي سعيد السيرافي النحـــوي ؛ فمما يبيّن ان

متّى كان يعتبر أن المنطق ليست لـه صلة بالنحو ؛ الحوار التالي بين العالمين :

« قال أبو سعيد : أسألك عن معاني حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، وهو الواو ، ما أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبهت متى وقال : هذا نحو، والنحو لم انظر فيه ، لانه لا حاجة بالمنطقي اليه ، وبالنحوي حاجة شديدة الى المنطق ، لان المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ » .

فيدلّ كلّ ذلك على أن المنطقيين السريان والفلاسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربي لا يتصل بالمنطق البتّة .

من الناحية التاريخية ، يظهر لنا انه من المستحيل أن يكون النحاة العرب القدامى قد عرفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظامهم .

* * *

ينبغي لنا اخيرا ، أن نتساءل، هل كان من الضروري ، من الناحية المنهاجية ، أن يكون النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة مصطلحات من النحو اليوناني ؟

فاذا اطلعنا على كتاب سيبويه ، لاحظنا أن لغته غنيّة جدًّا ، لانه يستعمل عددا وافرا من المفردات ليعرض نظامه النحوي . ولكنّنا لم نكن نعلم بالضبط مبلغ هذا العدد ؛ فعزمنا أن نُحصي جميع المفردات التي استعملها سيبويه في لغته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية ، فوجدت أن عددها يبلغ : الفا وثمانمئة وعشرين .

ما هي المعلومات التي نستطيع أن نستنتجها من هذا الاحصاء ؟

اذا ضربنا صفحا عن المفردات المستعملة في معناها العام ، بدون معنى اصطلاحي ، وعددها مئتان وعشرون فقط ، استطعنا أن نُميّز في الكتاب خمسة أنواع من المفردات :

اولا : المفـــردات التي تتعلّق بالمفاهيـــم النحوية العامة ، يعني : باقسام الكلام وانـــواع الالفاظ واحوالهـــا .

ثانيا : المفـــردات التي تختص بتركيب الجُمَـــل ، يعني بمواضع الالفاظ في الكـــلام ومجراها من ناحية العمـــل .

ثالثا : المفـــردات التي تتعلق بالتصريـــف ، يعني بتغيير الالفـــاظ في اللغـــة وصياغتها بالاشتقـــاق .

رابعا : المفـــردات التي تختص بالصوتيـــة ، يعني باخـــراج الاصوات ومجراهـــا في بنيـــة الالفاظ .

خامسا : المفـــردات التي تتعلق بالمنهـــاج ، يعني بالمفاهيم التي يستعملها سيبويـــه ليفسّر الوقائع النحويـــة والوسائل التي يستعملها ليوضحهـــا .

امـــا توزيع تلك المفردات العددي ، فـــانّ المفردات التي تتعلق بالمنهـــاج هي الأكثر ، وعددها ستمئـــة وخمسون ، ثـــم تتبعها المفردات التي تختص بالمفاهيـــم العامة ، وعددها ثلاثمئـــة وتسعون ، ثـــم المفردات المتعلقة بالتصريف والتـــي تساوي المفردات المتعلقـــة بالصوتية ، وعددها ثلاثمئـــة وعشرون ، واخيرا المفـــردات التي تختص بالتركيب ، وعددها مئتـــان وخمسون .

فمن البـــيّن انّ عددًا وافرًا من المصطلحات النحويـــة كان تحت تصرف النحاة العـــرب القدامى ؛ فمن المستحيـــل ان يكونوا قد احتاجوا الى اقتباس بضعةٍ مـــن المصطلحات الأجنبية ، يونانيةً كانت ام سريانية ؛ فما تعني تلـــك العَشَرة من المصطلحات التي يزعـــم المستشرقون ان النحاة العرب قـــد اقتبسوها من اللغـــة اليونانية ؟ ما تعنـــي تلك العَشَرة بالنسبة الى المئـــات والمئـــات من المصطلحات التي كانـــت متداولةً في لغتهـــم ؟

اظنُّ ان المستشرقين قـــد اخطأوا عندما اعتمدوا على بضعة مـــن مصطلحاتٍ يونانيـــة ليبرهنوا على مضارعـــة النظام العربي

النظام اليوناني . لانَّ كلّ واحد من المصطلحات جزء من نظام معيّن ، ليس لـه معنى ، خارجا عن هـذا النظام .

* * *

لقد بيّنّا انه من المستحيل ان يكون النحو العربي القديم قد اقتبس مصطلحاتٍ من النحو اليوناني ، وذلك من جميع النواحي : من الناحية اللسانية ، ومن الناحية اللغوية ، ومن الناحية التاريخية ، ومن الناحية المنهاجية . غير انه تَبقَّى علينا الاجابة على هذا السؤال : كيف نشأت هذه المصطلحات التي نرى سيبويه يستعملها في كتابه ؟

اذا فحصنا الكتابَ وجدنا ان سيبويه لم يُحدِّد المصطلحات التي يستعملها ؛ فهذا يدلّ على انه لم يَخْلق مصطلحات جديدة ، وانه يستعمل تلك التي استعملها قَبْلَه النُحاة القُدامى الذين يذكرهم في الكتاب ؛ كما يدلّ ذلك على ان معاصريه كانوا يفهمون تلك المصطلحات بدون صعوبة وبدون تفسير ؛ لماذا ؟

لانه من المحتمل ان سيبويه استعمل المصطلحات المشتركة بين العلوم الاسلامية الأصليّة التي هي : القراءات، والحديث، والفقه، والنحو . وقد تكوّنت تلك المصطلحاتُ في وقت واحد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد ، في مِصْرَي العراق المسلِمَين ، البَصرة والكوفة ، فكان القُرّاء والمحدّثون والفقهاء والنحاة يستعملون نفس المنهاج ونفس المفاهيم ونفس المصطلحات ، لانهم كانوا يقصدون الى نفس الهدف الذي هو سلامة لغة التنزيل الإلٰهي والحديث النبوي .

ويُمْكِنُنا القول إن النحو ، منذ بدايته ، كان مرتبطا بالحديث والفقه ، اذ ان كتب اخبار النحويين تروي لنا عن نصر بن عاصم الليثي ، وهو اول من وضع العربية بعد ابي الاسود ، انه كان فقيها عالما بالعربية والحديث ، كما انها تروي لنا عن يحيى بن يعمر ،

وهو اول مَن نَقَّط المصاحف ، انه كان ايضا فقيها عالما بالعربية والحديث .

فكان العلماء ، في غالب الاحيان ، يتلقّون جميع العلوم الاسلامية قبل ان يتخصّصوا في واحد منها . فنعلم مثلا ان النحوي المشهور الخليل بن احمد ، وهو واحد من اساتذة سيبويه ، قبل ان ينصرف الى النحو ، تَعلّم الحديث والفقه عن ايوب السختياني ، الذي كان فقيها من فقهاء البصرة ومحدّثا من محدّثيها .

وكذلك ، نعلم ان سيبويه قَدِمَ البصرة ليكتب الحديث ، فلزم حلقة حماد بن سلمة ؛ ويروى عنه انه بينما كان يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس من اصحابي الا من لو شئت لأخذت عليه ليس ابا الدرداء » فقال سيبويه : « ليس ابو الدرداء » وظنّه اسم ليس ، فقال حماد ، لَحنتَ يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وانما « ليس » ههنا استثناء ؛ فقال سيبويه : سأطلب علما لا تلحنني فيه ؛ فلزم الخليل فبرع .

وكذلك ، يُرْوَى عن حماد بن سلمة انه كان يقول : « من لحن في حديثي فقد كذب » ؛ فَتَدُلّنا هذه الرواية على العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الحديث بالنحو .

وكان العلماء القدامى يُعتبرون ان النحو اول العلوم الاسلامية واسبقها ، فكانوا يفضّلونه على العلوم الاخرى ؛ وذلك لان النحوَ العلمُ الاساسي الذي يحتاج اليه جميع العلوم ، والذي لا يستغني عنه عالم .

فَيُرْوَى عن ايوب السختياني انه قال : « تَعلّموا النحو فانه جمال للوضيع وَتَرْكُه هجنة للشريف » ، كما يُروَى ايضا عن حماد بن سلمة انه قال : « مَثَلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو ، مَثَلُ الحمار عليه مِخلاةٌ لا شعير فيها » .

وفي الختام ، فانا اعتقد ان علم النحو اعربُ العلوم الاسلامية ، وابعدُها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول ، كما حاولتُ ان أُبيّن ذلك في ضوء كتاب سيبويه ، ذلك الكتاب المشهور الذي هو اقدم كتب العرب في النحو .

العشرينيات والعشرينيات

للدكتور ناصر الدين الأسد

— ١ —

تجري الالسنة والاقلام من حين الى حين بتعبيرات والفاظ لا تلبث ان تشيعَ من خلال الصحف والاذاعات والتاليف شيوعا يستوقف الحريصين على سلامة اللغة ونقائها ، فاذا هم يُطيلون البحث فيها والطواف حولها ليتحققوا من صحتها، ومن انها جارية مجرى كلام العرب في الاستعمال، او في القياس، او فيهما معا . وما اكثرَ ما صَدَرَ من كتب في القديم وفي الحديث، بَناها مؤلفوها على تَتَبُّع هذه التعبيرات والألفاظ، وبيان ما فيها من خطأ، والتنبيه على الصحيح الذي يجب استعماله مكانها .

وهذا بابٌ من العلم ظاهِرُه اليُسرُ والاغراء بالدخول منه ، وباطِنُه محفوف بالمزالق والمكاره ، اذ لا بُدَّ للمتوغّل فيه من ان يكون محيطاً بكلام العرب او باكثره ، بصيرًا باساليبهم ، عالمًا بشعرهم ونثرهم على مر العصور وتَعَدُّد البيئات ، حافظًا ، ذاكرًا ، قادرًا على الاستشهاد وضرب المثل والإدلاء بالحجّة . وليس مَن يَدَّعي لنفسه كلَّ هذا او بعضَه ؟

ومن اجل ذلك كَثُرَت الكتب التي أَلَّفها اصحابها للردّ على مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تَسَرُّع الى التخطئة ، وتوضيحِ وجه الصواب فيما ظَنّوه وهْمًا او مخالفا لكلام العرب .

وكلا الفريقين من العلماء لا يَنْتَقِصُ من علم احدهم انه اخطأ في اجتهاده ، ولا يَعيبُه انه غاب عنه امرٌ عرفه غيره ؛ ولهم جميعا الاجر والثواب ان شاء الله .

وما نِلْتُهُ اطالب هذا الضرب من الثواب ، واربو أجْر الاجتهاد ، ملقيًا بدلوي بين الدلاء في الفاظٍ شاعت ورأى غيري انها خطأ ، وكنتُ من الذين راوا صوابها ، ونَشَرْتُ بعض ذلك في مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١) .

وأحبُّ الآن ان استزيد من الخير ، فأواصل في مجلة مجمعنا الناشىء ما كنتُ بدأتُه في مجلّة مجمعنا العريق .

— ٢ —

وكان الذي قادني الى هذا الحديث مقالٌ نَشَرْتُه صحيفة يومية (٢) ، في مصرنا العربية ، الحبيبة لقلب كلِّ عربي ، كَتَبَه عالِمٌ جليل ، عضوٌ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معروف بالرويّة والتثبّت ، طالما أنِسْنا بحديثه وأفَدْنا منه . وتناولَ في مقاله كلمتين اقتصر هذا على الثانية منهما ، ونبدأ بنقل ما كَتَبَه عنها بحروفه ، قال :

« ونُحِّيت كلمة ثانية يستعملها الناس في عصرنا على انها صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة : العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، وما الى ذلك من سائر العقود . ووَجْهُ الخطأ في هذا الاستعمال ان هذه الكلمات جموعٌ لعشرينة وثلاثينة وأربعينة ، وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، اذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ان يقول القائل : هذا حَدَثَ في العشرينيّات والثلاثينيّات والأربعينيات ، بمعنى انه حدث في السنوات النسوبة الى العشرين والثلاثين والاربعين وما اليها . فالكلمة يجب ان تكون مستعمَلةً على طريق ياء النسبة ، وحَذْفُ الياء هذه خطأ ، عريق في باب الخطأ الذي يكاد يهبط الى منزلة الخطيئة ، لأن الفصحى من شعائر الاسلام ، ولان الحرص على العربية حرص على لغة القرآن .. » .

---

(١) الاجزاء ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ .

(٢) جريدة الاخبار ، ١٩٧٧/٩/٢١ ، ص ٥ ، بعنوان « الصواب المظلوم » .

— ٣ —

ولِحِرْصِنا جميعـــا على العربية ، لغـــة القرآن ، نستأذنُ الاستاذ الجليل في ان نأخـــذ باطراف الأحاديث بيننـــا ، ونستأنف مجالسَ كانـــت لنـــا ، عَرْفناه فيها مُحِبًّا للحقيقة والحـــقّ ، حَفِيًّا عنهما ، لا يضيق صدره بِرَدٍّ او ســـؤال او تصحيح .

ولقد غاب عنّي فهـــمُ ما قصد اليه من قولـــه إنّ العشرينات بغير يـــاء النسبة ،« عربية في الخطـــأ » وان « حذف الياء هذه خطـــأ عربي في باب الخطـــأ » ؛ فلم افهم معنى « العراقة » هنـــا ! إنّ الذي يتبادر الى الذهـــن من ظاهر اللفظة انها تعني القِـــدَم في الاستعمال على هذه الصورة . فهل وَرَدت « العشرينـــات » وأشرابُها في كـــلام العرب قديما ؟ هل جاءت في شعرٍ او نثـــرٍ من عصور الاحتجاج اللغوي ؟ إنْ كانـــت في مثل هـــذه العراقة فأولى ان نقول إنهـــا « عربية في الصواب » ! وان لم تكن قـــد تَحَدَّرت الينا من تلـــك العصور ، ففي ايّ عصر بـــدأ استعمالها ؟ فان كانت هـــذه اللفظةُ لم تَجْـــرِ في الاستعمال الاّ في المـــائة الاخيرة او قبلهـــا بقليل ، فليس لنا ان نقول عنها إنهـــا « عربية » ، لا في خطـــأ ولا فـــي صواب .

وان كان المقصـــودُ من العراقة في الخطأ انهـــا مخالفةٌ لطريقة العرب في بنـــاء الكلمة وفي جمعها ، وليس في استعمال هـــذا الجمع بعينه قديما ، فذلـــك يقودُنا الى مسالك اخرى مـــن الحديث .

فالعشرينات والثلاثينـــات والاربعينات ليست بالضرورة « جموعـــا لعشرينة وثلاثينة واربعينـــة » التي هي ليست « فـــي » متن اللغة ، اذ كانت لا معنـــى لها » .

والجمع الذي ينتهي بالألف والتاء ، والذي يُسَمُّونه جمع مؤنث سالما ، ليس دائما جمعـــا لمؤنث ، اذ كثيرًا مـــا جُمعت عليه الفاظٌ لمذكّر غير عاقل ، اذا لـــم يكن لهذه الالفاظ جمـــعُ تكسير ؛ فالفاظٌ مثلُ : حَمَّام ،

وخَزّان ، وسِجِلّ ، وقرار ، ومُسَوُّغ ، تُجْمَع على : حَمّامات،وخُزّانات ، وسِجِلّات،وقرارات ومُسَوّغات ؛ وكُلها في مفردها تدلّ على مذكّر غير عاقل . بل استعملوه ايضا في القديم والحديث لجمع الجمع ، المذكر العاقل وغير العاقل ؛ ففي العربية ، رجالٌ ورجالات ، وجِمالٌ وجِمالات ، وبيوتٌ وبيوتات ، وبُيوعٌ وبيوعات ، واهرامٌ واهرامات . ومفردها مذكّر .

ثم اذا كنّا قد حَكمنا بأن « العشرينة والثلاثينة ليست في متن اللغة » فاننا كذلك لا بُدَّ حاكمون بأن "العشرينية والثلاثينية والاربعينية" ليست كذلك في متن اللغة على وجه اليقين ، ولم يَجْرِ بها لسانُ أحدٍ من العرب في القديم . ونحنُ نَعْلم أن مَجْمَعنا في القاهرة قد بَحَثَ هذه الالفاظ وجموعها،وذَهَبَ الى ما ذهبَ اليه الاستاذ الجليل ، وعدَّ « العشرينات » واضرابها خطأ ، و « العشرينيات » واضرابها هي الصواب (١) .

ثم ان هذه « الياء » المُقْحَمة التي قيل إنها للنسبة ، مشكلة في التَصَوُّر والفَهم معا ؛ فما أظنّ احدًا مِمَّن يَستعمل هذه الجموع يعبّر عن تَصَوُّر النسبة الى مفرداتها ؛ وما اظنُّ احدًا ممن يسمعها او يقراها يستقرُّ في فهمه معنى هذه النسبة ، وانما يريد القائل ان يدلّ دلالة عامّة على حقبة زمنية تمتدُّ عشر سنوات ، تبدأ بعدد في صورة الجمع،وليس في حقيقته جمعا ، وتتسلسل بعده تسع سنوات تاليةً،بوَضْعِ عَدَدٍ قبلَه بينَهُما واو العطف . هذه الدلالة العامة على حقبة زمنية ، مبيّنة هي التي يَقصدها القائل حين يريد ان يتجنَّبَ تحديد سنة بعينها ؛ وهي التي يَفْهَمُها السامع ، ولا يدور في خَلَد احد منهما ان ينسب شيئا الى شيء .

---

(١) في الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في الدورة التاسعة والثلاثين ، وفي الجلسة السادسة والعشرين من المجلس في الدورة نفسها ؛ وانظر بحث الاستاذ محمد ذكي امين،وبحث الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي في كتاب « الالفاظ والاساليب » اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ماذا كان لا بُدَّ من استعمال احد هذين الجمعين، فإنَّ تَرْك الياء اولى ، واستعمال العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، اقرب الى ذوق العربية وادخل في أساليبها ، وهو ما شاع استعماله واستساغه العرف .

— ٤ —

ومع ذلك ، فقد اعْتَسَفْنا الطريق واسبحنا مُنْبَتّين ، حين تَرْجَمْنا ترجمةً حرفية ما استعملته اللغات الاجنبية من جموع هذه الالفاظ ، ثم دخلنا في تيه من الجدل في تخطئة هذه الترجمات وتصويبها ، ولم نَرْجِعْ في كلّ ذلك الى ما استعمله العرب منذ اقدم عصورهم للدلالة على هذه الالفاظ ، متوهّمين انها من المعاني العصرية المستحدَثة التي لم تَرِدْ في كلام العرب ، على حين انهم عَرفوها وادارُوها كثيرا في كلامهم منذ الجاهلية ؛ وهي لفظة العقد نفسه — بغير جمع — مقرونة بالالف واللام ، وقد تُجَرَّدُ منهما في الشعر بخاصة ، اذا دلّت القرينة على المعنى . فقالوا : العشرين ، والثلاثين ، والاربعين ، الى آخر العقود ، بدلا من العشرينات او العشرينيات واضرابها . وبِحَسْبِنا شواهد معدودات نأنس اليها في هذا الحكم ونطمئن اليها نفوسنا :

قال سُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحيّ (جاهلي اسلامي) (١) :

وماذا يَدَّري الشعراءُ منّي وقد جاوَزْتُ راسَ الأربعين

اخو خمسينَ ، مجتمعًا أَشُدّي ونَجَّذني مداورةُ الشؤون

فللأربعينَ راسٌ هو حَدُّها الأعلى ، ولها « ذَنَب » هو حَدُّها الأدنى ، وهي تتدرَّج بينهما . فسُحَيْم يَذكر انه جاوز التاسعةَ والأربعين من عمره ، وهي راسُ الأربعين وحَدُّها الاعلى ، ثم وَضَّحَ ذلك ترضيحا ما بعده من مزيد حين قال : « اخو خمسين » .

---

(١) البيتان من القصيدة الاولى في الاصمعيات ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

ويقول دِعْبِل الخُزاعيّ (عبّاسي) (١) :

أبقى بن مَلامِكِ يا ظُعينا كفاكِ اللومَ مُرَّ الأربعينا

وهذا شبيه بقول سُحَيْم ؛ فالاربعون بكلّ سنواتها قد مَرَّت وانقضت، وصار شاعرنا « أخا خمسين » .

واشهَرُ بيت في هذا المضمار قول عوف بن مُحَلَّم الخزاعيّ (عبّاسي) (٢) :

إنَّ الثمانين ـ وبُلِّغْتُها ـ قد احْوَجَتْ سمعي الى تَرْجُمانْ

ومَن عَرَفَ طريقة العرب في البيان ادركَ ان الشاعر هنا لا يريد ثمانين سنة على وجه التحديد والتخصيص ، لا يتجاوزها ، ولكنّه اراد العقد بمجموع سنواته ، فهو في « الثمانين » بين ادنى سنواتها و « راسها » .

وقد ذكرنا ان هذه العقود قد تُجَرَّد من الألف واللام في الشعر بخاصة اذا دلّت القرينةُ على ذلك . ومِنْ اطرف ما نَسْتَشْهد به على ذلك ، واعذبه ، وأنفسه ، قول المَلَّلِيّ (٣) :

واقد قالتْ لأتْرابٍ لها كأُلْهًا يَلْعَبْنَ في حَجْرَتِها

« خُذْنَ عنّي الظِلَّ ، لا يُفْزِعْني » ومَضَتْ تسعى الى قُبّتِها

بِنْتُ عَشْرٍ لم تُعانِقْ رَجُلاً صُوِّرَ البَدْرُ على صورَتِها

واقد قَبَّلْتُ فاها قُبْلَةً كِدْتُ ألْقى اللّهَ من لَذّتِها

ولا أحِبُّ لنفسي ولا لِغَيري ان نَعْتَسِف الطريق ونَقْتَحِم الكلام بغير دليل ، ولكنَّ الجوَّ يوحي بأن الشاعر لم يقصد الى تحديد سنّ

---

(١) ديوانه : ١٤٨ ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٢) ترجمته في فوات الوفيات ، رقم : ٢٤٠ ، والبيت من شواهد النحو في اعراب الجمل .

(٣) من ابيات اطّلعتُ عليها في مخطوطة كتاب نوادر الهجري ، في مكتبة استاذنا محمود محمد شاكر .

العاشرة ، وإنْ كـان ذلك قد جاء ولا يزال جائزاً على نُدرة نادرة ، وانما اراد هـذه السنَّ التي تزدهر بـين العاشرة والتاسعة عشرة ، والتي يُطلقون على مـن كان فيها من الفتيات والفتيان بالانجليزية « تِينْ ايجرز » ، ونحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لهـا .

— ٥ —

وبعـد ،

فمـن اراد طريقةَ العرب وما ساروا عليـه في كلامهم ، فأمامه هذا الشعر المُبـين ، ولْيَقُل : « حَدَثَ ذلك في العشريـن او الثلاثين او الأربعين من هذه المئـة ، او من هذا القرن » ، ولا يخافَـنَّ اللَّبْس ؛ فنحن لا نقول : حـدَث ذلك في العشرين من هذا القـرن ، ونقصدُ سنة ١٩٢٠ ، وانما نُحَدِّدُهـا ونقول ، حدث ذلك في سنـة عشرين ، وليس فـي العشريـن .

ومن ارادَ المخالفـة عن استعمالهم الذي أَلِفُـوه ، وارادَ أن يُحْدِث كلامًا جديدا ، فـلا بأس عليه ان يجمع لفـظ العقد فيقول : العشرونات والثلاثينـات . وقد وَرد في كلام العـرب تثنية العقد :

« قال الأخفش ، اخبرني المبرّد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه : « وقد مَضَتْ لـي عشرونان ثنتان » . . فقلت لـه : ايُّها الامير ، هذا لَحْـنٌ لان إعراباً لا يَدْخُـل على إعراب » (١) .

وإنكارُ المُبَـرِّد لا ينصرف الى تثنية العقد ، وانما انصرف الى وجود إعرابَين : فالـواوُ والنون للرفع في جمع المذكـر السالم ، والالف والنون للرفع في المثنّى . ولو قال : لـي عشرينان ثنتان ، ما انكر المبـرِّد شيئا .

واذا جازت التثنيـة على هذا الوجه جاز الجمـع .

امـا ما سوى ذلك ، كإضافة يـاء النسبة قَبْلَ الجمع ، فشيءٌ تنبـو عنه الاسماع ، وتمجُّـه الأذواق ، وليس ما يدعو اليه ، مهما يُزيِّنه لنـا المزيّنون بتخريجاتهـم .

---

(١) المرزباني ، الموشـح ٣٥٧ ، المطبعة السلفية بمصر سنـة ١٣٤٣ هـ .

تعريب رموز نظام الوحدات الدولية

الدكتور ابراهيم مدكور

١ ـ خلفية عامة

يُقصد بنظام الوحدات الدولي International Units System ، بشكل عام ومبسّط ، ذلك النظام الذي يتناول تعريف وحدات القياس الطبيعية ، وتحديدها على اساس ثابت من العلاقات المادّية والرياضية التي تحكمها قوانين الطبيعة . وقبل تطوير هذا النظام كانت الدول المختلفة (ولا يزال بعض منها حتى الآن) تستعمل نظام وحدات خاصًا بها ، تعطيها تعريفاتها ومفاهيمها المحلّية التي تطوّرت عن النظام الاقتصادي العلمي السائد فيها . ومن الأمثلة الشائعة على ذلك : ـ

القدم Foot ـ وحدة قياس الطول في بريطانيا وامريكا .

المتر metre ـ وحدة قياس الطول في فرنسا وغيرها .

الذراع ـ وحدة قياس الطول في البلاد العربية (وحدة قديمة وغير علميّة) .

وبتطوّر النظام الاقتصاديّ العالميّ،وزيادة حجوم الاتصالات والتبادلات التجارية والعلمية والتكنولوجية ، نشأت الحاجة الى وضع نظام وحدات دولي يُمكن تعميمه واستعماله دون الحاجة الى معادلة الوحدات المستعملة من بلد الى آخر ، وما يتبع ذلك من صعوبات تكنولوجية معقّدة،وتكاليف اقتصادية باهظة .

ومن الناحية الاستعمالية في مجالات التعليم والأبحاث والدراسات والتدوين والمراسلات ، نشأت الحاجة الى وضع رموز موحّدة ومتّفق عليها للوحدات المستعملة ، يُشترط فيها ان تحقّق الاختصار

والسهولة ، من جهـــة ، وعدمُ الالتباسِ ، من جهة اخرى . وقد وضعت منظمة القياسيّات الدّوليّة

International Standards Organization (ISO)

نظاما لتعريف الوحـــدات في النظام المتريّ ، كمـــا وضعت نظام رموز خاص لتلـــك الوحدات .

وفي هـــذا الصدد واجهَتْ الدوائـــرُ العلمية والتعليمية والصناعية والتجارية في البـــلاد العربية مشكلتين : ـــ

الاولى : تعريب هـــذه الوحدات .

والثانية : وضـــع نظامِ رموزٍ لهـــا .

وقـــد بُذِلَتْ محاولاتٌ عديدة في مجـــال التعريب ، وأسفرت عن نتائجَ مُرْضِيَة نسبيًّـــا ، وإنْ كانت تُعْوِزُها في احيـــانٍ كثيرة الدقّةُ والتبسيط وسهولةُ التداول اللفظـــيّ او الكتابيّ .

وفي مجالِ الرمـــوز ، وهو ما يُهِمُّنا في هـــذا البحث ، بذلتْ المحاولات المتفرّقة منـــذ العشرينات من هذا القرن ، وكـــان الطابعُ العامّ لتلـــك المحاولات انها فرديّة ، او شبهُ فرديّة ، من جهة ، وانها لم تنظر الى نظام الوحدات بكلّيته ، بل كانت تَسْتَهدِف الكلماتِ الأكثرَ شيوعا ، ولا سيما في مجالات التعليم المدرســـيّ ، لتعطيَها الرموز « الملائمـــة » ؛ وبذلك انتشر بعضُ الرموز وشـــاع . وهي رموزٌ مقبولة ، او علـــى الأصحّ مُقْنِعَة ، اذا ما أُخِذَتْ بمفردها وعلـــى النطاق المدرسي الضيّق ، ولكنها غيرُ ملائمة للاستعمالات الموسَّعـــة ، ولا سيّما في مجالات التعليـــم الجامعيّ وما في مستواه .ومـــن الامثلة على ذلك : ـــ

وحدة القياس (متـــــر) رمزهـــا (م) .

وحدة القياس (كيلو متر) رمزهـــا (كم) .

وحدة القياس (ثانيـــــة) رمزهـــا (ث) .

وابتداءً مـــن الخمسينات ، ومع توسّع التعليـــم الجامعي وانتشاره في الاقطار العربيـــة ، اصبحت الحاجة اكثر الحاحا ، كمـــا هو معروف ،

الى تعريب التعليم ، وتعريب العلوم ، وبالتالي الى تعريب الرموز الخاصة بالوحدات .

لقد بُذِلَتْ محاولاتٌ شَتَّى في هذا المجال على النطاق الفرديّ، وعلى نطاق المؤسسات (مثل بعض الجامعات والمجامع اللغوية ، وعلى الأخصّ في مصر) إلاّ أنَّ طبيعة العمل الفردي ، من جهة ، وطبيعة تركيب تلك المجامع اللغوية ، من جهة اخرى ، وتَدَفُّق الكُتُب والوثائق العلمية والتعليمية ، وسرعة تطوّر العلوم ، وعدم توافر القدرة على المتابعة والتطوّر في المفهوم العلمي واللغوي ، من جهة ثالثة ، أدّت بكثير من تلك المحاولات الى نهايات مسدودة ، باستثناءِ الرموز الخاصّة بالمواد الكيميائية،وقد أُهْمِلَت في العديد من البلدان العربية بسبب عجزها عن النموّ المتقدم ، واخذ العديد من المدارس والمؤسسات يستعمل الرموز اللاتينية بدلاً من العربية .

ومنذ عدّة سنوات حاوَلَت المنظمة العربيّة للمواصفات والمقاييس معالجةَ الموضوع ، ولكنّها ــ رُبَّما لنفس الأسباب السابقة ــ وَجَدَت نفسها غير قادرة على تعريب الرموز كنظامٍ متكامل مَرِن . واصدرت المنظمة في اوائل السبعينات ترجمةً عربية للمواصفات القياسية الدولية ، أعْقَبَتْها في تشرين الاول ١٩٧٤ بترجمةٍ منقَّحةٍ باسم « المواصفات القياسية العربيّة رقم (١) وحدات النظام الدولي ، والتوصيات الخاصة باستخدام مضاعفاتها ، وبعض الوحدات الأخرى المعيَّنة » .

وصدرت الترجمة المنقَّحة في طبعتين : ــ

إحداهما تَحْمِل رموزا عربيّة للمصطلحات العربية .

والثانية تحمل رموزا لاتينيّة للمصطلحات العربية .

أما الرموز العربيّة،فالملاحَظ أنَّ استخدامها بشكل غير منهجي أدى ببعض الرموز الى أن تكون بعيدة عن روح اللغة العربية ، او أن تكون عمليةُ الترميز فيها « عملية شكلية » ، بمعنى ان يَنْقُص

الرمـزُ عن الكلمة الكاملة حرفـــا او حرفين ، او ان تُترك بعض الاصطلاحات دون إحـداث رموزٍ لها على الاطلاق ، بسبب التعقد الناشيء عن تركيب الوحدات بعضها ببعض ، وكما هو في المثال التالي : ـ

وحدةُ الكتلة تقاس بالكيلوجرام (الكيلوغرام) ورمزها (كجم) او (كغم) .

وحدةُ التيار الكهربائي تقاس (بالأمبير) ورمزها (مـبير) .

وحدةُ كمية المـادة تقاس (بالمول) ورمزها (مول) .

وحدةُ شدة الاضاءة تقاس (بالقنديل) ورمزها (قنـد) .

وحدةُ القُدْرة تقاس (بالواط) ورمزها (واط) .

وحدةُ الطاقة تقاس (بالجول) ورمزها (جـل) .

وحدةُ كثافـة التدفق المغنطيسي تقـاس

(بالتسـلا) ورمزها (تسـلا) .

وحدة الحثّ تقاس (بالهنري) ورمزها (هنـري) .

وحدة الفيض الضوئي تقاس (باللومن) ورمزها (لُمـن) .

امـا عن استخدام المضاعفات ، فـان نظام الترميز الذي اقترحَتْه المنظمة العربية لـم يَصْلُح للعمل ابـدا ؛ وهذه امثلة منه : ـ

كمية الطاقـة (كيلو جول) ورمزها (كيلو جل) .

كمية الطاقـة (ميغا جول) ورمزها (ميغا جل) .

الكثافة الحجميـة للشحنة ورمزها (ميكرو كمب/م٣) .

وهكذا نُلاحِظ انـه في الوقت الذي رَمَـز الى الكيلو في وحدة الكيلو غرام بالرمـز « ك » ، فانه لم يستطع ان يستعمـل نفس الرمز في وحدة كميـة الطاقة ، وتحوَّلَ الرمز الـى الكلمة الكاملة . واما رَمْز الكثافة الحجمية للشحنة فواضح انـه « نصف رمز » ، اذا سُمِّح التعبير .

امّـا عند استخدام الرموز اللاتينيـة للمصطلحات العربية ، فـان نظام الترميز القائم علـى منهجية معيّنة ، مرتبطة باستخـدام الحرف اللاتيني ، استطـاع أن « يُثْبِت » ، وان يبدو غـير متناقض مع نفسه . الا انـه بطبيعة الحال ، غير مقبول لعدم صلته باللغـة العربية ، كما هو موضّح في المثـال التالي : ـ

وَحدة الطول تقاس بالمتـر	ورمزها	(m)
وَحدة الزمن تقاس بالثانيـة	ورمزها	(s)
وَحدَة الزاويـة المستوية تقاس بالزاويـة الدائـرة	ورمزها	(rad)
وَحدة القـوة تقاس (نيوتن)	ورمزها	(N)
شدة المجـال الكهربائي تقـاس (بالفولط / متـر)	ورمزها	(kv / m)

ومنـذ عدّة اشهر شُرِعت المنظمـة العربية للمواصفات والمقاييس بمراجعـة الترجمة المذكورة ، لتحديثهـا وتنقيحها علـى الأُسُس السابقـة عينهـا .

٢ ـ تقييـم العمـل

رغـمَ الجهود التي تبذلها المنظمـة العربية للمواصفات والمقاييس في هذا المجال ، ورغم اهمية الموضوع ، فان اختيار الرموز العربية بشكل غير منهجي ودون رؤيـة واضحة للموضوع باكملـه ، وكذلك دون محاولة لتطوير مفهـوم الحرف ووظيفته شكلا ومضمونـا ، أدّى ، ويؤدّي الى طريـق مسدود . وكذلك كـان اختيار الرموز اللاتينية للكلمات العربيـة ، وهي هنا الوحدات المعرَّبـة ، يبدو في نظرنا غير صحيح وغير علمـي ، لاسباب كثيرة ، اهمهـا : ـ

١ ـ صعوبة استعمال الرمـز اللاتيني في سياق الكتابـة العربية ، سواء في الكتابـة أم في الطباعـة .

ب ــ ارتباط استعمال هــذه الرموز بالمستوى التعليمي ، مــن حيث ضرورة معرفة الأحــرف اللاتينية نُطْقًا وكتابةً؛وهــذا يتعذّر في كثير من الاحيان علــى تلاميــذ المدارس الابتدائية ، في حــين انَّ تثبيت الرمــوز كجزءٍ أساسيّ من التفكــير العلمي ، يتطلب استعمال هذه الرمــوز في المراحل الاولى للدراســة ، وبشكل تدريجــي ومتنــامٍ .

جـ ــ ان اختلاف اللغــة العربية جُذريًّا عن اللغــات الاوروبية ، سواء بأصولها اللاتينية أم السلافيــة أم الاغريقية ، يجعل من عمليــة الترميز بأحرفٍ غــير عربية عمليةً على قــدر من الاشتعال ، وعدم التناسق مع التوجــه الذهني الذي تفرضه اللغــة .

د ــ ان الرموز العلميــة يجب ان لا يُنْظَر اليها كمــادة للتداول فقط في اوساط او شرائح علميّــة معيّنة ، بل إنَّ طبيعة العصر والتقــدّم التكنولوجي،وتَشَــارُك المستويات التعليمية المختلفــة بالعمليات الانتاجية على مختلــف انواعها ، يجعل مــن الضروري ان تكون الوحدات المستعملــة برموزها واشكالها مفهومــة ومقروءة ، ليس لدى الجامعيين فقط ، بــل لدى الفنّيين المتوسّطين وشبــه المَهَرة كذلك ، اضافةً الــى الانسان العادي . وهــذا لا يتأتّى حين تكون الرمــوز المستعملة غريبة عن اللغــة المحلّية .

هـ ــ ان التطوّر العلمــي المرتَقَب خلال السنين القادمــة يُنبىء عن تزايد المعرفة العلميــة والتكنولوجية ، وبالتالــي تَزايُد الحاجة الــى الرموز ، سواء في الوحدات ام في المــواد الكيميائية ، او الرياضية او الطبيعية او غيرها . ومثل هــذا التزايُد لا يمكن ان يواجَــه الا من خلال نظــام للتعريب يَسْتَند كُلّيًّا الى الجذور الأساسية للُغــة .

٣ ــ المفهــوم النظري للترميــز

يقوم الترميز أساســا على اختيار رموز ، علــى صورة اشكال معيَّنة يُتَّفق عليهــا ، او حروف لغوية (وهــي بطبيعتها اشكال مُتَّفــق

عليهـا) تُختصر الحجم والزمن اللازمين للدلالة على المرموز لـه ، وفي نفس الوقت تكون قابلـةً للاستعمال في مواقع متنوعـة ، تبتدىء بالكتابة المُسْهَبـة ، وتنتهي بالمعادلات الرياضيّة.وكذلـك ينبغي ان تكون مُرنـةً مرونةَ الارقام الرياضية عينهـا ، لانها تُعبّر في كثير من الاحيان عن القيم الفيزيائية للكمّيـات الرياضية . وما لـم يتوافَرْ في الرمز مِثلُ هذه الخصائص ، فسيظل الرمـزُ عاجزا عن تحقيق الغرض الذي انشىء مـن اجلـه .

ومن هـذا المنطلق كان اختيارُ الرمـز اللاتيني (أو الياباني اذا شئت) يُعتَبَر اختيـارًا غير صحيح بالنسبة الى اللغـة العربية .

على انّ مرونـة الحروف ذاتها وقابليّتها للتشكيـل تلعبان دورا كبيرا في امكانيـة ملاءمة هذه الحروف لاغراض الترميـز .

٤ ـ الاساسيات التي يقـوم عليها نظام الترميز بالعربيـة

لقـد كانت صعوبةُ التصرُّف بالحرف العربـي واحدةٌ من الاسباب الرئيسية التي دفعـت العاملين في المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، وغيرَهم من المشتغلين بالتعريـب ، الى التراجُع عـن استعمال الرموز العربية بعد ان استنفدوا الرصيـد المعروف من الحروف ، وهـو لا يتجاوز في الاحوال العاديّة الملائمـة للاستعمال عشريـن الى خمسة وعشرين حرفـا ، لا تكاد تغطّي جزءا من نظـام الوحدات الكامل .

ومن ناحية ثانيـة ، اذا نظرنا الى الرموز الدوليـة ، أو الرموز المستعملة في بعض الـدول ، ولا سيما في اوروبا وامريكا ، نجـد ان الامكانيـة العددية للأبجديـة اللاتينية تصل الى اضعـاف الامكانية العددية للأبجديـة العربية ؛ عِلْمًا بأن عـدد الاحرف الابجدية في معظم هذه اللغات يكـاد يكون متقاربا .

يعود هـذا الفرق بين الامكانيات اساسـا الى توافُر شكلَـين للحرف في اللغات اللاتينية ، وهما الحرف الكبير والحرف الصغير (M, m ،

على سبيل المثـــال) . ومع انه يتوافر اكثر من شكل واحـــد للحرف العربي (ونعني بذلـــك الاشكال الاولى والوسطى والاخيرة) فـــان طبيعة تكوين الاشكـــال الوسطى والاخيرة ، او الاولـــى ، بالنسبة الى بعض الحروف ، تَمْنَـــع في كثير من الاحيان مـــن استعمال هذه الاشكال بصورة مستقلّة ، كمـــا في الحروف الاوروبية . ان استعمال حرف النون ، على سبيل المثـــال ، هو اكثر ملاءمة حين تكون النـــون مستقلة ، اي على شكل (ن) في حـــين ان شكلها في الابتداء او الوســـط كثيرا ما يكون غير متميّز ، او يدعـــو للالتباس او الاختـــلاط . فعلى سبيل المثال ، اذا اخذنا حـــرف (النون) في العربيـــة مرة اخرى ، وحـــرف (N) بالانكليزية ، وَجَدْنا لدينـــا الاشكال التالية : ـــ

ن ـ ـن

n N

يضاف الى ذلـــك استعمال الاصول اللاتينيـــة او الاغريقية للحروف الاوروبية الحاليّة ، وهـــي كَشَكْلٍ او رمز تتميّز عن الشكـــل الحالي للحـــرف الاوروبي ، وبالتالـــي تزيد من امكانية تنظـــيم الترميز . مثـــال : A, a, $\mathcal{A}$ $\mathcal{B}$,B, b, R, r, $\mathcal{R}$

وهكذا كـــان تعريب الرموز الحالي يتضمَّـــن الأُسلوبين التاليين : ـــ

ا ـــ تسمية الحروف العربيـــة بشكلها المستقلّ حروفـــا كبيرة (مثال : ا ، ب ، ج ، د .. الـــخ) .

ب ـــ تسمية الحروف العربيـــة بشكلها عند الابتداء بحروف صغيرة (مثال : بـ ، سـ ، صـ ، فـ ، يـ .. الـــخ).

وفي محاولة لاعطاء شكـــل الحرف عند الابتداء نوعـــا من الاستقلال ، اقترحنـــا اضافة حركة صغيرة الـــى آخره نسميها هنـــا « حركة الاستقلال » ، ليصبح علـــى النحو التالي : ـــ

(مثال : بـ ، سـ ، فـ ، الخ) . (انظر اللوحة رقم ١) .

ج ـــ تحقيقا لزيـــادة سعة نظام الترميز ، ولا سيمـــا عند استعمال المعادلات المتضمنة للكثير مـــن الرموز والمتغيرات ، من الممكن

« اضافة حركة » الـــى الحروف الكبيرة ، مشتقّـة من انماط الكتابة العربيـة ، وفي الوقت عينه تعطيها طابعـاً متميّزًا يماثل اشكال الاحرف المائلـة في اللغات الاوروبية (مثال : س ، ص ، ط ، ف ، ق ، ع ...)

انظر اللوحة رقـم (٢) .

ونسمي هـذه الحركة هنا « حركـة التميُّز » .

وبهذا يمكن تحقيق سَعَـةٍ كبيرة للأبجدية العربية في مجـال الرموز ، تكفي عندمـا تُسْتَخْدم استخداما منهجيًّـا صحيحا لتغطية الاحتياجات المطلوبة ، عـن طريق الاستعمال المفـرد والمركّب والمتضاعـف .

د ـ استعمال الحَرْف الصغير للدلالة علـى الوحدات العامة ، وغـير المأخوذة عـن اسماء اعلام مثل : ـ

الشحنة الكهربائية ، ورمزها (ش) .

الازاحة ، ورمزها (ش / م٢) .

الزمن مقاس بالثانية ، ورمزه (ث) ... الـخ .

هـ ـ استعمال الحروف الكبيرة أو الحـرف الاعتيادي متّصلاً مع حـرف كبير ، للدلالـة على الوحدات المشتقّة مـن اسماء اعلام ، مثل : ـ

وَحدة الطاقة « جول » ، ورمزها (ج) .

وَحدة الجهد الكهربائي « فولت » ، ورمزها (ف) .

وَحدة التيار الكهربائي « امبير » ، ورمزه (ا) .

وَحدة كمية الكهرباء « الكولمب » ، ورمزه (كب) .

وَحدة المنافذة « هنري » ، ورمزها (هن) .

وحدة المسامحة « سينمس » ، ورمزها (سيم) ... الخ .

و ـ الوصول الى الوحدات المركّبـة من خلال استعمال اشـارات

الضَرب والقسمة الاعتياديـــة ، كما هو في المعادلات الرياضية . مثـــال ذلـــك : ــ

كثافة التيّار الخطي « امبير لكـــل متر » ، ورمزها : (ا / م) .
العزم الكهرو مغناطيسي « امبير مضروبا بالمتر المربـــع » ، ورمـــزه : (ا / م٢) .

المانعة وهي مقلوب الهنري ، ورمزها : (هن-١) ... الخ .

٥ ــ انواع الوحدات المعرَّبـــة

١ ــ الوحـــدات الأساسيّـــة :

وتشمـــل الوحدات الفيزيائية ، التـــي تُعْتَبَر الوحداتُ الاخرى جميعها مشتقة منها ؛ وهي ثمـــان اساسيّة واثنتان مكملتان لهـــا ؛ وهذه تشمل وحداتٍ مشتقّةً مـــن اسماء أعلام ، ووحداتٍ ليســـت كذلك ؛ وتُبَيِّن اللوحة رقم (٣) الرموز المعرَّبة للوحـــدات الاساسية . ويلاحَظ ان الرمزَين الدارجَين للمتـــر والكيلو غرام هما علـــى التوالي (م) و (كغم). ورغم أن هـــذه الرموز مقبولة باعتبارها قائمـــة بذاتها ، الا انـــه يجب تغيير الحروف الكبيرة فيهـــا الى حروف صغيرة ، لكي تتبـــع النظام المقترح وتصبح (م و كغم) .

٢ ــ الوحـــدات المشتقّـــة : ــ

وهـــذه الوحدات يُعَبَّر عنها جَبْرِيًّا بدلالة الوحدات الاساسية ، او الوحدات المكملـــة . ويمكن التعبير عـــن رموزها بالعلامات الرياضيـــة المعتادة . على سبيل المثال :
تقاس وحدة النظام الدولي للسرعة بالمتـــر لكل ثانية . ووحدة النظام الدولي للسرعة الزاوية بالزاويـــة المستوية لكـــلّ ثانيـــة .

ورموزها في نظام الترميز المقترح هي م / ث ، مـ / ث .
بينما كانت الرمـوز التي اقترحَتْها المنظّمة العربيـة للمواصفات والمقاييس هـي :

m/s rad/s على التوالي .

كذلك نجـد في الوحدات المشتقّة اسمـاءً خاصّة لهذه الوحدات ، تتطلّب ايجـاد رموز لها لكي يمكـن اختصار كمية الرموز عنـد استعمال الوحـدات الاساسية للدلالة على الوحـدات المشتقة .

والوحدات المشتقّة تتضمـن العلوم الاساسية ، وهي : الكهرباء ـ الضوء ـ الصوت ... الـخ ، كما هو فـي اللوحة رقـم (٤) .

تبيِّن اللوحة رقـم (٥) الوحدات الكهربائيـة الاساسية والمشتقة في الكهربـاء . وقد ذُكِر تعريف الوحـدة واسمها ورمزها العربـي المقترح . ويلاحَظ ان نظـام الترميز الجديد سهل الاستعمال ، وغـير مسبِّب للالتباس . وقـد وُضعنا الرمـز بالحروف اللاتينية للمقارنة .

٣ ـ **الوحـدات المركّبـة : ـ**

وهـي الوحدات التي تتألف مـن تركيبات متنوّعة من الوحدات الاساسية والمشتقّـة ، عن طريق ضرب هـذه الوحدات او قسمتهـا . مثال ذلك : ـ

وحدة العزم ، وهي نيوتن مضروبا بالمتر ، ورمزها (ن . م) الزوجة الديناميكية ، وتساوي بسكال مضروبا بالزمن ، ورمـزه (بس . ث) .

وبالرجوع الـى اللوحات (٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١) نجـد الرموز العربيـة المقترحة لمختلف انـواع الوحدات في العلـوم الاساسية الطبيعيـة .

(**ملاحظـــة** : إنّ تعريب الوحدات ليس من عمـــل الكاتب . ولديـــه بعض التحفظات على بعض هـــذا التعريب) .

٤ ــ المضاعفـــات : ــ

تُستَخدَم في النظـــام الدولي مجموعة من البادئات لهـــا اسماؤها ورموزهـــا ، وتتكوّن من مضاعفات واجزاء عشرية . والنظام الدّوْلـــيّ يُفترض ان يكون رمـــزُ البادئة مُتّحِدًا مع رمـــز الوحدة المتّصل بها مباشرة ، لتكوين رمـــز وحدة جديدة يُمكن رَفعُها الـــى أُسٍّ موجب او ســـالب ، يمكن ان يتّحد مع رموز وحـــدات اخرى . مثال ذلك : ــ

البادئة سنتي ، ورمزها باللاتينية (c) والعربية (سـ) .

الميكرو ، ورمزها باللاتينيـــة (u) والعربية (ميـ) .

النانو ، ورمزها باللاتينيـــة (n) والعربية (نـ) .

وتُبيّن اللوحة رقـــم (١٢) اسماء البادئات ورموزهـــا اللاتينية والعربيـــة ، وقيمها الرياضيـــة ؛ ومثالا علـــى استعمالها بنظـــام الترميز المقترح .

٦ ــ استنتاجـــات

إنّ احرف اللغـــة العربية ، من حيث الأساس ، صالحةٌ لاستخدامها في وضع نظام رمـــوز متكامل للوحدات الدولية . وهـــي ، اذا أُدخِل عليها بعضُ الاضافات او التعديـــلات البسيطة ، يُمكن ان تُعطي الحـــرف العربي مرونة كافيـــة في التطبيقات العملية ، ســـواء المكتوبة منها ، ام المقروءة ، ام المتداولة لفظـــا . إنّ ادخال « حركة الاستقلال » و « حركة التَميُّز » على صورتَي الحـــرف العربي الصغير والكبير علـــى التوالي ، يُمكّن من استعمال هـــذه الاحرف في المجالات العلميـــة المختلفة دون ان تكون هناك فرصـــة للالتباس او الغموض . ان حركتـــي الاستقلال

والنمّيز مشتقتان من أنماط الخطوط العربيه ؛ فهي ليست غريبة أو مفتعلة . ويمكن انشاؤها كتابة وطباعة بسهولة واضحة .

إنّ نظام الترميز المقترح يفي،في راينا،بمتطلبات الرموز حسب النظام الدولي .

٧ ــ مراجع :

١ ــ المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، المواصفات العربية / القاهرة .

2. International Organization for Standards
SI Units,
Geneva, Switzerland

لوحة رقم (١)

الحروف الاعتيادية والحروف "المستقلة" المقترحة بإضافة حركة الاستقلال

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ا بـ تـ ثـ جـ حـ خـ دـ ذـ رـ زـ سـ شـ صـ ضـ

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي

طـ ظـ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ هـ وـ يـ

لاحظ ان الحركة الافتراضية التي أُلحقت على الحرف الصغير ،
(حركة الاستلال) ، مفترضة هنا على الحرف الطبيعي .

لوحة رقم (٢)

الأحرف الاعتيادية، والأحرف الكرسية المتصلة، إضافة حركة التحريك

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ

و ي

و ي

الكَمّيّات الأساسيّة						
الوحدات الاساسيّة						
الطـــول	الكتلـــة	الزمـــن	التيار الكهربائي	درجة الحرارة المطلقة	كمية المـــادة	شـدّة الاستضاءة
المتر	الكيلو غرام	ثانية	امبـــير	كلفـــــن	مـــول	تنديلـــه
m	Kg	s	A	K	mol	cd
مـ	كـ غـ	ثـ	أ	ك	مل	قد

الوحدات المكملة للنظام الدَّوْلي	
زاوية مستوية	زاوية مجسَّمة
زاوية نصف قطر دائرية rad	زاوية فراغية Sr
مسـ	جسـ

لوحة رقم (٣)
لوحات الأساسية والمكملة للنظام الوحدات الدولي

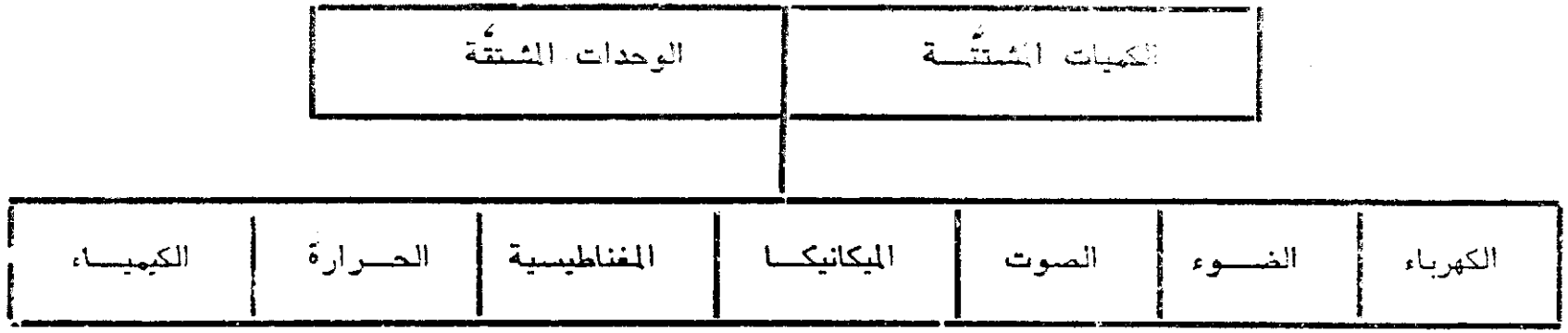

اللوحة رقم (٤)

العلوم الطبيعية التي دُخِلَت وحداتُها في هذا البحث

كهـــــــربـــاء

القدرة	كمية الكهرباء	جهد كهربائي، فرق جهد قوة دافعة	سعة كهربائية	مقاومة كهربائية	مواصلة كهربائية	تـــردد	الطاقة	الكترون فولت	كثافة الشحنة الحجمية	كثافة الشحنة السطحية	شدة المجال الكهربائي
واط	كولمب	فولت	فاراد	اوم	سيمنس	هيرتز	جول		كولمب/م^3	كولمب/م^2	فولت / متر
و	كب	ف	فد	ص	سيم	هـز	ج	ا.ف	كب/م^3	كب/م^2	ف/م

الشحنة الكهربائية	الازاحـــة	عزم كهرومغناطيسي	نفاذيـــة	مسامحـــة	منافـــذة	ممانعـــة	موصليـــة	الحث الذاتي والمتبادل	كثافة التيار	التدفق الكهربائي	كثافة التيار المغنطي
C	C/m^2	A.m^2	H/M	S	H	H^{-1}	S/m	H		C	A/m
سيم	سم/م^2	أ.م^2	هن/م	سيم	هن	هن$^{-1}$	سيم/م	هن	أ/م^2	شنسم	أ/م

الاستقطاب الكهربائي	عزم كهربائي ثنائي القطب
C/m^2	C.m
سم/م^2	سم.م

اللوحة رقـــم (٥)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الكـــهرباء

الصـــــــــــوت

التردد هيرتز	التردد الدوارني s^{-1}/min^{-1}	فترة(دورة) زمن (دورى) s	طول الموجه m	كثافة الكتلة kg/m^3	ضغط الصوت pa	سرعة الصوت m/s	سرعة الجسم M^3/s	مستوى قدرة الصوت ديسبل db
هز	ش-١ ، د-١	ث	م	كجم/م٣	بس	م/ث	م٣/ث	ديسبل

مستوى ضغط الصوت db	دليل خفض الصوت db	مساحة امتصاص مكافئة m^2	زمن الارتداد s
ديب	ديب	م٢	ث

الشرحة رقـــم (٦)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الصـــــــوت

الضـــــــوء

شدة الاضاءة قنديلة او شمعة cd	شدة استضاءة لكس lx	فيض ضوئي لومن lm	التـــــردد هيرتز H2	طول الموجـــه متر، انجتروم LA^0,pn,nm,m	طاقة مشعـــة J	قدرة مشعـــة تدفق مشبـــع W	شدة الاشعـــاع W/sr
قد	لك	لم	هز	، أ ، هـ	ج	و	و/جيسر

اشعاعيـــة $w/sr.m^2$	الوجود الاشعاعي w/m^2	الاشعاعيـــة كثافة الاشعـــاع w/m^2	كمية الضـوء lm.s	لضـــــوع cd/m^2	وجود ضوئي lm/m^2	معرض ضوئـــي lx/s	فعالية ضوئيـــة lm/W
و/جسرم٢	و/م٢	و/ص٢	لم.ث	قد/م٢	لم/م٢	لك. ثـ	لم/و

اللوحة رقـــم (٢)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الضـــــوء

الكهرومغناطيسيـــــــة
والمغناطيسيـــــة

تدفق فيض مغناطيسي وبر wb	كثافة التدفق المغناطيسي تسلا T	حث مغناطيسي هنرى H	التيار الكهربائي أمبير A	شدة المجال المغناطيسي A/m	فرق الجهد المغناطيسي A	كثافة التدفق المغناطيسي تسلا T
وب	تس	هن	أ	أ/م	أ	تـــس

جهد المتجه المغناطيسي wb/m	كثافة التيار الخطي A/m	النفاذية المنفذية F/m	نفاذية H/m	عزم كهرومغناطيسي $A.m^2$	مغنطـــة A/m	ابت قطاب مغناطيسي T	عزم مغناطيسي ثنائي القطب $N.m^2/A$, wb/m
وب/م	أ/م	قد/م	هن/م	أ.م٢	أ/م	تس	ن م٢/أ ، وب/م

الحث الذاتي المتبادل هنرى H	عزم كهرومغناطيسي عزم مغناطيسي $A.m^2$	مغنطـــة A/m	ممانعة H^{-1}	منافـــذة H	مسامحـــة S	قدرة فعالـــة W
هن	أ.م٢	أ/م	هن-١	هن	سيم	و

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في المغناطيسية والكهرومغناطيسية

قـــوة	ضغط ، اجهـاد طاقة ، شغـل باسكال	قـدرة	الكتلـــة	الكثافة الخطيـة	الكثافـــة	كمية التحـــرك	عزم كمية التحـــرك
نيوتون		واط	كيلوغرام	كيلوغرام/ متر	kg/m^2	kg.m/s	الزاوي kg.m^2/s
ن	بس	و	كغ	كغ/م	كغ/$م^3$	كغ.م/ث	كغ.$م^2$/ث

عزم القصور الذاتي	عزم القـوة	ضغط المائـع	الاجهـاد	اللزوجة الديناميـة	اللزوجة الحركية	التوتر (الشد) السطحي	الطاقة ، الشغـل
kg.m^2	N.m	1 bar	pa,n/m^2	pa.s	m^2/s	N/m	J
كغ.$م^2$	ن.م	بار	بس، ن/$م^2$	بس . ث	$م^2$/ث	ن/م	ج

اللوحة رقـــم (٩)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الميكانيكا

الحـــــــرارة

درجة الحرارة الثرموديناميكية كلفن K	درجة الحرارة سلسيوس C	فترة درجة الحرارة k ويمكن استخدام c	معامل التمدد الطولي K^{-1}	كمية الحرارة ز	معدل سريان الحرارة W	الموصلية الحرارية W/m.k
ك	س	ك ، س	ل-١	ح	و	و/م.ك

معامل انتقال الحرارة $W/m^2.k$	السعة الحرارية J/K	السعة الحرارية النوعية ز/kg.k	انتروبيا J/k	انتروبيا الفرعية J/kg.k	طاقة نوعية J/kg	حرارة كامنة نوعية J/kg
و/م٢.ك	جك	ج/كجم.ك	ج/ك	ج/كجم.ك	ج/كجم	ج/كجم

اللوحة رقـــم (١٠)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الحـــــرارة

الكيميـــــــاء

كمية المادة Mol	كتلة الجزئي الغرامي kg/mol	حجم الجزئي الغرامي m^3/mol	طاقة الجزئي الغرامي J/mol	السعة الحرارية للجزئي الغرامي J/mol.k	انتروبيا الجزئي الغرامي J/mol.k	تركيز mol/m^3
مل	كغ/مل	م٣/مل	ج/مل	ج/مل.ك	ج/مل.ك	مل/م٣

تركيز الجزئي الغرامي mol/kg	معامل الانتشار m^2/s	معامل انتشار حراري m^2/s
مل/كغ	م٢/ث	م٢/ث

الوحدة رقـــم (١١)

رموز الوحدات الاساسية والمشتقة في الكيميـــــاء

البادئات في النظام العالمـــي

اسم البادئة	رمزها اللاتيـــني	رمزها العربي المقـــترح	العامل الذي نضرب بـــه	
				مثـــال :
تيرا	T	ت	$\times ١٠^{١٢}$	اذا كان رمز المتر (م)
غيغا	G	غ	$\times ١٠^{٩}$	فان رمز الكيلو متر يصبح كم
ميغا	M	م	$\times ١٠^{٦}$	والميغا متر يصبح مم
كيلو	K	ك	$\times ١٠^{٣}$	والميكرو متر يصبح ميم
هيكتو	H	هـ	$\times ١٠^{٢}$	والنانومتر يصبح نم
ديكا	Da	دك	$\times ١٠^{١}$	والتيرا متر يصبح ت م
ديسي	D	د	$\times ١٠^{-١}$	والغيغا متر يصبح غ م
سنتي	C	سم	$\times ١٠^{-٢}$	والميلي متر يصبح مم
ميلي	[illegible]	م	$\times ١٠^{-٣}$	والميكرو متر يصبح ميم
ميكرو	[illegible]	ميم	$\times ١٠^{-٦}$	
نانو	[illegible]	نم	$\times ١٠^{-٩}$	
بيكو	[illegible]	بم	$\times ١٠^{-١٢}$	

اللوحة رقـــم (١٢)

اسماء البادئات ورموزها اللاتينية والعربية المقترحة

احداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ
١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م

للدكتور عدنان البخيت

يُعَيِّدُ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط (١) ؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تلفّ مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من أبرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستغلّةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة (٢). ولم تكن هذه الحركة لِتَمُرَّ دون ان تترك لها اثرا على المناطق الشامية، خاصّةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام (٣) . ولعلّه من المفيد

---

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر :
Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة :
Mustafa Akdag, Turk Halkinin Dirlik Ve Duzenlik Kavgasi, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1975.

وكذلك رسالة
Celaveld, W. J., Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609 Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيدا من التفصيلات في الترجمة التي أوردها حسين ابن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) لعبد الحليم اليازجي « الباشي الخارجي » (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، م ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ ، م ٢ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٧٠ ، كذلك انظر : المحبي ، محمد امين (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير دار صادر بيروت ، لا . ت ، م ٢ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤ .

هنا أن نتذكّر ان السلطنة العثمانية،انسجاما مع سياستها التقليدية (٤) ، لم تُلغِ الزعامات المحلّية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضَمّ هذه البلاد الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول،بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م) ، اذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مُستكينةً بإبّان قوّة الدولة ضمن الاطار العثماني . الا أنها بدات تتحرّك في الربع الأخير من القرن السادس عشر لتوسّع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلّية ، ولكن ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجبهتين الصفوية والنمساوية،بالاضافة الى الخسائر التي تكبّدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرّد والعصيان في اليمن وفي غيرها (٥) من بلدان سلطنتهم . كما انه كان قد تَرتّب على انتصار تحالف البابوية واسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية،في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٧١ م،أن قوّة الدولة العثمانية البحرية،من حيث العَدد والعُدّة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الاوروبية (٦) ، وان الدول الاوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

---

(٤) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", Studia Islamica, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٥) انظر :

Bakhit, M. A., The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

(٦) حول معركة ليبانتو انظر :

Creasy, Edward S.,

Hisory of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-23.

Inalick, H. The Ottoman Empire, pp. 41 - 42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصليبية المستهدفة استخلاص فلسطين من ايدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من أوروبا،بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط (٧) . وكان من ابرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية،والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس واعزاز . ولقد وسّعت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها،بحيث أنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر م/الحادي عشر هـ آنذاك،حسين باشا جانبلاط،الذي نتيجة لتلكئه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جغال زاده ضد الشاه عباس الاول (٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م — ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) أمر الوزيرُ المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م (٨) .

---

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" Arabica, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر ايضا لنفس المؤلف ، « فخر الدين المعني الثاني والمكسرة اللبنانية » ، ابحاث القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكسليك ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ — ١١١ .

لمزيد من التفصيلات حول هذه الخطة انظر ايضا ما نشره الأب بولس مراد :

١ — "فخر الدين الثاني وعلاقته بفردناند الاول وفرنسا الثاني امير تسكانيا" ١٦٠٥ — ١٦٢١ ، حريصا ١٩٣٨ .

٢ — وكتابه الثاني "فخر الدين المعني امير لبنان وفردناند الثاني امير تسكانيا" ١٦٢١ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٨ .

(٨) حسين بن جانبلاط ، كردي الاصل،كان في ابتداء امره من الطائفة العسكرية المعروفة باسم المتفرقة،ثم خَلَف والده في امارة كلس،وتدرّج في المناصب الى ان أوكلت اليه حلب،ولكنه تلكأ في مساندة الوزير سنان باشا في حملته القاضية على بلاد فارس ، وكان من نتيجة ذلك ان سنان باشا أمر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ١٧١ . انظر المحبي ، خلاصة ، م ٢ ، ص ٨٤ — ٨٧ .

أما سنان يوسف باشا المعروف باسم جغال زادة ، فلقد تربى في القصر السلطاني ، وتولّى عدة مناصب،منها ولاية ديار بكر في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م،كما تولى بعد ذلك بلاد وان وأرضروم وبغداد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م تولّى بلاد الشام لبضعة اشهر . في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، اوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس ، وكانت وفاته في نفس العام في ديار بكر ؛ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ، اسطنبول سنة ١٣١١ ، م ٣ ، ص ١١١ . كذلك انظر محمد بن جمعة المقدسي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) ، الباشات والقضاة ، نشره صلاح الدين المنجد مع نُصّين آخرين باسم "ولاة دمشق في العهد العثماني" ، دمشق ، ١٩٤٦ م ، ص ٢٦ .

ولمـــا وصل خبر مقتله الى حلب ثـــار ابن اخيه علـــي جانبلاط، « ورفع علـــم العصيان،وجمّع الطائفة الذين يقال لهـــم السكبانية حتى صار عنده منهم مـــا يزيد على عشرة آلاف،ومنع مـــال السلطنة (٩) » .في اثناء ذلك كانـــت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حـــرب ضروس مع امبراطورية النمســـا،كما ان قوات الجلالية الخارجة عـــن طاعة السلطان كانت تصول وتجول فـــي بلاد الاناضول ؛ وكان قـــد سَبَق ذلك ان القوات العثمانية قـــد عادت خاسرة من حربها ضد الشـــاه عباس . في مثل تلك الظروف عرض الزعيـــم التركماني الاصل السنّي المذهـــب يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عَكّـــار ، والذي كان يُوَلّى من حين لآخر بـــلاد طرابلس ، خدماته على السلطان،عَلَـــى « ان يكون اميرا على عساكر بـــلاد الشام،على ان تكون جمعيّته بحماة،ويلتـــزم بازالة علـــي بك المذكور عن حلب » . فلما جـــاءه الإذن السلطاني بذلك،أرسل يوسف باشا الـــى العساكر العثمانية في دمشـــق وفي غيرها من القلاع للاقامـــه عند حماة . وعند التقاء الجانبين تَمكّن علـــي بك ابن جانبلاط بسهولة تلفت النظـــر من الحاق الهزيمة بالعساكـــر العثمانية بقيادة يوســـف باشا سيفا،الذي تَوَجّه الى طرابلس الشـــام ليهرب منها باموالـه الى جزيرة قبرس،ومنها الى حيفـــا،ملتجئا الى الامير احمـــد الحارثي . ومن هناك عـــاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس،مقـــرّ سلطته .

ولحسن الحظ يتوافر لدينـــا نَصّان لشاهِدَي عيان لتلـــك الاحداث . صاحب النص الاول،ويعرف باســـم مصطفى بن جمال الدين ابـــن كرامة،

---

(٩) البوريني المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، لاحظ تعريف البوريني للسكبانية حيث يقول : « والسكبانية عبارة عـــن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهـــم يحمل البندقية على ظهره ويقـــود الكلب في ساجوره،ويمشي امـــام الامير او الكبير حين يسير الى الصيد . وهو لفـــظ فارسي ماخوذ من ســـك ، فاما ســـك فهو الكلـــب بلغتهم،واما بـــان فهو بمعنى الحامي،اي حامي الكلـــب » م ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ وكانوا يشكلـــون وحدة بارزة في فرقـــة الانكشارية.انظـــر :

Huart, CL. "Segban" E. I. , Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشام؛كتب تعليقة حول ما اصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط ؛ والنَّص الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنَّصان يكملان ويُعضُدان بعضهما البعض،ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انهما ما زالا مخطوطين .

والذي يُهمّنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تُصوِّر لنا مشاعر احد ابناء طرابلس،قاعدة السُنَّة،ضمن اطار من الاقليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان،حيث أنَّ مَن عصاه « قد اطاع الشيطان » . وتُصوِّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سيفا ؛ وهي نظرة احترام، لأنّ معظم المصادر المتداوَلة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، **كتاريخ الازمنة** للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٩ م) **وتاريخ الامير حيدر احمد الشهابي** (ت ١٨٣٥ م) **واخبار الاعيان في جبل لبنان** ، لطنّوس الشدياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتمدت المؤرخ السنّي ، الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبّراً عن وجهة نظر فخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خاصّة المارونية منها ؛ بينما يوسف باشا سيفا ، كان سنّياً يتمتع بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، رُبّما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على انه رجل الدولة ووكيلها (١٠) . كما ان هذه التعليقة تُبيّن

---

(١٠) حول مكانة اسطفان الدويهي وطنوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر :

Salibi, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب مقالة

A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 226 - 245.

حول اهمية دور اسرة آل سيفا في التاريخ المحلي ومن علاقاتها مع القُوى المحلية

لنسا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هُجّروا مدينتهم وركبوا البحر،لعلمهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيا بقيادة فخر الدين المعني . ومما زاد في حراجة موقفهم،ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلاليّة،ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالاضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول،وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سُكّان طرابلس من حيلة الا الهروب الى اقرب الجزر .

يُعرّف صاحب هذه التعليقة نفسه بايجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله : « ... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة ». وعند العودة الى مخطوط **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر** (١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من **تراجم الاعيان من ابناء الزمان** (١٢) ، للحسن بن محمد البوريني ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، **وخلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**، لمحمد امين الدين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، **وشذرات الذهب في اخبار من ذهب**،لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فاننا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . واما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

– الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الصليبي :

Kamal S. Salibi,"Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir", Arabica, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", Arabica, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١ ، الاوراق ١٦٨ – ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية،بيّنا Cod. Arab. 1190 Mixt 348

هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم أثناء اقامته في طرابلس (١٣).

الا أن الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) يذكر في **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**، التي دوّن فيها اخبار رحلته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أنّ من بين من لقيه « ... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ علي بن كرامة »، ويذكر في مكان آخر أن عليّ بن كرامة قد زاره : « فزارنا في هذا اليوم أيضا عدّةٌ من الأماثل المكرّمين والعلماء المدرّسين، منهم الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة » . ويضيف ان عليًّا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤) . وعند العودة الى كتاب **تراجم علماء طرابلس وأدبائها**، لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧ م) ، لا نجد ذكرا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لافراد آخرين كعمر بن مصطفى أبي اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) ومصطفى بن عبد الحميد كرامة (١٥) . واذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فاننا نلمس، من ثناياها ومن لغتها ، أن مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من حيث تَمَكُّنه من اللغة العربية ، وان له ولدا اسمه عمر ، وَقَعَ معه في الاسر ؛ وما عدا ذلك فان المعلومات التي يوردها عن نفسه تكاد تكون شبه معدومة .

---

(١٣) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدّم لها بها ناشر الرحلة

Stefan Wild "Al-Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلّة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٣) سنة ١٩٧٠ ، ص ١١٢ ـ ١٢٢ .

لسوء الحظ عند إعداد هذه الدراسة لم أتمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يوسف المحاسني (ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م) ، "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية"، المحفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ٤٣٢٩ .

(١٤) انظر النابلسي ، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) ، "التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية"، حققها وقدّم لها مريرت بوسة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٩ ، ص ٧٦ ، ص ٨٧ .

(١٥) نوفل ، عبد الله حبيب ، "تراجم علماء طرابلس وادبائها"، مطبعة الحكمة ، طرابلس ، ١٩٢٩ م ، ص ٣٥ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

ان هذه التعليقة المصنَّفة ضمن مجموعة Levinus Warner (١٦) ، (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥ م) ، قنصل هولندا في اسطنبول ، مسجَّلة في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١) Cod. Or. 944 (١٧) ، وهي تقع في اربع ورقات،ومجموع أسطُرها مائة واربعة وسبعون سطرا مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى الأرجح انها النسخة الأمّ،حيث لم أعثُر على اية اشارة اخرى عنها في بقية فهارس المخطوطات المنشورة،وعلى الغالب انها وصلت فارنر باسطنبول عن طريق حلب،بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر،وكان يشتري له المخطوطات العربية ويُزوِّده بها (١٨) ، او عن طريق فردريك اخي

---

(١٦) ليفنوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن،درس اللغات الشرقية فيها ، وسافر الى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م عُيِّن قنصلا لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب الى حين وفاته في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . واثناء اقامته الطويلة تلك تمكَّن من شراء عدد كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي اوصى بها قبل وفاته لمكتبة جامعة ليدن،لتكون بذلك النواة الاولى لمقتنيات تلك المكتبة من التراث الشرقي . حول حياته واقامته باسطنبول انظر مقالة

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University Library" in Levinus Warner and His Legacy, E. J. Brill, Leiden, 1970, pp. 1 - 31.

(١٧) انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن Voorheove, P.

Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands, in Bibliotheca Universitatis, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

(١٨) محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة الى بلدة العرض في سورية الشام من اعمال حلب ، من اسرة حلبية معروفة بالعلم ؛ ولي القضاء بحلب،وتولى افتاء الحنفية فيها لمدة سنتين ثم سافر الى اسطنبول حيث لم يستقر به الاقامة هناك،وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى افتاء الشافعية بعد وفاة أخيه . ونعثر على رسالة منه لفارنر،ونظرا لاهميتها فاننا نورد فحواها :

« حضرة بكسر مطارد وواحد الفرائد (نلاحظ انه يكرر مثل هذين التعبيرين حيث يورد له المحبي نصا يذكر فيه ... « حضرة شيخ الاسلام ودرة تاج الملك

فارنر، الذي كـــان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلـــب (١٩) ، ممّا يدلّ علـــى أن فارنر كان على اتصال بحلـــب ، على مستوى القنصل التجاري ، وكذلك على مستوى تُجّـــار المخطوطات التي تُشِف بشرائها .

تعليقة مصطفى بـــن جمال الدين بن كرامة حول أحـــداث سنة ١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ ١٦٠٦ م /١٦٠٧ م .

= ونص الختام بكـــر عطارد العلم وثاني الفرقد » ... خلاصـــة ، م ٤ ، ص ٦٢ ، ايلجي (السفير) بيك المكـــرم لا زال مدعي العلم لـــه مسلم ، نفاوض جانبه الترحاب (كـــذا النص) . هو ان الواصل اليكم من كتـــب المرحوم كاتب چلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) ستة كتـــب ، نزهة الخاطر للكاتبي،وهـــو كتاب جليل مشتمل على اشعار عربيـــة وفارسية،وثمنه اثنـــا عشر غروشا،والمجلد الاول من تذكرة ابـــن حمدون وثمنه ستة عشر غروشا،وشرح شواهـــد التلخيص (لبدر الدين الغـــزى) وثمنه اربعة غروش ونصف،وشرح مقامات الحريري ، المتوســـط الشروشي وثمنه ثلثمائـــة عثماني،وجزء من العقد لابن عبد ربـــه وثمنه غرش واحـــد،وشرح العبدونية وثمنـــه غرشان،فالمجموع خمســـة وثلاثون غرشا وثلثمائة عثماني،وايضا تاريخ البناكتي (محمـــد بن سليمان الاشعري (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) ، واحسن كتاب روضة اولي الالباب في التاريخ، وتاريخ ختاي،وتاريخ خسروان،ورسائل الخوارزمي، فوهدنا الدلالون بهمـــا،يكون معلوما لكم،والفتون ان شاء اللـــه تفصلها والسلام . من الفقير محمـــد العرضي ».ويضيف في حاشية على تلـــك الرسالة ما يلي : « ولا تؤاخذونا باخلاف الوعـــد بالمجيء اليكم يـــوم الاحد الماضي،فانه صار لنا مانع بسبل موانـــع.وتبلغ شوقنا الى المربـــوط في الدار بمقتضى تسميتكم نقولا والســـلام . وقد اشترينا نحن لانفسنا تاليفـــا لجدّنا ابن الحنبلي (رضي الديـــن) بمائتي عثماني فتفضلوا بها لنـــا والسلام وان شاء اللـــه عن قريب نائيكم » . من هـــذا النص نلحظ بوضوح مـــدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الاثنين . انظـــر النتاجي ، شهاب الدين احمـــد بن محمـــد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) ريحانة الألبّـــا وزهرة الحياة الدنيـــا ، ٢ م ، تحقيق عبـــد الفتاح محمـــد الحلو ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ م ، م ١ ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٨ . المحبـــي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٨٦ ـــ ١٠٣ ، البغدادي ، اسماعيل بن محمـــد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثـــار المصنفين ، م ٢ ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ ؛ انظر ايضـــا : اللوحة رقم ١٢ ، المنشورة صورة لها كملحق لكتـــاب Levinus Warner and His Legacy,

(١٩)

Dawes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in Levinus Warner and His Legacy P. 16.

رواية تتضمن ذكر أسرنا عند الكفّار والسبب الداعي للفرار وما آل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الاخيار آناء الليل واطراف النهار صلاة تمحو عن قائلها الاوزار .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله « ونعم الوكيل » (٢٠) . الحمد لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والهمهم الشكر فنالوا به اعظم مزية ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عنّا كلّ بليّة ، وتورثنا سعادة ابدية سرمدية ، واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله القائم بأعباء الرسالة وامر الرعية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنعوتين بمكارم الاخلاق والصفات البهية صلاة دائمة متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . اما بعد فيقول العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد الالف وقد حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف ، ورد امر من ذل الله في ارضه القائم بسنّته وفرضه المؤتمن على حقّه واليد المبسوطة على خلقه ، من احتباه الله لوراثة الرسالة وجعل طاعته فريقا بين الهدى والضلالة لا دنيا الا به ومعه ولا دين الا لمن والا (ه) وتبعه ، كافل الأمّة وراعيها وسايس الملّة وحاميها ، نظام الجملة وجلاء الغمة ورباط النعمة ، من عصى السلطان فقد اطاع الشيطان ، من شاوره حمد في يومه وغده ورعى من العيش في ارغده ومن نابذه صار في خسران وعانقه الخذلان ، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا ، ما تعاقب القمران (٢١) ، وتوالى الملوان (٢٢) ، واستقر في مكانه جبل لبنان .

---

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (١٧٣) .

(٢١) القمران : الشمس والقمر ؛ انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ ١٢١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، م ٥ ، ص ١١٣ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهار، وقيل طرفا النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٥ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢ .

بعد ان انهي لسدّته،لا زالت الايام طوع ارادته،أنّ علـي بن جانبلاط (٢٣) بـولاد بغى واستغنى فطغى وركـب اضاليل الهوى وابابيل المنـى وأحاديث النفوس الكواذب ووسـاوس الآمال الخوابث ، جال في تيهه وشقائه وسفاهة عقلـه وقلّة رايه،ودخل في ظلمـة المعصية وخرج من نـور الطاعة وركب المركب الذي لا بـد ان يترجل راكبه بل ينخذل فارسه ، مَـدَّ يدًا قصيرة ليتناول غايـة بعيدة ، أنسلّه عماه وزلّت بـه قدماه ، امتطى ظهـر الاغترار واداع دواعي البوار ، اوقـد نارا للحرب بدر منها بوادر الفتنـة وهززت على يـده شقاشق (٢٤) المحنة ، فلما

---

(٢٣) علـي بك ابن الامير احمـد ابن جانبلاط الكردي ، ابن اخي حسين باشـا جانبلاط ، انابه عمـه في حلب عند خروجه للقـاء الوزير السردار سنان باشـا جنال زادة، وعندما وصله نبـا قتل عمه بامر الوزير المذكور رفع راية العصيان في حلب، وكان جيشه المكـوّن من عناصر السكبان الهاربين مـن الخدمة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص . ومُنع الوالـي المعيَّن على حلب من الدخول اليها ، وسـار من حلب باتجاه الجنـوب حيث هزم العساكر العثمانية بقيادة يوسـف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) قـرب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وغنم اشياء كثيرة من معسكـر العساكر الشامية ؛ وبعد هـذا الانتصار استدعى فخر الدين الذي اجاب دعوتـه وانضم اليه في حركة العصيان،فارسـلا واحتلّ باشا يوسف باشـا سيفا باستثناء قلعـة طرابلس ، وخرّبا بعلبك وتوجها باتجاه دمشق حيث هزما عساكرها للمـرة الثانية في نواحي العراد،ومـن هناك اتجهـا عساكرهما لتهاجم دمشق من جهة المزة،وبـدأ افراد السكبانية والدروز ينهب الاحياء الخارجية لمدينـة دمشق ، ولم يرفع الحصار الا بعد ان دفعت لـه اهالي دمشق مائة وثلاثة وعشرين الـف غرش . وفي طريق عودته مَـرَّ على حصن الاكراد وجرت اتصالات لـه مع يوسف باشـا سيفا ، ادت الى عقـد مصاهرة ما بين ابن جانبلاط ويوسف باشـا سيفـا ، ومن هناك عـاد الى حلب فارسل السلطان لـه الوزير الثير مراد باشـا ، لأنّه (اي علـي بك) كان قد قارب ان يملك البـلاد بالاستقلال ، وفي القتال الذي نشب قـرب مرعش نجا علي بك جانبلاط براسه الـى مدينة حلب ومنها الى ملاطية،ومـن هناك قصد اسطنبول حيث عفـا عنه السلطان وولاّه سكرتيـة طمشوار ليُقتَل فيما بعـد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انظـر ترجمته في البوريني ، المصدر ذاتـه ، م ٢ ، ص ٢٧١ — ٢٩١ ، المحبـي ، المصدر ذاتـه ، م ٣ ، ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جمـع الشقشقة وهي « لهـاة البعير،ولا تكون الا للعربي من الابـل » « وقيل هو شـيء كالرئـة يخرجها البعير من فيـه اذا هاج » . ابـن منظور ، لسـان العرب ، م ١٠ ، ص ١٨٥ .

تقررت احواله لديـــه،لا زالت حمائم النصر ترفرف بين يديـــه ، عيّن عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسيـــة (٢٥) ، لا برحت مـــدا الايام من الاغيار محمية ، أمـــير الامرا الكرام كبـــير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بـــن سيفا (٢٦) ، أسعفه اللـــــه في أموره اسعافا وأدام اللـــه أيامه

---

(٢٥) المملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي • حول هـذه المملكة انظر ابـا عبد اللـه بن محمد المعروف بشيخ الربوة الدمشقي الانصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) ، نخبة الدهـر في عجائب البـر والبحر ، تحقيق أ . مهران ، بريل ، ليـدن ، ١٩٢٣ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ؛ كذلك احمـد بن علـي القلقشندي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الاعشى في صناعـة الانشا ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٩ • حول هـذه المملكة في اواخر العهد المملوكي راجع فرس الديـن خليل بن شاهين الظاهـري ، (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) ، زبدة كشف الممالك وبيـان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، بـاريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٣٣ . أمـا فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس فـي العصور الوسطى ،فتراجع المـادة المجموعة عند عمـر عبد السلام التدمري ، الحياة الثقافية في طرابلس الشـام خلال العصور الوسطى ، بـيروت ، ١٩٧٢ ، هذا بجانب المـادة المتوافرة في كتاب أخبار الاعيـان في جبل لبنـان ، ٢ م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) الذي حققه فـؤاد أفرام البستاني ، بـيروت ، ١٩٧٠ م ، م ١ ، ص ١١ . كذلك انظـر

FR. Buhl, "Tarabulus" E. I. vol. iv, P. 660

وترجمة المقالـة نفسها في دائرة المعارف الاسـلامية ، م ١٥ ، ص ١١٧ ــ ١٢٠ ؛ أمـا مصطلح « كافل » فهو مرادف لمصطلح « نائـب » وهو من القاب كبار النواب كنائب دمشق ، راجـع القلقشندي ، المصدر ذاتـه ، م ٤ ، ص ٤٥٣ .

(٢٦) يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) ، زعيم سُنّي مـن أصل تركماني او كردي ، كانت اسرتـه من القُوى المحلّية البارزة في منطقـة عكار ، واوكلت اليه ولايـة طرابلس الشام اكثر من مـرة ؛ عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضـد الجناح القيسي بقيـادة فخر الدين المعني ، ربطتـه علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاطيين . حول حياته انظـر : البوريني ، تراجم الاعيان من ابنـاء الزمان ، انظـر النص المنشور أدناه . المحبـي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٤٧ ــ ٤٩ ؛ ص ٥٠٣ ، الدويهي ، البطريرك اسطفان (ت ١٧٠٤ م) ، تاريخ الازمنـة ، نشرة الاب فردينان توتل اليسوعي ، المطبعـة الكاثوليكية ، ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ ، كذلك انظـر مقالـة

Salibi, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579 - 1640" Arabica, vol. XX (1973), PP. 25 - 52.

الزاهرة واعلا مقامـــه في الدنيا والآخـــرة . بولايته الرضية تنام وهم آمنـــون ويصحون (ا أ) بوجوده مسرورون ، نفوسهـــم في ظلال السكون وادعة ، وفي رياض الامـــن راتعة . فتوجّه امتثالا لأمـــره المطاع الواجب الاتباع نفذه اللـــه في سائر الاقطار والبقاع ليخرجه مـــن محروسة طرابلس وجمع العساكر وحـــثّ بالطلب ، هدى الى اجهاد النفس في المسالك ووقفهـــا على سبيل المراشـــد والمناجح (٢٧) : بين ثغر يُسَدّ ومعقد يُشَدّ وشتات يُجَمّـــع وخَرْق يُرقَع وذمام يؤكّد وعهـــد يؤيّد . فلما بارز في عاشر شهر ربيع خارج حمـــاة كاتب (ا) بن جان بـــولاد لبعض امراء العرب (على الهامش الاعراب) علـــى مبلغ فأركبه هواه ، هيهات ما اضلّ فِعْلَ ذلـــك الشقيّ من راي واسواه ، تَيَمّن الامانـــي الكاذبة وظن الظنون الخائبة ؛ فلمـــا تلاقى العسكران وتصادم الجيشـــان واسلفّ الخيل والرجـــل وامتلأ الحَزَن (٢٨) والسهل وبرقت الابصـــار بشعاع السيوف وسفرت رســـل الحتوف بين الصفوف ودار كأس المنون دهاقا وعاد لقـــا الفريق بالفريق عناقا ، وصـــار الفارس اقرب من مثالـــه والسيـــف ادنى للوريد من حبلـــه ففي ذلك المحل فـــرّ الشقي المرصود بالاموال وزيّن لـــه الشيطان فعله وحثّه بالاستعجال وصوّر لـــه الاماني الفاسدة والآمال ، فلما شاهـــد فراره العساكر صار راي كـــل لصاحبه مغاير وعاد (ت) السواعد غـــير مساعد (ة) والاعضاء غير معاضد (ة) . ولم يزل صاحب الدولـــة والسعادة ، بلّغه اللـــه الحسنى وزيادة ، ثابت الجنان لا تهولـــه (جاءت يهوله) صدمات الفرســـان ، وصار كلما حَرّض من العسكر جحفلا ، يُظهِـــر ضعفا وتجلجلا ، فعنـــد ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حمـــاة ولم يمكث معه الا الذي ربـــاه في حجاه ، فسار عند ذلك صاحب الدولة وقـــد ادخر سعيه ليوم لا ينفـــع الانسان قوّتـــه ولا حوله والسما تحسد الارض بوطيه لهـــا في سيره والنجوم تَوَدّ لاجل الثواب لـــو خرّت مع سنابك خيله ، ودخـــل محروسة طرابلس في

---

(٢٧) المناجح جـاء في اللسان : « وانجح الرجل ، صار ذا نجح فهـو منجح من قوم مناجح ومناجيح » ، لســـان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحَزَن : « مـــا غلظ من الارض في ارتفاع » ، لسان العرب ، م ١٣ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وانسرّ الناس بقدومه لأنّه عليه المعوّل .

واما ابن جان بولاد طاوع شيطانه اذ اضلّه وزلّ معه حين استزلّه أبى الّا امتداد عنانه في الانقياد لشيطانه ، واستنفاذ قواه في الاستسلام لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه واسرع لندائه وسوّل لهم الشيطان (ن) تسويلا واستغواهم تَغَرُّرا وتضليلا وحَبّب اليهم العناد حتى شيط بلحمهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء ظهورهم وصافح بينهم (ا ب) فغادرهم رهينا وقارنهم وسا (ء) فرينا، ولم يزل ياحسم في اسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون (٣٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

---

(٢٩) فخر الدين المعني (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٥ م) ، درزي المذهب ، كان زعيم الجناح القيسي في بلاد الشام ؛ بنى جيشا قويا من العناصر الهاربة من الخدمة التي كانت تعرف بالسكبانية ، استفاد من علاقاته باوروبا عن طريق الموارنة وشجع التجارة مع اوروبا فازدهرت موانىء لبنان، خاصة صيدا ، نشطت الزراعة في عهده، خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز ، حارب بني سيفا ، وبنى القلاع وشحنها بالجنود ؛ تم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع ، من اجل المزيد عن حياته انظر احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ، ١٩٦٩ ؛ المحبي ، خلاصة ، م ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ ؛ عيسى اسكندر المعلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٦ ؛ الاب بولس قرألي ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان : ادارته وسياسته ، ١٥٩٠ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٧ ؛ لنفس المؤلف ، لبنان والدولة العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني ، مطبعة مصر الجديدة ، ١٩٥٢ ؛ انظر ايضا محاضرة كمال الصليبي : « فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ، ابعاد القومية اللبنانية ، ص ٨٥ — ١١١، ولنفس المؤلف .

"Fakhr al-Dīn" E. I. , vol. ii, PP. 749 - 51.

(٣٠) الجون : يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافا الى عكار ، جون عكار ، وفي سنة ١٥٨٤ م ، نُهبت الخزنة المصرية التي كانت في طريقها الى اسطنبول في ذلك الموقع ، مما دعا الدولة العثمانية الى تجريد حملة على تلك المنطقة كان من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان، خاصة الزعامة المعنية . حول هذه الحادثة انظر ، الدويهي ، اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، الشدياق ، طانيوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، م ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ ؛ حول معنى كلمة جون ، انظر فريحة ، انيس ، اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ، جونية ، ١٩٥٦ م ، ص ٩٧ .

من الفتن مـــا ينشرون،لا عن الدما (ء) كفّوا ولا عـــن المظالم كفّوا ، يا الذئب بالقياس اليهـــم الا من الضالحين ولا الضحّـــاج في العراق منهم الا أول العادلين ولا فرعـــون في بني اسرائيل اذا قابلته بهـــم الا من المقربين ، مـــا تركوا للرعايا فضة الا فضّوهـــا ولا ذهبا الا ذهبوا بـــه ولا ضيعة الا اضاعوها ولا فرســـا الا افترسوه ، توالت مظالمهـــم وظلامهم واتّصلت غائمهـــم وغُمّهم ؛ عيّنوا درويش بن جان بولاد (٢١) مع شرذمة هي فراش النار وأوباش الامصار فتتابعت اليـــه كلاب الغارة الشموا (ء) وتعاوت لديـــه ذئاب الفتنة الصمّا (ء) . دخل طرابلس في اواخـــر شهر ربيع ، فالاعيان من اهلهـــا دخلوا السفن والبعض آوى (جاءت آوا) الى حصن منيـــع دخلها بمن لفّ لفّيته وصافح علـــى الضلال لكفته من أشياع الغواية واتبـــاع الغباوة اولئك الكلاب العاوية والعصبـــة الضالة الباغية،لا يقيمون لـــه وزنا ولا يمتثلون له اذنا وانمـــا صار لهم سُلّما الـــى الاموال المستهلكة والموارد المُرْدِيَـــة المهلكة . وفي صبيحة نهـــار السبت رابع عشرى ربيـــع سافر بعض المراكب فبكـــت لمصابهم الارض والكواكب قاصديـــن الجزيرة (٢٢) والناس تبكـــي بأدمع غزيرة،فلما اسفر نهار الاحد وكان يـــوم يشيب فيه لهوله الغـــراب والولد ، غلايين (٢٣) ،

---

(٢١) درويش بـــن جان بولاد : يُعرّفـــه البوريني بقوله،درويش بك ابن عـــم علي بك وانـــه أخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لـــم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها مملوك يوســـف باشا سيفا ، الذي كان يعرف ايضا باســـم يوسف ، أنظر النص المنشـــور ادنـــاه .

(٢٢) المقصود بالجزيرة هنـــا جزيرة قبرص ؛ أنظـــر نص البوريني المنشور ادنـــاه والملاحظات المدونـــة عنها في الهامش .

(٢٣) غلايين : جمع كلمـــة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الانجليزية و galeone الايطالية ، وهي سفينة أكبر مـــن galley كان يستخدمها الاسبان في التجـــارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالـــم الجديد . والجدير بالذكر ان الشيخ عبـــد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر مـــا يلي « وقد رأينا على حافة الميناـــ انواع المراكب والسفن،وقـــد ذكر لنا اسماءهم صديقنا الماجد شمس الدين الطرابلسي المذكور ... فاعلم أن انواع المراكـــب واسمائها كثيرة بلغت عشرين نوعا بعضهـــا يخالف بعضا في الصورة والهيئـــة واسماؤها متعددة كل اسم يطلق على مركـــب مخصوص لا يتناول المركب الاخر لكنه يطلق على الجميع المركـــب

النصارى علينا اقبلت ، فالعقول طارت والدموع فارت والاصوات قد علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة الكارثة ، يا لها من مصيبة لا يداوي كلومها آسٍ ، ولا يسدّ ثلمها تناس ، ففي لمحة ادركونا ، وضربونا بالكاحل الطيّارة فاهالونا وبشَرَر نارهم الهبونا واحاطوا بنا فاخذونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت ماتا) نفر وسبعة انفار رجال ونساء واطفال ، عبيد واحرار صاروا بأجمعهم في قبضة الحربيين الكفّار الاشقياء الفُجّار بين مقتول،نقل الله روحه الى دار السلام،واسير موثق بين ايدي الكَفَرة اللئام وجريح تَمَثَّل له الاجل فقال لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل القضا (ء) ونزل البلا (ء) وكُتِب الرضى والتسليم ونحن به آمنون لا حول ولا قوّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون » (٢٤) ، لا نسخط لقدر الله وهو عدل ولا نتنكر (٢ ا) لقضاء الله وهو فصل ومن عنده الفضل ، يولي ويبلي ويسلب ويعطي له الخلق وفعله الحق ، امر الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى وامضى ، علما بأن مقاديره لا تجرى الا على موجبات الحكمة وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

= والسفينة » . ويعدد عشرين نوعا : منها الغليون .انظر : التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ، ص ٧٠ — ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 229.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. iv, P. 21.

ونجد أن ابن اياس ، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) يستخدم هذا المصطلح فيقول في اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب من(الجزيرة) المركب الكبير الغليون الذي عمره واصرف عليه نحوا من عشرين الف دينار نزلوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسي وعلقوا في صواريه القناديل في الاشناط .. » بدائع الزهور في وقائع الدهور ، م ٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٧٦ ؛ انظر ايضا حبيب الزيات ؛ « معجم المراكب والسفن في الاسلام » المشرق ، مجلد ٤٣ (١٩٤٩ م) ، ص ٣٥٥ ، والجدير بالذكر أن الاستاذ انيس فريحة لم يذكره في معجمه ، معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٧ ، كما ان الدكتور البير مطلق لم يذكره في معجم الفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٢٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمرَّينا بذلك الأسر نكابد المشقات والقهر بقلب هلوع ، وروع مروع نبكي على ايامنا الماضيات ونحسد من تقدَّمنا من الاموات . ثم لما تجلَّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب وانشقت سحابة محنته وتجلّت غمرة كربته وطلعت نجوم ارادته وهطلت سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى السعة ومن الانزعاج الى الدعة ، القى (جاءت القا) الله سبحانه وتعالى الرافة في قلب ذلك العلج النصراني فامرني بالخروج الى محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب فدوى (عني) وهن ثلاثة وعشرين نسمة ضممتهم الي من الاهالي : نساء واطفال اربعة آلاف وثمانمائة ذهبا عال ، فعاهدته على ذلك واسرعت بالذهاب من غير تكاسل ولا اهمال مستجيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه خير صحب وآل مستشفعا مستغيثا متوسلا به في البكور والآصال ، فاعطف الله الكبير المتعال على هذا النصيف فاوب مراة ذي اموال ، اعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى مضيّ شهرين،فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الثمن ثم قالوا نحن سخينا بمالنا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من بخانياك ؛ فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقلت هذه المداينة لا اعدها الا بانها عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وانشا (ء) الله قبل تمام المدة نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود بالتمام والكمال واقبضتها للحربيين فأخرجوا في الحين جميع العيال . فلما شاهدتُ الولد الأعزّ عمر لطف الله به وبفضله له عمر تهللت بني وجوه الانس وكانت قبل عابسة واورقت (جاءت واورق) غصون من الفرج بعد أن كانت يابسة . ثم في اوائل شهر جمادي الاول دخلنا محروسة بيروت اقمنا برهة من الزمان . وفي غُرّة شهر شعبان من السنة المزبور (٥) جئنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح وانشر نوره واومض برق الفلاح ولمعت تباشيره فوجدنا صاحب الدولة والسعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والاخرى ما يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكمها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاة اهل العناد واطلع فيها كواكب السداد . فكانما بُدِّلت من الظلمة نورا ، واعقبت من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مدينه المتعجل الى انقطاع مدته . بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على اهالي حلب ضرايب ضربت الاموال بالتمحيق والبضائع بالتمزيق.تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه ، وتنهّبت ببدرات (٢٥) غشمه فالمحارم مهتوكة والدما (ء) مسفوكة ولسان الحال يقول.قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة ، ثم يأتي من الانتقام والاصطلام ، ما يسقط الهام على الاقدام ، اما علم ان العزيمة من أمير المؤمنين تنزل امثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! اما علم انه اذا رماه بشعبة من افكاره ومسّه بجذوة من ناره عاد حرصه ندما وصار وجوده عدما ! وغُودِرُ اشياعه بددا بل طرائق قددا ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بني آدم مراد باشا (٢٦) ادام الله اجلاله وبلّغه من خيرَي الدنيا والاخرى آماله،فسار اليه باسعد الطوالع والفواتح وايمن المحامد والمناجح فخيلت لركوبه الارض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرا

---

(٢٥) البدرة : هي « جلد السخلة اذا فطم ويقال ثلاث بدرات » واستخدم بمعنى كيس فيه الف او عشرة آلاف ، لسان العرب ، م ٤ ، ص ٤٩ .

(٢٦) مراد باشا « صاحب الحروب مع المجر والعجم والجلالية » ، عُيّن حاكما لليمن سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، واعطي بعد ذلك حكومة قرمان ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس،ولي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م سوقا عرف باسمه ، عقد صلح سلمي ثروك سنة ١٦٠٦ م ، مع النمسا ، عُيّن بعد ذلك سردارا على الشرق لاخضاع الحركة الجلالية وحركة علي بيك ابن جانبلاط ، كانت وفاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر ، ورقة ٤٤ ب ـ ٤٥ أ . المحبي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨ ، ابن جمعة المقسار ، ولاة دمشق ، ص ٢٣ ، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨١ . صلاح الدين المنجد « خطط دمشق » مجلة الشرق ، م ٤٢ ، (١٩٤٨) ، ص ٦٢ ـ ٦٤ .

عليه والنصر يتراءى من ذائب أعلامه وبنوده وعناية الله ممدة على مواكبه وجنوده.ولم يزل سائرا والسعود تواكبه ولطائف (جامع الطايف) الله تصاحبه حتى قرب من مدينة حلب،فخرج علي بن جان بولاد قاصدا له بالطلب يحضره الى مصرعه الاغاليل ويعجله الى ملكه الاباطيل ، حدتهم (أ) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الآجال ، وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والآمال،ساروا وآجالهم تفصح في مطامعهم ومناياهم تحثّ خطاهم الى مصارعهم . نقلهم الله بأقدارهم الى مصارع حمامهم (٣ أ) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة دارت على أعدا (ء) الله به الدائرة من شهور سنة ست عشرة بعد الالف . وما احلّ الله بهم من الانتقام ما شبّ عن طوق الوصف وعلت ريح الاقبال « لحزب الله » (٣٧) ، وذرت ريح الادبار على أعدا « حزب الله » متعهدون بالمنايح الزهر واعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقسوة بأس مترصدون بالمنايا الحمر ، فاز « حزب الله » بأجر المجاهدين واعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقسوة بأس وثبات مقام ، وصدق انتقام ، واعدا (ء) الله انقلبت مواكبها وتضعضعت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف اليهم زحفا ، ملأت قلوبهم رجفا وهي تخفق بالنجح ، والطبول تنطق بالفتح ، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعتريها ولا رجوف ، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمن والنجاح ، وميامر اقتضت اليسر والفلاح ، وصار هو وقواده قلبا قالبا لمن قابله وناكسا لمن واجهه.فحين ترآى الجمعان وافضى الامر الى قرب العيان والتهبت جمرة الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع وقرع النبع بالنبع (٣٨) وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناحر المناخر فعند ذلك صمتت الالسنة وخطبت السيوف

---

(٣٧) « حزب الله » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٣٨) النبع : من اشجار الجبال تصنع منها القسيّ ، لسان العرب ، م ٨ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

على المنابر واستمخرت (٣٩) سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعدا (ء) اقصى المبالغ ووطئوهم وطاء القاع الدافع زحموا الاعدا (ء) من جوانبهم وتمكنوا من نقض مواكبهم فضاق بهم المجال وتحكّمت بهم الآجال فلم تَرَ (جاءت نسرا) الا رؤوسا تندر ودما تهدر واعضا (ء) تتطاير واجساما تتزايل، اوسعهم ضربا وشقّا وطعنا ورشقا وجرحا وزرقا؛ وطئوهم بسنابك الخيل وتركوهم كجفا (ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب) فاسلموهم لعوادي بتار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار جزائه واسير قد اوثقه ما ارتكب من سوء رايه ، وابن جان بولاد نكص على عقبه وقد كادت صروف الايام تفترسه وبانيابها تنتهشه،لم ينج الا بشرذمة لاذت بذمّة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب،اطار الرعب قلوبهم وسكن الخوف لبهم ، خرجوا من تحت طي السيوف وقد شارفتهم ، وشبا (٤٠) الحتوف وقد شافهتهم ، ولم يزل دائرا في البلاد ايجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل معاضد،فانحاز عند ذلك قرب الموت لما راى من ضيق العيش وبعد الاوطان وقهر الجيش،ودخل على بعض البغاة فاراد (جاءت فارد) بعضهم أن يوثقه ويجعله اسيرا وبعضهم ظاهره وكان في خلاصه نصيرا.فانهزم وقصد الاعتاب العليّة والسدّة العالية السنيّة في سابع عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الالف من هجرة سيد ولد عدنان يلتمس العفو ، وَرَمَقُه على تَلَف وشفاهته على شرف، فاُخِّر لأجَل مضروب وانسيء لأمل مكتوب .

واما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم يَمَسَّهم جراح ولا عضّهم سلاح،غنموا اموالهم التي لم يؤدوا منها حقا معاوما ولم يغنوا منها سائلا ولا محروما ، ودخل الصدر الاعظم مدينة حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به

---

(٣٩) من مخر : استمخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٤٠) شبا : الشباة طرف السيف وحَدُّه،وجمعها شبا ، لسان العرب ، م ١٤ ، ص ٤٢٠ .

السنةُ الشكر ومنحت لـه ابواب البشر ، والممالك ملأى (جاءت ملىء) تهاني وبشارات والأوليا شورى بين افراح ومسرات ، وسلمت قلعة حلب الشهبا بعد دخوله بثلاثة ايام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم سطوته (جاءت حطوته) ، منحة من الكبير المتعال ، عُرفهم عزّة وتحكّمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة الامان فاعطاهم ، فنزلوا على اسوا الاحوال ، هناه الله بالطوالع السعيدة عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت له الطوائف وآمن به الخائف . كان حلوله بمركز غرة الديمة الوطفا عن السنة الشهبا والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر ، انحسرت الغمّة بتلألؤ جبينه ودرت النعمة بأخلاق يمينه فاصبح العدل ممدود الرواق والسلطان نصره الله ساطع الاشراق ، محروسا بعين عناية الملك الخلاق الواضع قدمه على ناصية الشمس ، الساحق بشبائه انوار البدر ، الضارب برواقه من فوق النجم المبسوط بين المغربين شعاعه المعود على الخافقين شراعه ؛ فالله يديم له الفتح يمينا ويسارا ويزيد اعداه ذلاً وخسارا ويجعل اعداه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر وصروفه .

ترجمة يوسف باشا سيفا للشيخ حسن بن محمد البوريني [٤١]

« الامير يوسف بن سيفا واخوه الامير علي ، قد انشق (١٤٩ ظ) مسيرنا الى طرابلس الشام فنهضت اليها من دمشق في شوال سنة ثمان والف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها الف الف تحية ، ومررنا

---

(٤١) الشيخ حسن بن محمد البوريني (٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م — ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، مؤرخ من اصل نابلسي عاصر احداث سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م ، حول حياته وثقافته ومنزلته العلمية ومؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي اوردها انيس صلاح الدين المنجّد في تقديمه للمجلد الاول من تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٥ — ٢٦ . النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، نسخة ثمينة ، رقم

Ost Arab, 1190, Mixt. 346

وهذا النص يقع في خمس صفحات ونصف في كل صفحة تسعة وثلاثون سطرا .

على مدينة عكـــار (٤٢) فاجتمعنا بالاميرين المذكورين وكان الامير علـــي لـــه تعلق باهداب الآداب ، وتوثق من معرفته باوثق الاسبـــاب ؛ ولعمري لقد شاهدت دولـــة سيفية وشهدت بسعادة يوسفيـــة وعاينت مجدا عاليا وجـــودا وافيا يشمل البعيـــد والقريب . وكانت بهما عكـــار صافية ، ووعود الزمان بالمراد لمـــن قصدها وافية ، فاشتهرت بعـــد الخمول وقُصِدَت حتى صارت محـــطّ الحمول ؛ ولعمري ان الدولـــة السيفية كانت وريفة الظلال باسمـــة الثغور عن عقـــود الاقبال . وقد مدحتُ صاحبي انشاء الدولـــة المذكورة ، الامير يوســـف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميميـــة ومدحت اخاه عليًّا باخرى رائية ، وانصرفتُ من عكار الى طرابلس الشـــام وطرفي لبرق اقبـــال هاتيك الديار قد شـــام ، ورأيت في الطريق بقايـــا حصن يقال له عِرْقا (٤٣) وقـــد عرقه الدهر الجائر بمديـــة جوره عُرْقا ، وشاهدتُ تحامل الزمـــان على نواحيه وتشتيته لجموع ساكنيـــه واهليه مع انـــه من الحصون القديمة التي

---

(٤٢) النصوص المتوافرة بين أيدينا لا تشير الى مدينة تعرف بعكار بل تشير الى حصن عكار . فيقول عماد الدين اسماعيل ابـو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، : « وعكـار حصن في الجبل المذكور (جبل عكـار) » . امـا القلقشندي فيذكر ما يلي : « وهي قلعـة على مرحلة من طرابلس في جهـة الشرق بوسط جبل لبنـان في واد ، والجبل محيط بهـا وشرب اهلها من عين تجري اليهـا من ذيل لبنان المذكور ولها ربض ليس بالكبـير » . وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشـام في العهد المملوكي ونيابتها امرة عشرة ونائبهـا يخاطب « النائب بحصن عكار » انظـر ، تقويم البلدان ، حققه م . رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، المطبعـة الملكية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في صناعة الانشـا ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ص ١٤٤ ، ص ٢٢٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ، يورد المؤلـف هنا نص كتاب تقليد لاحـد النواب .

(٤٣) يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عِرْقَة ، بقولـه : « عرقة بكسر اولـه وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهمـا اربعة فراسخ وهي اخـر عمل دمشق وهي في سفـح جبل بينهما وبين البحر نحو ميـل وعلى جبلها قلعة لها » ويذكرها ابـو الفداء بقوله : « هي بلدة صغيرة ذات قلعـة صغيرة ولها بساتين ونهـر صغير ... » ، انظر معجـم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فردناند وستنفلد ليبزج ، ١٨٦٨ ، م ٣ ، ص ٦٥٣ — ٦٥٤ ، تقويـم البلدان ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

محت رسومه كل ديمة مستديمة . فلما دخلتُ طرابلس عجبتُ من محاسنها ورأيتُ عجايب البحر بالقرب من مساكنها ودخلتُ اليها مساء ليلة الاحد من اواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة ثمان بعد الالف من هجرة خير الانام عليه من الله السلاة والسلام . ونزلتُ في منزل وكيل الامير علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بطي ابن المقدم،وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده باشارة استاذه المذكور بل بامره الذي يطيعه كل مأمور ، فاكرمنا اكراما وواصل الينا انعاما وحبانا الطافا ومَنَّ علينا إسعادا وإسعافا ، وحضر الينا علماء طرابلس مسلّمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين . وقد صدر أن الامير يوسف بن سيفا حاكم مدينة طرابلس مذهب هذه الترجمة ارسل في اواسط سنة خمسة عشر بعد الالف الى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكما سلطانيا منشورا خاقانيا ، بأن يكون راس العساكر الشاميّة وامير الامرا في هاتيك الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الامير احمد بن جان بلاد الفارج بحلب الشهبا الذي تباعد عن الطاعة وابى ؛ فاجيب الى ذلك ، وتلقّى السلطان ايده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وارسل اليه الحكم المطاع الواجب الاتباع بأن يكون راسا على جميع العساكر ورئيسا لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللّجُّون وعجلون والكرك الى حدود طرابلس وجبلة واللاذقية وحمص وحماة وما هنالك من الاكراد والترك والعرب،وان يسعى على ازالة حكمه من ما[illegible] ونواحيها وأن يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من فوانيها الى خوانيها . فلما جاء الامر المذكور وتَقَدَّر عنده الحكم المشكور ارسل الى حكام العباد وراسل الامرا في سايير البلاد فاجتمعوا في حماة وجعلها موطنه وحِماه،وذهب هو ايضا اليها ونصب سرادقه عليها. ونهض علي بيك من حلب الى هناك وتقابلا وتقاتلوا وتجاولا ، ذلك مع السكبانية الباغين وابنُ سيفا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين ، فقدَّر الله تعالى ان الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان، وخرج سيف ابن سيفا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج،

وقد قبل قسم الخروج قبل الولوج ، ففر الى الشـــام وما عرجوا على الخيام ، فيالهـــا (١٥٠ أ) من كسرة ما وجدوا بعدهـــا نصره ؛ فلما دخل علـــي بيك الى مخيم الشاميين وابن سيفـــا وراى هناك سعادة وسلاحا ورماحا وسيفا، قوي مزاجه وعـــزّ مع الغير امتزاجه، فارسل الـــى ابن معن فخـــر الدين يطلبه للاقبال اليه بعـــد انكسار الشاميين. فاقبل اليه وورد عليه وكـــان اجتماعهما عند منبع العاصي، وكـــان ذلك رسما لاجتماع العساة من الدانـــي والقاصي ، فاتفق رايهما ان يرســـلا الى طرابلس عسكر (ا) ياخذها من يـــد ابن سيفا واتباعه ؛ فعيّنا لذلك درويش بيك ابن عم علـــي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابـــن سيفا بعد اجتماعه ، فبادر ابن سيفا الى الهرب من شـــدة الخوف والرهب الى ركـــوب السفينة بنفس لفراق وطنـــه حزينة وابقى قلعـــة طرابلس حصينة بجيوش في ضمنها كمينة وجعل راسهـــم مملوكه يوسف ، ودعا لـــه بالحماية من موجبات التاهُّف والتاسُّف، واتخـــذ سبيله في البحر سربـــا وقضى الناس من فراقه لاوطانه عجبـــا ، واخذ معه امواله الكثيرة وصحب محاسن امتعته العزيزة وســـار معه غالب اهـــل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفـــن في البحر متبددة فأ (ما) سفينتـــه التي سار فيها فقد جرّتها الريح الـــى قبرص (٤٤) ونواحيها، ودخل الـــى بعض مداين الجزيرة المذكورة ولم يجد ما رامـــه عندما قدم عبوره فطـــار في السفينة بجنحة الشراع واقلع عـــن ذلك الساحل بقوادم القلاع وســـار الى الجانـــب القبلي ماججا ولم يلـــو على طرابلس معرجا حتى خـــرج من ساحل حيفـــا (٤٥) من توابع اللجون (جاءت الجون) ولـــم يسمع نصيحة

---

(٤٤) حـــول تاريخ جزيرة قبرص في العهـــد العثماني انظـــر :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, PP. 1 - 99.

وبالعربيـــة : Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76.

(٤٥) حول النصـــوص الجغرافية التي تذكر حيفـــا انظر ما جمعه الاب مرمرجي الدومنيكي في بداية فلسطـــين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . في سنـــة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م كان عدد سكان حيفـــا عشرين خانة جميعهم من المسلمـــين وربع حاصلاتها المدفـــوع

اخوانه الذين في نصحه يُلجّون. واما السفينة التي حملت الغنيمة المصونة واحتملت درره المكنونة فانها صارت للنصارى غُنْما ولهم بذهابها خسرانا وغرما، وكاد (جاعت وكان) يقتل وكيلها الذي اقامه عليها وجعله ناظرا وحافظا لديها ؛ والذاهب لا يعود والطوالع لا متمخّضة للسعود. واما مَن سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة الامير ابن سيفا فانهم وُجَدوا بالأُسر حَيْفًا وليتهم لو تبعوه حتى ماتوا معه ، فاخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم اسارى، فكم عزيزة صارت في ايديهم ذليلة ومن مصونة اصبحت في قبضتهم بعد الستة مبتذلة، وكم من عزيز في ايديهم قد ذَلّ ومن عظيم قد احتُقر بعد ما جَلّ ؛ ولعمري انها كانت لفضيحة قبيحة ومصيبة اصابت لعدم قبول النصيحة . ثم ان الطاغية الذي أسر نساء اهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس

= للدولة كان يساوي ٤٧٨١ اقجة . كما يشار الى وجود اسكلة (ميناء) فيها تتقاضى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مقدارها الف اقجة سنويا ؛ والجدير بالذكر ان البحار العثماني بيري محي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥ م) يشير في وصفه لساحل فلسطين الى وجود قلعة مدمرة في حيفا الا ان ميناءها كان يصلح للرسو ، وبموجب احصاءات سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، كان عدد سكان حيفا ٣٢ خانة جميعهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة الاف اقجة . الا ان هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسكلة مما قد يوحي بانها كانت مستثناة كميناء . انظر طابو دفتري رقم ١٩٢ (اسطنبول) ، ص ٢ ؛ طابو دفتري رقم ١٨١ (انقرة) ، ص ١٩ — ٢٠ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteen Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

انظر ايضا : "Hayfa", E. I² . vol. iii, PP. 324 - 26.

راجع بالاضافة الى ما ذكر اعلاه جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المكتبة الوطنية ، حيفا ١٩٢٢ م .

من اجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصرة في القرن السادس عشر انظر مثلا : Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers", in Studies in Classical and ottoman Islam Variorum Reprint, London, 1976, PP. 416 - 446.

كاسبا للآثام ، وشرع يبيع النســـا لرجالها ، وينادي لكـــل فرقة وعيالها ، فبلـــغ الناس في النســـا مبلغا عظيما وثمنـــا جسيما لكنّ مع الفضيحة الكاملة والحسرة الشاملـــة التي احرقت القلوب وعظّمت الكروب ، وكـــان الرجل ينظر زوجتـــه مأسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنـــادي ينادي في كل نادي، فمنهم مـــن يقدر على الفكاك ومنهم من يسقـــى من الإشراك في الأشراك، ومنهم مـــن يَفُكّ نفسه دون اهلـــه فيذهب عنها وقد فقد نور عقله، فكم من بِكْـــرٍ جميلة الصورة اصبحت في يـــد المشركين وهي مأسورة ، وكـــم من غلام يفوق البدر عند التمام ، وقـــد ناح عليه ابواه عند الفراق وذاب منهما الجســـم بشديد الاحتراق، وذلك من اعظـــم المصايب واشدّ النوايب . وامـــــا ابن سيفا فانه خرج من البحـــر ضيفا عند الامـــير احمـــد (٤٦) ابن المرحوم الامير طرباي ابن الامير علـــي الحارثي، وهو الآن أمير لـــواء اللجون (٤٧) فقام اليـــه مكرّما ولنزوله معظّما واظهر لـــه ما يليق بأمثاله من اكارم الأُمرا وأُمرا الاكارم ، وابرز لـــه ما يساوي

---

(٤٦) حول حياة الشيخ احمـــد بن طرباي الحارثي ، (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، امـــير لـــواء اللجون ودور اسرته في تاريـــخ سنجق اللجون بشمالي فلسطـــين منذ اواخر العهد المملوكي، انظر المحبـــي ، خلاصة الاثـــر ، م ١ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ . كذلك مقالـــة موشي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة الحارثية في مرج بنـــي عامر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م — ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م . المقدمـــة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عـــين شمس ، القاهرة ، ٧ — ١٢ ايـــار ١٩٧٧ ، (تحـــت الطبـــع) .

(٤٧) حول لـــواء اللجون انظر دراستي المشار اليهـــا سابقا خاصة هامش رقـــم ٢ ، ص ٢٥ . ولقد كـــان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : ثفا ، ساحل عتليت ، ناحية شعرا وناحية جنـــين ، لمزيـــد من التفاصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الزاخرة من المكارم ؛ والحال ان ابن سيفا طلع الى الامير المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ ب) غير ان معه من الاموال مالا يدخل تحت الاحصا ولا يشمله الاستقصا ، وارسل علي بيك ابن جان بُلاد الى الأمير احمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه،انك يا امير احمد أجتهد في قتل ابن سيفا وجَرِّد في قتله وقتاله رمحا وسيفا ولك المال بأسره وتحوز لنا الراس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعتاب او بغاية التعزير والعقاب . فأجاب بأن هذه كلمة لا تقال،ومن وقع في مثل هذا فعثرته لا تُقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شان الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيفي وينالـه رمحي وسيفي ؟ ثم انه بادر الى اهداء الخيول المسوّمة (٤٨) وتقديم الضيافات المنزلة وقال له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لقدّمته اليك ووضعته بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يتطاولها جواد ولا في التمثيل،وفيها جواد جيد قوي ايد جموح أبيّ ما علا ظهره أحد بعد أبي ، وهو لك مني عطية راضية مُرضيّة ليس فيها منّة عليك بل هي نعمة منك اليك ؛ ثم انه اضافه اياما عديدة وقدّمه مقدّمة سعيدة واكرم مثواه واجلّ مشاهُ ؛ ثم انه ارسل الى عسكر التركمان يطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

---

(٤٨) يلاحظ انه عند عودة الامير فخر الدين المعني من ايطاليا،بفسحاء على مراقبة السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر عكا ، ان الامير احمد الحارثي « أرسل كخداة بتقدمة الخيل ايضا التي ترتضيها الفرواه ». راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، ص ٦٩ .

طريق حوران (٤٩) ولم يسر على جُبّ يوسف (٥٠) وأرض كنعان (٥١) خوفا من الامير فخر الدين ابن معن فانه عدوّه وعند (٥) أصحاب الضرب والطعن ، فلما دخل الى أرض الشام وجد اهلها في

---

(٤٩) في أواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن سنجق دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة ، ناحية الجولان الغربي ، ناحية الجولان الشرقي ، ناحية الكفارات ، ناحية بني كانة ، ناحية بني جهمة ، ناحية بني عاتكة ، ناحية بني الاعسر ، ناحية جيدور ، ناحية بني كلاب ، ناحية بني مالك الصدير ، ناحية بني مالك الاشراف ، ناحية البطنية ، ناحية بني عبد الله ، ناحية بني صرما ، ناحية بني مقلد وناحية بني نشبة،وليست نشبة كما جاءت عند Hutteroth انظر :

Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

والملاحظ أن الاستاذ هوتروث يضيف ناحية اخرى هي ناحية بني عطية ، انظر هوتروث ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من نابلس ؛ فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه عنه الاب مرمرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٥١) أرض كنعان (الارض المنخفضة او الغور) ، كانت في البداية تُطلَق على بلاد الساحل ثم اتّسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية باكملها . الا ان مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الارجح يقتصر على الشمال الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر ابو الفداء واديًا يُعْرَف بوادي كنعان فيه ضيعة تعرف باسم كفرلا تبعد عن جب يوسف اثني عشر ميلا وانها بالقرب من بانياس . كما أن الشيخ صدر الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي العثماني (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٦ م) يذكر صفد بقوله « اما صفد نفسها فحصن بذروة جبل كنعان » راجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢١١ — ٢١٢ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, vol. xv, (1953), P. 479.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد ، انظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land, New York 1907, PP. 4 - 5.

كذلك الخارطة رقم (٣) المرفقة بكتاب :

Yeivin, Sh., The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historishch — Archaelogisch Institute, Istanbul, 1971.

الخيام وهم في انتظار العساكر القادمة من الأطراف لتحصيل الإسعاف منهم والاسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الاخلاط كابن محسن ويونس (٥٢) ابن الحرفوش،وكلّ من باطنه خاين مشوش ؛ فانهم لما كسروا جيوش ابن سيفا على حماه حرس كلّ منهم بيت المخرور وحماه،وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، واقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الاخلاط الى ان اصبحت قاعا صفصفا وما عفا عن اهلها ، فيا هي من ظلمه عفا ، لا سيّما بيوت توابع ابن سيفا فانه قد اورثهم حيفا،اللهم الا قلعة طرابلس المحمية فانها نجت من حوادث البليّة،وما ذاك الا ان يوسف مملوك ابن سيفا حماها وحصّن ربعها وموطنها وحماها ، وكان يلقي من باطن القلعة المذكورة نيرانا محرقة يخرب بها بيوت اكابر طرابلس،لا سيما بيوت التابعين لابن سيفا . ولما وصل درويش ابن حبيب الى طرابلس الشام واوصل الى اهلها ما قدر عليه من التعدي والآلام ذهب علي بيك ابن عمه وابن معن الى نواحي بعلبك فاحرقوا ربضها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها،ولما عزّوا راحلين الى ان استقرّوا في البقاع وانزلوها في الحضيض بعد العلياء. ولنذكر في اثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية الغرابة،وهي ان الامير موسى ابن الحرفوش امير الامراء ودار الاماجد الكبرا فخر بني حرفوش بالاتفاق؛ بل هو فخر امراء الشام على الاطلاق،كريم لا يبارى الغمام وعهد صادق العقدة في غاية الابرام وشجاعة فاقت على الاسود واصالت على كل ذي اصل يسود ، نهض من بعلبك وهو حاكمها الى نواحي حمص مستقبلا لابن جان بلاط وجيوشه ، مدارأة

---

(٥٢) جاءت في النص يوسف بن الحرفوش،والأصحّ كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي اصبح « امين بلاد بعلبك » بدل عمه الامير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنّية،وتدخّل للصلح ما بين علي بن جانبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفا من جهة اخرى،الا انه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفا ؛ انظر البوريني ، تراجم الاعيان ، م ٢ ، ص ١٧٥ ، ايضا ورقة ١٤٨ ب ، ١٤٩ ا ، المحبي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

عن عرضه ومحامـــاةً عن أرضه،فتحادثا وتقـــاولا وتشاورا فيما صدر وتجاولا،فقال الامـــير موسى هلّا تعطيني عهدا على الصلح بـــه جرح الخراب يوسى ، وانـــا اذهب الى الشام وآخـــذ لك العهد الوثيق من الانام!فقال اذهب سليمـــا وكن يا موسى كليما ؛ فحضر الى الشـــام ورمى من عسكرها بغايـــة الكِلام لشدّة مـــا اوجعوه بغيظ الكَلام ظنًّا من جهلائهم انـــه عليهم،وما كان الاّ ناويا ســـوق الخير اليهم ، (١٥١ ا) فلما حضر الى امـــير الامرا قال له بما قد جيئت على قدر يـــا موسى فجرِّدْ سيف عزمـــك لعلّه يُذهِب البوسى،فقال يـــا امير الامرا : ابن جان بـــلاط يطلب منك ان تعطـــوا حوران لعمرو (٥٣) البدوي مـــن العرب المفارجة،والبقاع العزيـــزي لابن الفريخ (٥٤) منصور بـــن بكري،وأدخلوا

---

(٥٣) عمـــرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارجة ، حليف فخـــر الدين المعني ؛ كان رشيد بـــن سلامة بن نعيم شيخ السرديين مـــن المفارجة ينافســه على المشيخة في حوران،وكان رشيـــد موضع عطف الدولة العثمانية ، حيث أعطي سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، المشيخـــة بحوران ، حول دورهما في معركة الصراع القيسي ـــ اليمني ، انظر البوريني ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٢٤ ـــ ٢٢٥ ، ص ٢٣٢ ـــ ٢٣٣ ، انظـــر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليـــدن باسم : كراستان نُقِلتـــا من خـــط الشيخ حسن البوريني Cod. or. 1515 ورقة ٤ ا ، حيث ان هـــذا النص يتفق مع النص الـــذي نشره صلاح الدين المنجّـــد في هامش ص ٢٢٥ من المجلـــد الثاني ، راجع ايضا الشيخ احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ص ١١ ، ص ١٣ .

(٥٤) الامير منصور بـــن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م) قُتِـــل في دمشق بامر من الســـلطان بنـــاء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا ، ولقد كـــان امير البقاع العزيزي بعد القضاء علـــى اسرة آل الحنش البدوية السنية اعطي حكومة نابلس وامارة الحـــاج والتزم اموالا للدولة على صفـــد ، كان يقف ضد الدروز والمعنيين خاصة : ترك عشرة أولاد اكبرهـــم قرقماس الذي قُتِل على يـــد الامير موسى بن الحرفوش في ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ، بايعاز من فخـــر الدين المعني بعد أن رفض الامـــير يوسف باشا سيفا ابواءه . مـــن هنا نرى ان منصور بـــن الفريخ قد قُتِل قبل هذه الحوادث . ولربما اختلـــط الامر على الناسخ فخلط ما بين اسم ابـــن الفريخ واسم الامير فروخ بن عبد اللـــه الجركسي امير الحاج الذي تولّى حكومـــة نابلس وعجلون والكرك سنـــة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وامارة الحاج ، ولـــم يزل في هذا المنصب الى أن مـــات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين والف

كيوان (٥٥) الى الشـــام كما كان ، واكتبوا عرضا بـــأن ابن جان بلاط لم يدخل الى ارض الشـــام ، وان ابن معن فخر الديـــن يؤدي ما عليه من مـــال السلطان،وبلاده موصوفة بالامان ؛ فعقد امير الامرا ديوانا لهذه المطالب ، التي جـــاء الامير موسى وهو لها طالب ، فاتفقوا على ان حوران تعطى لعمـــرو ولكنْ في السنة القابلة،وأمـــا البقاع فان اعطاءه لمنصور المذكور غـــير معقول ، لكونه عند الرعايا غـــير مقبول ، وأما كيوان فانه يرجع الـــى الاوطان وعليه ما علـــى الناس من الامان ، واليمين من جانبنا لازمـــة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (ا) فـــي الديوان بدعوة من وكيـــل السلطان،فقال امير الامرا وهـــو الوكيل للفقير العليل : اكتب لنـــا صورة مكتوب الى ابن جـــان بلاط واخبره بما جرى عليه الاتفاق مـــن قبول دخول كيوان والعفو عنـــه وعن ذنوبه،ومن وعده باعطـــا (جاعت بااعطا) حوران ، لعمرو في السنـــة القابلة،ومن الاعتذار من عـــدم اعطا البقاع لمنصور بـــن الفريخ ابن بكري.وأخبِرْه بأن المحضر سيصل اليـــه بما طلب في حقّه وفي حـــقّ ابن معن . فلما انفض الديوان علـــى ذلك وقع الاتفاق على ان يحضروا في اليـــوم الثاني الى بيـــت رجل من الجند الشامي يقال لـــه تركمان (٥٦) حسن فاجتمع

= (١٦٢٠ م) ، انظر احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٧ ، ص ٣٥ ، الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٢١٢ ب ـــ ٢١٣ أ ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٣ ، ص ٢٧١ ، م ٤ ، ص ٤٢٦ ـــ ٤٣٢ .

(٥٥) كيوان بن عبد اللـــه (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) ، زعيم الجنـــاح العسكري بدمشق المتماون مع فخـــر الدين المعني ، كانت نهايته على يـــد فخر الدين نفسه ، حول دوره في معركة الصراع ما بـــين العسكر في دمشـــق واستغلال العسكر للصراع القيســـي ـــ اليمني في صراعهم ذاك ، انظر الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٤٢ ب ـــ ٤٤ أ ، ب ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٦٦ ـــ ٣٠٢ .

(٥٦) تركمان حسن المقصود بـــه حسن باشا ابن عبد اللـــه الامين الكبير المعروف بشريزة حسن مـــن صدور دمشق واعيانها الذي كـــان يرجع اليه في المهمّـــات ويعول عليه في الامور،وكانت تناط به أمور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٧م. احتلّ ابنه محمـــد دورا مماثلا الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م ، حول حياتهما انظـــر ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢٩ ب ، ٣٠ أ ، المحبـــي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٤ ـــ ٢٧ ، م ٣ ، ص ٤٢٧ ـــ ٤٢٨ .

الجند كلّه في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الاكبر عن السلطان وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضرا.فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطابا لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطىء ارض الشام،وان ابن معن يوصل مال السلطان في محله ، وبلاده آمنة الطرقات . فأما المكتوب فقد كَتَبْتُه وخَتَمَه اعيان الجند،واما المحضر فانه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين (٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وابرق وارعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا اقبله ولا امضيه ؛ فرجع الامير موسى الى ابن جانبلاط بغير المراد ، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار البرهان ، واظهار السيوف البارقة والخرصان (٥٨).وقام من يومه قاصدا بلاد بعلبك وبلاد البقاع،وتخريب الاماكن والبقاع ؛ واما الامير موسى ابن الحرفوش فانه استمر هاربا من ابن جانبلاط الى دمشق، فأخبرهم بأنه ترك الجماعة قصدا للموت على الطاعة ، واقتضى حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن الى بعلبك فنهبوها ، والى من بقي من النسا والرجال ففرّقوها ، وخيّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من اولاد عمه مغاضبا لحضرة الامير الكبير ذو القدر الخطير الامير موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجند الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيّموا هناك،واستحضروا سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق غزة وسنجق اللجون وسنجق

---

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجباوي (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، شيخ الطريقة الجباوية بدمشق كان ملّاكا كبيرا ، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب.لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني ، المصدر ذاته ، م ١ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٦ ب ــ ٧ ا ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٥٨) خرصان : جاءت خرصاز ، اما الخرصان فهي الرماح ، انظر لسان العرب ، م ٧ ، ص ٢١ ــ ٢٤ .

عجلون،واما صد فانها كانت مع فخر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين.ولم تزل الجند تتزايد في دمشق،وكذلك عسكر الخوارج فانه ايضا كان يزيد،وترددت الرسل في الصلح من الجانبين فما حصل اتفاق،واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل الى الصلح ومنهم من كان يميل الى القتال،حتى ان ابن جان بلاط ارسل من خوارجه جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح فلما رضي بذلك راس جاويشة العسكر الدمشقي،وهو محمد الشهير بابن الدزدار (٦٠) وخرج العسكر الشامي من الميدان الاخضر الى مكان يسمى المراد (٦٠) وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكر الشامي ومع ذلك ايضا فان ابن جان بلاط كان يُظهر إرادة الصلح،فما وافق على ذلك ابن الدزدار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي ؛ والقدرة غالبة ويد الله غالبة . وفي اواسط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بعد الالف زحف الفريقان،ووقع بينهما القتال،فما فاتت ساعة أو قريب من ساعتين واذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب ، مع كثرة عدده ووفور عدده.وبالله لقد اخبرني من راى الفريقين ان خيل اهل الشام حزرت فكانت تناهز اربعين الف فرس،وكانت عدتهم وآلة (جاءت الت) حربهم في غاية القوة والمتانة،ولكن جند الله غالب وقدره سالب ؛ ولما هرب اهل الشام انقسموا فرقتين،فواحدة ذهبت الى اذرعات (٦١) في اواخر ارض حوران هربا من ابن جان بلاط

---

(٥٩) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدي .

(٦٠) المراد تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(٦١) أذرعات ، كانت في العهد الفاطمي كما نقل ابو الفداء عن حسين بن احمد المهلبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف بالعزيزي ، « مدينة كورة البثنية » ؛ ويذكر ياقوت انها « بلد في اطراف الشام بجاور ارض البلقاء وعمان،ينسب اليه الخمر ».في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني مقلد،وتذكرها دفاتر الطابو باسم « قرية مدينة اذرعات » وانها كانت خاص ميرميران . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م ثماني عشرة خانة مسلمة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ، الى ثمان واربعين خانة مسلمة وخمسة مجردين وخانة مسيحية واحدة ،

وابن معن،واخـــرى رجعت الى الشام.والراجعة الى الشـــام قسمان، القسم الاول ســـاروا متفرقين مشتتين،والقســـم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين،وغلقـــت الابواب وتهيأ من بهـــا للحراب؛فقصدها حزب العدوّ ونهبوا ما كـــان خارج السور من المســـاجد والخانات والاسواق والدور ، وانبثّ الخوارج الأشقيـــا في البيوت الواقعة خارج دمشـــق،واخذوا الأسباب عـــن آخرها الا قليلا تَخَبّوا تحـــت الارض،وأسروا كثيرا مـــن الاولاد وتحاموا الحريم مـــن النسا ؛ وذهب ابن سعد الديـــن الشيخ محمـــد الى ابن جان بلاط وهـــو نازل على قرية المِـــزّة (٦٢) فما قابله بالعزة ، وطلب منـــه حاميا يحمي محلّته المعروفة بالقبيبات (٦٢) فاعطاه

= انظـــر : ياقوت ، معجـــم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ ــ ١٧٧ ، ابـــو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ ، طابـــو دفتري ٤٣٠ (اسطنبـــول) ، ص ٥٥٥ ، طابـــو دفتري ٤٠١ (اسطنبـــول) ، ص ٦٧٠ .

(٦٢) المـــزة بالكسر ثم التشديد .. وهي قريـــة كبيرة غناء في وســـط بساتين دمشـــق ويقال لها مـــزة كاب . كان عدد سكانها في النصـــف الاول من القرن السادس عشر على النحـــو التالي :

طابو دفتري رقم (٤٠١)	طابو دفتري رقم (٢٦٣)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) اسطنبول	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) اسطنبول
(١٥٠) خانـــة مسلمة	(٢٦٢) خانـــة مسلمـــة
(٣٥) مجـــرد مسلـــم	(ـــــــــــ)
(١) خانـــة مسيحية	(٣ خانـــة مسيحية)

طابو دفتري رقم (٤٠١) ص ٦٠ ــ ٦١ طابو دفتري رقم (٢٦٣) ص ١٨٢ ــ ١٨٥

ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢

(٦٣) القبيبات : يعرّفها الشيخ محمـــد احمد دهمان بانها « محلة مشهورة في الميـــدان قرب الجامع الكريمي « جامع الدامـــاق »،سميت بذلك لان اكثر بيوتهـــا ذات قباب ولا يزال بعضها باقيـــا الى الآن ».انظر القلائـــد الجوهرية في تاريخ الصالحيـــة لابـــن طولون ، م ٢ ، تحقيـــق الشيخ دهمان،دمشـــق ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، م ١ ، ص ١١٠ (الهامش) . كان عـــدد سكان هذا الحي بموجب دفاتـــر الطابو على النحـــو التالـــي :

طابو دفتر (٤٠١)	طابو دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م)	(٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)
(٢٧٢) خانـــة مسلمة	(٢٧٩) خانة مسلمة	(٣٩٨) خانة مسلمة
(٦) مجـــرد	(٦) مجـــرد	(١٢) مجـــرد
ص ٤٤ ــ ٤٥	(١) خانة مسيحية	(١) خانة مسيحية
	ص ٤٢ ــ ٤٨	ص ٧٢ ــ ٧٩

رجلا من السكبانية يقال لـــه عقيل فمكث عنده حاميا بيتـــه وحده ، ولم يَحْمِ بيتـــا من القبيبات سوى بيته،على ان بيته قـــد اخذ منه مثاله ومثاله ودوابه وغالب مالـــه النقد،فكان الحامي يحمي لنفسه . اما اهـــل القبيبات فقد غُدِروا من شيخهـــم المذكور لانه قال لهم من رفع يـــده للقتال كان من المقتولين ، فالقـــوا سلاحهم وظنوا انهم يُرْحَمون بترك قتالهـــم فما كان القاء السلاح الا سببـــا لخراب الديار وعدم حماية الذمـــار ، فاجتمع عليهم الذلّ والجبن ونهبُ المـــال وبعض الاولاد،واللـــه تعالى ينتقم من اهل الغرور والعنـــاد ؛ واستمرّ النهب في المحـــلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة ايـــام ولم يبقوا صامتا ولا ناطقا ولا ولـــدا صغيرا من اهل الاسلام،وما نجـــا سوى اهل محلة الشاغور (٦٤) فانهـــم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلـــوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجـــلا بالنصوص،وقد قتل من الخوارج في الايـــام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلـــى ابوابهـــا وبين بيوتها ما يقرب من الفـــي رجل ، وغالب القتل كـــان من شباب دمشـــق واحداثها . واما ابن سيفا فانـــه ما خرج مع الجند الشامي الى القتـــال،فاستمرّ محتجبا في البيوت مع النســـا لا الرجال زاعما انـــه مريض؛فلما بلغته كسر العسكر خاف وعَـــمّ اعضاءه الارتجاف ،

---

(٦٤) الشاغور ، احـــد الاحياء الخارجية لمدينـــة دمشق ، تذكر دفاتـــر الطابو الشاغور البرانـــي والشاغور الجواني،وكان عـــدد سكانها كما يلي :

ا ـــ الشاغور البرانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٣٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجـــرد	(ـــــــ)	(١٧) مجرد مسلم
(٢) خانة مسيحية	(ـــــــ)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦ ـــ ٢٩	ص ٨٢ ـــ ٨٨	ص ٦٢ ـــ ١١٠

ب ـــ الشاغور الجوانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٣٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريـــف	ص ٨٨ ـــ ٩٢	ص ٨٧ ـــ ٩٢
ص ٢٩ ـــ ٣٢		

فوزن القاضي دمشق وبعض اعيانها ما يزيد على مائة الف غرش،وهي التي كانت سببا لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن، ذلك انه اعطى المال المذكور وفتحت له ابواب دمشق ليلا ونجا براس حمراء،ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي،وسار معه ايضا المرحوم الامير موسى ابن الحرفوش؛ولم يزالوا معه حتى وصل الى حصن الاكراد (٦٥) واستحصن به لانه كان محفوظا مع عمه الامير محمود ابن سيفا.وقبض ابن جان بلاط المال (١١٥٤) الذي اعطاه ابن سيفا ورحل عن دمشق بعد الايام الثلاثة، وذهب متوجها الى نواحي حلب،وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب. والقصة تتمة مفيدة تذكر ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لانها مشروحة في فصل بها مخصوص،والله اعلم .

---

(٦٥) يذكرها ياقوت في عهده بقوله « حصن الاكراد على الجبل المقابل،وهو بين بعلبك وحمص.وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجا وجعل فيه قوما من الاكراد طليعةً بينه وبين الفرنج،واجرى لهم ارزاقا فتدبروها باهاليهم ثم خافوا على انفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه الى ان صارت قلعه حصينة منعت الفرنج من كثير من غاراتهم،فنازلوه فباعه الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم. وملكه الافرنج وهو في ايديهم الى هذه الغاية.وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من ايديهم.ويذكر ابو الفداء انه كان مقرّ ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس . اما القلقشندي فيذكر انه احدى نيابات مملكة طرابلس الشام ونيابته امرة عشرة ورسم المكاتبة للنائب « النائب بحصن الاكراد ».ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٦ ، ابو الفداء ، كتاب تقويم البلدان ، ص ٢٥٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ . راجع المادة التي اوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) . عن حصن الاكراد في كتابه "الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة"، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، الجزء المتعلق بلبنان والاردن وفلسطين ، ص ١١٥ — ١٢٠ .

انظر كذلك :

Elisseeff, N., "Hisnal-Akrad" E. I. vol. III, PP. 503 - 506.

التقريـــر السنـــوي الاول

لمجمع اللغـــة العربية الاردني لعـــام ١٩٧٧ م

اولا : ـــ الخطـــوات التاسيسيّـــة

صدر قانون مجمـــع اللغة العربية الاردني رقـــم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م في عـــدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١٩٧٦/٧/١ م .

وفي اليوم الأول مـــن شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ بـــدأ المجمع بخمسة اعضاء ، عيّنهـــم مجلس الوزراء ، بنـــاءً على تنسيب من وزير التربية والتعليم ، وفقـــًا للفقرة (ب) من المـــادة (٢٠) من القانون المذكور ، فكانوا هـــم النواة لمجلس المجمع ، والمكتـــبَ التنفيذيَّ الأول لـــه . واقترنَ قرار التعيين هـــذا بالارادة الملكية السامية .

وعَقَد مجلسُ المجمـــع اجتماعه الأول برئاسة وزير التربية والتعليم ، وانتَخَب رئيسا لـــه ، ونائبا للرئيس ، ونسب الى السيد الوزير تعيين امين عـــامّ للمجمع : فكان الدكتور عبـــد الكريم خليفة رئيسا للمجمع ، والدكتـــور محمود السمرة نائبـــا للرئيس ، والدكتور محمود ابراهيم والدكتور سعيد التـــل عضوين . وصَدَر قرار وزيـــر التربية والتعليم بتعيين الأُستاذ عيســـى الناعوري امينا عامـــًا للمجمع .

وصـــدرت الارادة الملكيـــة السامية بتعيين الدكتور عبـــد الكريم خليفة رئيســـا للمجمع .

هـــذه كانت الخطوات الأُولـــى والاساسية لتاسيس المجمع ، وهو المجمع الرابع في العالـــم العربي ، بعد مجمع دمشـــق ، ومجمع القاهرة ، ومجمـــع بغداد . والقانون رقم (٤٠) لسنـــة ١٩٧٦ م يمنحه

اهداف المجمع في المادة (٤) منه ، كما يحدد في المادة (٥) الوسائل التي يحقّق بها المجمع هذه الاهداف .

ثانيا : ـ مقرّ المجمع وانتظام العمل

من ١٩٧٦/١٠/١ م الى ١٩٧٧/٧/١ لم يكن للمجمع مقر خاص به ، يستطيع ان يمارس فيه عمله بانتظام وفعالية . وكان يأمل ان يكون مقرّه المبنى القديم لمجلس الأُمّة ، فهو خير مكان يمكن ان يصلح المجمع . ومن اجل ذلك قام رئيس المجمع بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، ثم تشرّف الرئيس واعضاء المكتب التنفيذي بمقابلة جلالة الملك المعظم . وقد تفضّل جلالته بابداء اهتمامه الكريم بالمجمع ، وبرسالته السامية ، وقال جلالته انه يمنح المجمع دعمه المطلق ، ووعد جلالته بدراسة موضوع المبنى القديم للمجلس .

وخلال هذه الفترة لقي المجمع من الجامعة الاردنية رعاية مشكورة ، ومساعدات ثمينة سهّلت له ممارسة المهمّ والضروري من اعماله : فكان المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان اجتماعاتهما في ردهات الجامعة ، كما كان قسم كبير من اوراق المجمع ومَحاضِر جلساته يُطبَع ويُستَنسَخ على الآلة الناسخة في الجامعة نفسها ، وبوسائل الجامعة ، وبواسطة بعض موظفيها .

وفي ١٩٧٧/٦/١ وقع اختيار المجمع على مبنى مناسب في جبل الحسين ، فاستأجره بمبلغ (عشرة آلاف دينار سنويا) . ومضى يؤثثه بالعاجل الضروري من الأثاث لضمان انتظام عمله ، كما عَيَّنَ المجمع ثلاثة موظفين : واحدا للمحاسبة واللوازم ، وواحدا لاعمال الديوان والمكاتب ولوازم ويساعد الاثنين ؛ وعَيَّن كذلك اثنين من الأدنة ؛ وطُبِعَت اوراق ومغلّفات وملفّات خاصة بالمجمع . ولم يستكمل المجمع اثاثه ولوازمه بعد .

وانتظم العمل في مَقَرّ المجمع ابتداء من ١٩٧٧/٧/١ ، واخذ المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان جلساتهما في المقرّ الجديد .

وقد انضمّ الى عضوية المجمع ستة اعضاء في بادىء الامر ، وعنوان بعد ذلك ، نتّبهم مجلس المجمع ، وصدرت بتعيينهم ارادة ملكية سامية ؛ فاصبح عدد اعضائه الآن ثلاثة عشر عضوا .

ثالثا : ـ موازنة المجمع

خلال الأشهر الثلاثة الأولى من تاسيس المجمع ـ وهي الأشهر الثلاثة الاخيرة من العام المالي ١٩٧٦ ـ حُوِّلَت مخصصات لجنة التعريب والترجمة والنشر من وزارة التربية والتعليم الى ميزانية المجمع . وقد بلغت تلك المخصصات (١٤٫٢١٤٫٧٥٠) اربعة عشر الفا ومئتين واربعة عشر دينارا وسبعمئة وخمسين فلسا .

وفي العام المالي ١٩٧٧ قرّر مجلس الوزراء تخصيص اعانة سنوية للمجمع في الموازنة العامة مقدارها (٦١٫٠٠٠) واحد وستون الف دينار ، تَسَلَّمها المجمع من وزارة المالية على اربع دفعات ، قيمة كل منها (١٥٫٢٥٠) خمسة عشر الفا ومئتان وخمسون دينارا .

وتَلقّى المجمع ، بفضل مؤازرة العضو الدكتور محمد عدنان البلبسي ، محافظ البنك المركزي ، تَبرُّعا من البنوك العاملة مقداره (٩٫٨١٢٫٥٠٠) تسعة الآف وثمانمئة واثنا عشر دينارا وخمسمئة فلس .

وعند إعداد الموازنة ، في اواخر عام ١٩٧٦ ، العام المالي ١٩٧٧ ، طَلَب المجمع رصد مبلغ (١٠٠٫٠٠٠) مئة الف دينار لبناء مقرّ له ، فلم يُرْصَد المبلغ في الموازنة .

وهكذا تأخّر بناء مقرّ المجمع ؛ وسيعاد طلب رصد هذا المبلغ للعام المالي القادم . وقد قام رئيس المجمع اخيرا ، مع عضو المجمع الدكتور اسحٰق فرحان ، بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، وبحثا معه في موضوع البناء،فوعد دولته بالاهتمام به .

رابعا : ـ اعمال المجمع ومشاريعه

١ ـ رغبة في انتظام العمل في المجمع ، قام المكتب التنفيذي بوضع مشاريع الأنظمة التالية : استنادا الى الفقرة (د) من المادة (١٣) من قانون المجمع :

ا ـ النظام المالي .

ب ـ نظام الموظفين والمستخدمين .

ج ـ نظام اللوازم .

د ـ نظام علاوات الانتقال والسفر .

وقد رُفِعَت هذه المشاريع بواسطة وزير التربية والتعليم الى مجلس الوزراء لاقرارها ، فأُحيلت الى ديوان التشريع ؛ وقام الديوان بدراستها واعادة صياغتها ، ثم اعيدت طباعتها بصيغتها النهائية التي أقرَّها ديوان التشريع . ولكنَّ هذه الانظمة لم يتمّ إقرارها بعد في مجلس الوزراء رغم مضيّ بضعة اشهر على رفعها اليه .

وفي المقابلة التي تَمَّت اخيرا بين دولة رئيس الوزراء ورئيس المجمع ، والدكتور اسحٰق الفرحان ، جرى البحث في موضوع الأنظمة المتأخرة ، واهمّيتها بالنسبة الى انتظام عمل المجمع . فوعد دولته بالعمل السريع على اصدارها .

وقد أعَدَّ المكتب التنفيذي كذلك عددا من مشاريع التعليمات الداخلية التنظيمية ، وهي تنتظر صدور الانظمة المذكورة آنفا لكي توضع موضع التنفيذ .

٢ ـ من اهم المشاريع التي انصرف اليها المجمع مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي . وقد ناقش هذا الموضوع في ثلاثة اجتماعات من اجتماعات مجلس المجمع ، كما بحثه في اجتماعات اخرى من اجتماعات المكتب التنفيذي .

وقد قَـدَّم الدكتور احمـد سعيدان مذكرة اقترح فيها اسماء عدد من الكتـب الممكن الشروع في ترجمتهـا ، واقترح كذلك اسماء المترجمين ، وقـدَّر تكاليف الترجمة . فوافـق عليها مجلس المجمع ، كما عَرَض الامـر على جامعة اليرموك لمعرفـة رايها ، فأيَّدت المشروع ، ووعدت بالمشاركـة في الترجمة . ويرجى الشروع فعلي الترجمة قريبا ، بالتعاون مـع الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ؛ ونأمل ان نجـد تعاونا كافيا من سائر الجامعـات العربية ، لكي تصبح اللغـة العربية في وقت قريب لغـة التعليم العلمي الجامعي في العالم العربـي بأسره .

٣ ـ وتعاوَنَ المجمـع كذلك مع الجامعة الاردنيـة ، ولا سيّما كليـة التربية فيهـا وعمادة البحـث العلمي والدراسات العليـا في الجامعة ، لانجـاز مشروع حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية . وقد تَـمَّ المشروع في وقت قصير ، وأُرسِلَـت الاوراق كاملة الى الجزائـر ، حيث يتمّ الاشراف علـى تنسيق المشروع بأكمله في العالـم العربي . وقد أُشْرِف على انجاز هـذا المشروع الأُستاذ عبد اللـه عويدات ، من كلية التربية في الجامعة الاردنية ، وكان تمويل المشروع مـن الجامعة نفسها ، في حين منـح المجمع مكافأة ماليـة للمشرف على المشروع مقدارها مئـة دينار .

٤ ـ ورغبةً في المسـاعدة على تعريب المصطلحات في دوائر الدولـة ومؤسساتها ، كتب المجمـع الى جميـع الوزارات والدوائـر والمؤسسـات الاردنية لتزويده بما لديها مـن مصطلحات اجنبية ، ليقوم بتعريبها ، والاتفاق بعدئـذ مع المجامع العربيـة الاخرى على توحيد مصطلحاتها في جميـع البلدان العربية . ولقـد استجاب لهـذه الدعوة عدد مـن الوزارات والدوائر ؛ وسيعهد المجمـع قريبا الى لجنـة المصطلحات بتولّي هـذه العملية بالتعاون مع الدوائـر المعنيَّـة .

٥ — ومن أهم المشاريع التي يعمل المجمع الآن جاهدا لأجل تنفيذها اصدار مجلة باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني) لان هذه من الدعائم المهمة التي يقوم عليها المجمع ، ويؤدي عن طريقها رسالته العلمية واللغوية . ويأمل المجمع ان يصدر العدد الاول منها قبل نهاية العام الحالي[1] . ومن اجل ذلك طلب المجمع الى جميع اعضائه ، والى المجامع الشقيقة ، المساهمة في تغذية المجلة بالبحوث والدراسات.

٦ — تلقى المجمع عدة دعوات من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومن المجامع الشقيقة ، وبعض الجهات الثقافية الاخرى ، وشارك في المؤتمرات والمناسبات الثقافية التالية :

أ — مؤتمر التعريب الثالث في طرابلس / ليبيا .

ب — مهرجان مجمع دمشق بمناسبة مرور مئة عام على مولد مؤسسه الرئيس محمد كرد علي .

ج — مؤتمر الدراسات العربية والايطالية في البندقيه وفي باليرمو / ايطاليا ١٩٧٦ .

د — تأبين المرحوم خير الدين الزركلي في دمشق .

هـ — حفلة استقبال الاستاذ احمد راتب النفاخ بمناسبة انتخابه عضوا في مجمع دمشق .

و — مؤتمر الدراسات الايطالية / العربية في ايطاليا ، ١٩٧٧ .

وسيشارك اعضاء من المجمع كذلك في مهرجان ابن رشد في الجزائر في ربيع العام القادم ، وفي مؤتمر التعريب الجامعي في بغداد ، في هذا العام .

٧ — اصبح المجمع عضوا في اتحاد المجامع العربية . وهذا يتيح له المشاركة الفعالة في اعمال المجامع العربية ، وفي تنسيق العمل معها .

---

(١) كتب هذا التقرير وقدم لمجلس المجمع في ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧ .

٨ ــ ألّف المجمع ستّ لجان دائمة للمساعدة على سرعة انجاز اعماله وهي :

١ ــ لجنة الاصول .

٢ ــ لجنة التعريب والمصطلحات والمعاجم .

٣ ــ لجنة التراث .

٤ ــ لجنة الترجمة .

٥ ــ لجنة المجلّة والمطبوعات .

٦ ــ لجنة المكتبة .

وبهذه اللجان يستطيع المجمع ان يطمئن الى انتظام العمل فيه ، والى انه يستطيع ان يمضي في تحقيق غاياته بخطى ثابتة ، آملا ان يجد الدعم الكافي من الدولة والمؤسسات الوطنية ، ليكون عمله مثمرا وفعالا في خدمة اللغة العربية ، والنهضة الثقافية في الاردن والعالم العربي ، باذن الله .

والمجمع يعلم أن المكتبة من اهم الدعائم التي يقوم عليها عمله ، وهو لذلك مهتم كل الاهتمام بتزويد مكتبته بالموسوعات والمعاجم والمراجع العلمية التي تهيىء له اسباب العمل الناجح المثمر .

ولقد كان المجمع يودّ أن يمضي في تنفيذ بعض مشاريعه الأخرى ، سيما اقامة موسم ثقافي للندوات والمحاضرات الفكرية ، مشاركة منه في حركة الثقافة الاردنية ، غير ان تأخّر استقراره في مبنى خاصّ به ، وتأخّر صدور انظمته ، عاقاه عن ذلك . وهو يرجو أن يكون العام القادم ، احفل بالنشاط المثمر ، ان شاء الله .

نـــدوة المجمع الثقافيّـــة الأُولى

الموضوع : ــ **اسباب الضعف في اللغة العربية**

عَقَـــد مجمع اللغة العربية الاردني ندوتـــه الثقافية الاولى في مقرّه في جبل الحسين الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد ١٨/١٢/١٩٧٧ م. الموافـــق ٨/١/١٣٩٨ هـ. وكـــان موضوع الندوة (اسباب الضعف في اللغـــة العربية) . وقد ادارها رئيس المجمـــع الاستاذ الدكتور عبـــد الكريم خليفة ، واشترك معـــه فيها كلٌّ من عضو المجمـــع الاستاذ الدكتور محمود ابراهيـــم ، والدكتور نصرت عبـــد الرحمٰن ، من اعضاء الهيأة التدريسية في قسم اللغـــة العربية في كلية الآداب ، في الجامعة الاردنية . وحضر الندوة عـــدد من اعضاء المجمـــع ، ونخبة من المهتمين باللغـــة العربية ، والكُتّـــاب الأُردنيين ، ومن العاملين في مديرية التربيـــة في محافظـــة عمـــان .

استهلَّ الدكتور عبـــد الكريم خليفة الندوة بالاشـــارة الى أن هناك مشكلة حقيقية تستدعي الاهتمـــام والمناقشة ، وهي مُشكلـــة الضعف العام في اللغـــة العربية ؛ فعلى الرغم من انتشـــار التعليم في العالـــم العربي بشكل واســـع ، لا يزال خرّيج الدراســـة الثانوية ، في الغالب ، يعجز عن قراءة صفحة واحدة قراءة صحيحة ، وعن كتابة رسالة قصيرة دون اخطاء كثـــيرة : في الاملاء ، وفي التركيب ، وفي القواعـــد الصرفية

والنحوية . وليس خريج الجامعه بأحسن حالا منه . يضاف الى ذلك ان الكثيرين من المعلمين والمعلمات ، حتى ممّن يُدرّسون اللغة العربية نفسها ، يعانون ضعفا ملموسا فيها ، وكذلك الكثيرون من الكتاب انفسهم ، ولا سيما من الشبان .

واشار الدكتور خليفة الى ان هذه ، في الواقع ، مشكلة خطيرة ، لان اللغة هي مرآة الأمّة ، وهي رابطة الوحدة التي تشمل الأمّة في كل ارجاء وطنها الكبير ، وعلى الرغم من ان الموضوع قد استأثر باهتمامٍ واسعٍ وطويل الامد من جميع الهيئات المعنية باللغة العربية ، ظلّ الضعف كما هو ، ولم تُتّخذ اية خطوة عملية نحو معالجته .

وقال الدكتور خليفة إننا نجتمع الآن مع هذه النخبة الطيّبة من الاساتذة والمربّين الحريصين على كرامة اللغة العربية ، لكي نتبادل الرأي معهم في هذا الموضوع الحيوي ، لعلّنا ننسج ايدينا على بَرْدان الداء ، ونتعاون معًا على ان نجد له الدواء .

ثمّ أعطى الكلمة للدكتور محمود ابرْ هيم ، فبدأ بالحديث على الازدواجية في اللغة ، وقال إن الطفل يتعوّد على سماع اللهجة العامّيّة في البيت والشارع ، وعلى التحدّث بها ؛ وحين يصل الى المدرسة يجد امامه لغة اخرى جديدة عليه ، يبدأ بتعلّمها على معلّميه ، فيحسّ عندئذ بهُوّة واسعة بين اللغة التي اعتادها ، واللغة الجديدة التي بدأ يتعلمها ، فكأنّ هذه لغة اجنبية يُفْرَض عليه ان يتعلّمها وان يُترجِم اليها افكاره ؛ وهذا سبب من اسباب الضعف الذي نعاني منه في اللغة العربية .

وقال الدكتور محمود إن هناك اسبابا اخرى عديدة ، لا يمكنه ان يفصّل الحديث فيها دفعة واحدة ، ولكنه يقتصر الآن على هذا السبب الاول — وهو الازدواجية — على ان يعود الى تناول بعض الأسباب الاخرى .

وأُعطِيت الكلمة بعده الى الدكتور نصرت عبد الرحمٰن ، فبدأ بتلاوة نَصٍّ اخذه من (ادب الكاتب لابن قتيبة) يعيب فيه على المتأدبين

ضعف لغتهم ؛ ثم تلاه بنصٍ لاحمد امين في الموضوع نفسه ، من كتابه (فيض الخاطر) في المعنى نفسه . ثم قال إن بين هذين النصّين نحو الف عام من الزمن ، ومع ذلك كانت الشكوى تتردّد في كليهما من ضعف لغة الكتاب . فالشكوى اذن قديمة جدًّا ، رافقت تاريخ الأدب العربي كلّه ، ولا تزال تتكرّر بالنغمة عينها .

وقد انكر الدكتور نصرت اسباب هذه الشكوى ، وقال انها غير قائمة ، لانه لا يزال لدينا اليوم كُتّاب يكتبون بلغة افضل من لغة احمد امين نفسه ، وهذا يعني ان اللغة العربية بخير ، وان الشكوى المتكررة ليست سوى من قبيل القلق الحريص على ان تَظلَّ اللغة قويّة عزيزة .

غير ان الدكتور نصرت عاد فاعترف بوجود المشكلة ، وتحدّث على سبب من اسباب الضعف في اللغة العربية ، اذ قال إن الكتب المدرسية في البلدان الغربيّة توضع على أُسُسٍ تربوية ونفسيه تعْرف مقدرة الطالب في كل مرحلة من مراحل الدراسة ، فتجعل لكل مرحلة قاموسا من المفردات خاصا بها . واما عندنا فقد لاحظ المتحدث ان كتاب القراءة للصف السادس الابتدائي ، اصعب في مفرداته وتراكيبه من كتاب الصف الثالث الإعدادي ، مما يَدلُّ بوضوح على عدم وجود خطّة تعليمية ذات اسس نفسية وتربوية سليمة . فلا غرابة اذن في ان يشعر الطالب بشيء من الفتور والتردد امام الصعوبة اللغوية التي تَبْرُز له في كتب المدرسة .

وعَقّب الدكتور عبد الكريم خليفة على ذلك بأن حاول تلخيص ما قاله الزميلان : الدكتور محمود ابرُهيم والدكتور نصرت عبد الرحمٰن ؛ ثم وجّه الكلام الى الحضور ، وقال إن لديهم من الافكار والآراء حول الموضوع ما يمكن ان يزيد الموضوع انارة وبلورة .

واشترك في المناقشة كل من السادة : حسني فريز ، ومحمد عطيات ، والاستاذ مصطفى الزرقا ، وروكس العزيزي ، وعبد الرحمٰن بشناق ، والدكتور محمد بركات ابو علي . ثم طلب الدكتور محمود

ابرٰهيم الكلمة ، فعلّق على راي زميله الدكتور نصرت عبد الرحمٰن : فقال إن ما يراه الزميل المحترم من ان اللغة العربية بخير ، وانه ليس في الامكان ابدع مما كان ، معناه ان المشكلة غير موجودة ، وان مناقشتها لا ضرورة لها ؛ ولكن الواقع ان ما يراه من ان هناك اليوم كُتّابًا يكتبون بلغة افضل من لغة احمد امين ، انما هو امر ينطبق على افراد معدودين ، وليس على المتعلّمين والمثقفين عامة . وقال إن استمرار الشكوى منذ زمن ابن قتيبة ، الى زمن احمد امين ، ثم الى اليوم دليل واضح على ان هناك مشكلة حقيقية تقتضي العلاج .

ثم اشار الدكتور محمود الى ان المشكلة تكمن في اكثر من سبب واحد : فهناك الكتاب المدرسي الذي لا تُراعَى فيه سنّ الطالب ومقدرته الذهنية ؛ وهناك المنهاج الذي لم يوضع على أُسُس نفسية وتربوية وتعليمية سليمة ؛ وهناك المعلم الذي كثيرا ما يكون هو نفسه ضعيفا في اللغة وقواعدها وبلاغتها . وما لم يُعَدَّ المعلّم إعدادا جيّدا ، سيظلّ هو احد الاسباب الكبرى في ضعف اللغة عند طلابه .

وختم الدكتور عبد الكريم خليفة المناقشة بقوله : ان هذه هي ندوتنا الاولى ، وقد خَصَّصناها لمعالجة اسباب الضعف في اللغة العربية ، لان المجمع قد قام اساسا من اجل خدمة هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ، ولغة الأُمة العربية بأسرها . والمجمع يَعْتَبِر هذه اللغة امانةً مقدسة في عنقه ، يحرص على سلامتها ، وعلى كرامتها وعلى تلافي اسباب الضعف فيها .

وقال الدكتور خليفة إن لغتنا ليست اكثر صعوبة من اللغات الغربية ، فنحن لو اخذنا تصريف الأفعال باللغة العربية ، وقارنّاه بتصريف الأفعال في اللغة الفرنسية ، مثلا ، لوجدنا ان لغتنا اسهل كثيرا . وضرب على ذلك مثلا من تصريف الفعل : (ذَهَبَ) ومقابله بالفرنسية (ALLER) وبيّن كيف يتنقّل الفعل بالفرنسية بين شكلين مختلفين كل الاختلاف ، فيقال :

Je vais - Tu vas - Il va

Nous allons, vous allez, ils vont

. فهناك فعلان يتصرفان معا ، لا فعلٌ واحد ، في حين أن الفعل العربي يَظلُّ واحدا في كل تصريفاته .

وعقّب على ذلك بقوله إن الصعوبة اذن ليست في اللغة نفسها ، بل هي في أسباب اخرى خارجة عنها : من المنهاج ، والكتاب المدرسي ، والمعلم ؛ ومتى صلحت هذه كلها استطعنا التغلب على المشكلة من أساسها .

وأضاف قائلا إن هناك شيئا من الصعوبة الفعلية في قواعد الصرف والنحو ، ولكن هذه الصعوبة تزول متى عرفنا كيف نتغلب عليها بالحكمة ، وبأنْ لا نُعلِّم الطلاّب منها الا ما هو أساسيّ،وعلى شكل دوائر : تبدأ صغيرة ، ثم تَكْبُر مع تعاقُبِ الصفوف ، ونُمُوِّ الطالب . وأما حين نعطي الطفلَ كلَّ صعوبات القواعد وهو ما يزال دون سنّ النضج ، فنحن نضع العقبات في سبيل تعلُّمه للغة ، ثم نلومه على التقصير في فهمها .

وشَكَرَ الدكتور خليفة للمشاركين في الندوة تَفَضُّلَهم بالحضور ، وحسنَ تعاونهم بالمشاركة في مناقشة المشكلة ، ووعد بأن يمضي المجمع في ندواته لخدمة اللغة العربية ، معتمدا على مشاركتهم وتعاونهم وتشجيعهم للمجمع ولرسالته المقدسة .

حـــول "معجـــم الرياضيـــات"

تلقّـــى رئيس مجمع اللغـــة العربية الأُردني الكتاب التالي مـــن الدكتور محمـــد مرسي احمد ، عالِـــم الرياضيات المصري ، والأمين العام لاتّحاد الجامعات العربيـــة في القاهرة ، حول (معجـــم الرياضيات) الذي اهداه اليه المجمـــع الاردني ؛ والمجمع يعتزّ كـــل الاعتزاز برأي الدكتور مرسي في (معجم الرياضيات) لانه صادر عن خبير وعالِـــم رياضي كبير .

« الاستاذ الكبـــير الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغـــة العربيـــة الاردنـــي .

تحيـــة طيبة ، وشكرا جزيلا على ما تفضّلتم بـــه من اهدائي (معجم الرياضيات) الذي سيســـدّ ، ولا شك، فراغا كبيرا في تعليـــم الرياضيات باللغـــة العربية ؛ وكُنّـــا في أمسّ الحاجة الى مثل هـــذا العمـــل الجليـــل .

ولا اخفـــي عليك انني مرتاح غايـــة الراحة لاطّلاعي على هـــذا المعجم ، لأنني، مـــع زملائي في مجمع اللغة العربية في القاهـــرة، مُعنيّون بتعريب وترجمـــة بعض مصطلحات الرياضيات ؛ وحتّـــى لا أُكرّر عملا قد أُنجز، أَعلمكم منّـــا كل شكر وتقديـــر .

« اكـــرر التحية والشكر ؛ وأُمَتّعكم اللـــه الى ما فيه خير امتنـــا ونفـــعُ شبابنـــا » .

القاهـــرة — ٢٢/١٠/١٩٧٧ م .

التوقيـــع

(محمـــد مرسي احمـــد)

وجديـــر بالذكر ان (معجـــم الرياضيات) قد اشترك في وضعـــه عشرة اخصائيين فـــي الرياضيات من اساتذة الجامعة الاردنيـــة، ووزارة التربية والتعليم ، بتكليفٍ من لجنـــة التعريب الأردنية في ايامهـــا الاخيرة قبـــل ان تتحوّل الى مجمع اللغـــة العربية الأُردني. وقد قام المجمـــع باهداء نسخ منه الى المجامـــع الشقيقة والمؤسسات العلميـــة الاخرى .

اعـلان مسابقة فـي التاليف

يُعلن مجمع اللغـة العربية الأردني إجـراء مسابقة في التاليف
[illegible] جوائز مالية ، حسب الشروط التاليـة :

١ ـ موضوع المسابقـة : (تعريب التعليم الجامعـي) .

٢ ـ الحـد الأدنى للحجم المقترح : ١٠٠ (مئـة) صفحة من حجم
الفولسكـاب ، مطبوعة على الآلـة الكاتبة .

٣ ـ موعد تسليم البحوث : قبـل نهاية شهر ايـار سنة ١٩٧٨ م ،
ويتـم تقديمها الى الامين العـام للمجمع في ٣ نسخ .

٤ ـ الجائزة الاولـى مقدارها ـ ٤٠٠ (اربعمئة) دينـار .
الجائزة الثانيـة مقدارها ـ ٣٠٠ (ثلاثمئة) دينـار .
الجائزة الثالثـة مقدارها ـ ٢٠٠ (مئتـا) دينـار .

٥ ـ تُعلَن النتائج خلال شهر آب سنـة ١٩٧٨ م .

رئيس المجمـع
الدكتور عبـد الكريم خليفة

المشتمل

الموضـــوع	الصفحة
١ ــ كلمـــة المـــدد ــ	٣
للدكتور محمـــود السمرة ، مقرر لجنـــة المجلة ، ونائب رئيس المجمـــع	
٢ ــ ابـــن رشد في ادبـــه ــ	٥
للدكتور عبـــد الكريم خليفة ، رئيس المجمـــع	
٣ ــ نشاة الثقافة العربيـــة الاسلامية (نظرة الى السراق) ــ	٩
للدكتور عبـــد العزيز الدوري	
٤ ــ الاندلس في المغرب ــ	٧٩
عيسى الناعوري ، الامين العـــام للمجمع	
٥ ــ حول تعريب التعليم وتعريب العلـــم والتكنولوجيا ــ	١١٠
للدكتور احمـــد سعيدان ، عضو المجمـــع	
٦ ــ نشاة النحـــو العربي في ضوء كتـــاب سيبويه ــ	١٢٥
للمستشرق الفرنســـي الاستاذ جيرار تروبو ــ استاذ فقـــه اللغة العربيـــة في السوربون ــ باريس	
٧ ــ العشرينـــات والعشرينيات ــ	١٣٦
للدكتور ناصر الديـــن الاســـد ، عضو المجمع	
٨ ــ تعريب رمـــوز نظام الوحدات الدولية ــ	١٤٦
للدكتور ابرهيـــم بدران	
٩ ــ احداث بـــلاد طرابلس الشام ــ	١٧١
للدكتور عدنـــان البخيت	

اخبـــار وتعليقـــات

١ ــ التقرير السنوي الاول لمجمـــع اللغة العربية الاردني	٢٠٧
٢ ــ الندوة الاولى للمجمـــع ، حول « اسباب الضعف في اللغـــة العربية »	٢١٤
٣ ــ رسالـــة الدكتور محمـــد مرسي احمد ، الامين العـــام لاتحاد الجامعات العربيـــة ، حول (معجم الرياضيات)	٢١٦
٤ ــ مســـابقة تاليـــف	٢٢٠